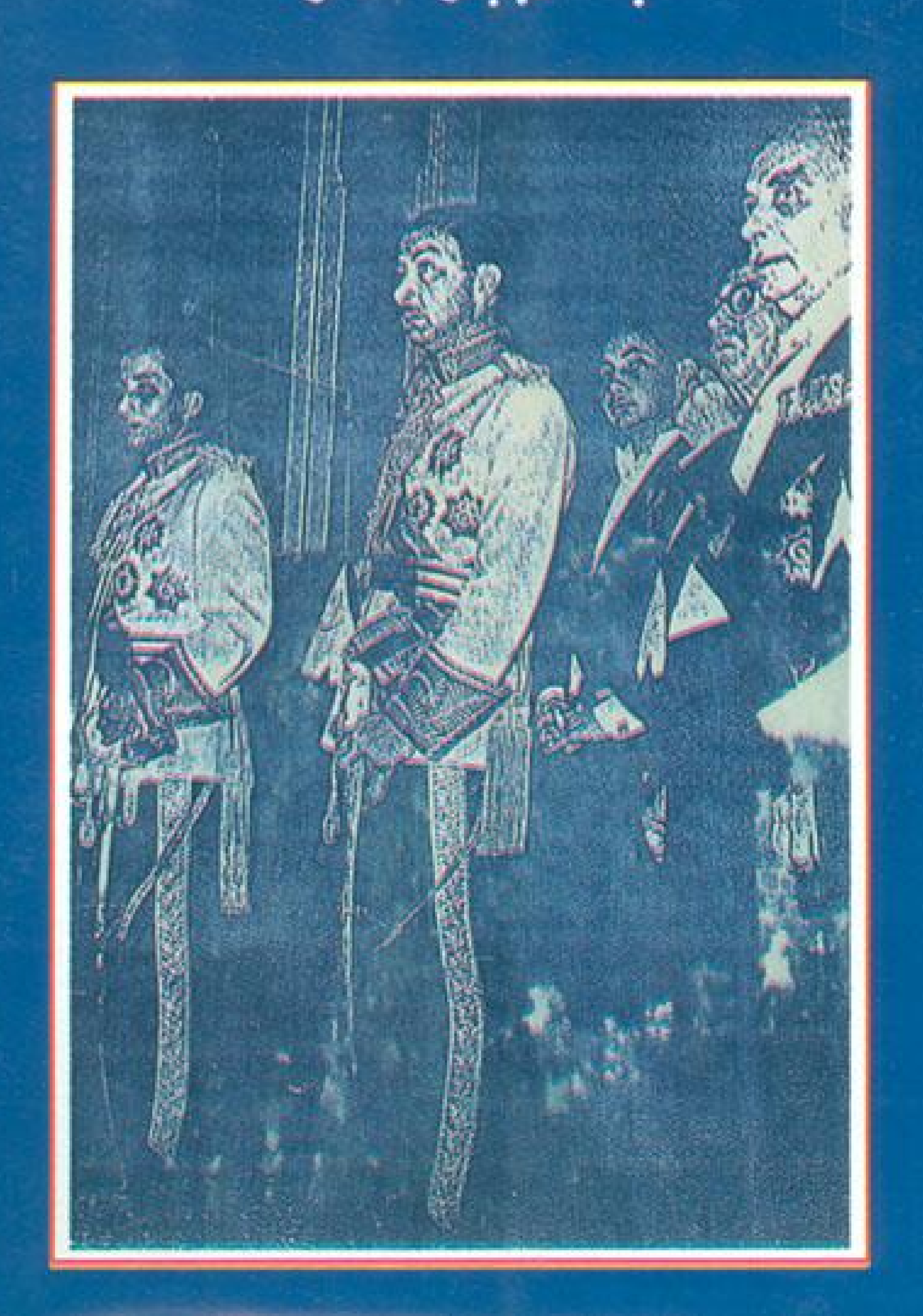
الكبار الثلاثة

ثورة ١٤ تموز في ١٤ ساعة

عبد الجبار العمر



الكبار الثلاثة

ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في ١٤ ساعة

تأليف

عبد الجبار محمود العمر

الإهداء:

الى صديقي الكبيرين
الاستاذ السيد عبدالرزاق الحسني
مؤرخ في العراق الملكي
والعميد خليل ابراهيم حسين
مؤرخ ثورة ١٤ تموز



تقديم

كان اللواء العشرون على ماأخبرني به العقيد ياسين محمد رؤف قد تشكل عام ١٩٥٦ من ثلاثة أفواج وكتيبة مدفعية ـ اهملت الكتيبة من الحساب عند تفجير الثورة ـ فنقل اليه الفوج الاول من القوة الآلية، ونقلت سرايا الفوج الثاني الثلاث من وحدات مختلفة، اما الفوج الثالث فقد نقل من اللواء التاسع عشر بتأخير ساعة واحدة عن الموعد المقرر .

تتضمن الصفحات التالية محاولة لاعادة ترتيب اوراق ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨. ولااريد الزعم هنا ان المحاولة ناجحة ، فقد رأيت امامي بعد الانتهاء منها عدداً من علامات الاستفهام لم استطع القطع ازاءها بشيء حيث استأثر باسرارها عدد من الذين لاقوا وجه ربهم مثل الامير عبد الاله بن علي واللواء غازي الداغستاني والفريق عبدالكريم قاسم والمشير عبدالسلام عارف وعدد من الذين ينتظرون وهم سكوت واعني اثنين بالذات هما الفريق الركن رفيق عارف والعقيد الركن عبد الوهاب الامين. وشخص آخر تكلم حول الموضوع ولااحسب انه قال كل شيء هو العقيد الركن طه مصطفى يامرني آمر لواءالحرس الملكي وكالة وآمر الفوج الاول فيه.. ولابد من وجود آخرين لم استطع الوقوع على اسمائهم من الملكيين والجمهوريين .

لقد ردد العقيد عبد السلام عارف اكثر من مرة في اثناء محاكمته في عهد عبدالكريم قاسم ، ان للثورة اسرارها التي لا يعلمها الا الله

والراسخون في العلم وامتنع عن الاجابة على عدد من الاسئلة التي وجهتها اليه المحكمة لانه اعتبر الاجابة عليها فضحاً لبعض اسرار الثورة . والمشكلة ان الثورة وقعت بعد تحالف سري وشخصي بين اثنين هما عبدالكريم قاسم وعبد السلام عارف وقد ادى ذلك الى ان يحاول كل واحد منهما احتياز كل الثورة لحسابه في ايام سلطانه. وقد تركت المحاولتان، محاولةقاسم اولا وعارف من بعده آثاراً سلبية عميقة في تدوين التاريخ الحقيقي للثورة مما يجعل الواقع الذي يمكن ان يقال عنها الآن غريباً على ماستقر في اذهان الناس عنها.

اننا نستطيع الآن وبسهولة يسيرة رد مالقاسم لقاسم ومالعارف لعارف لان تزييف التاريخ الذي حاوله رئيس المحكمة العسكرية العليا الخاصة فاضل عباس المهداوي والمدعي العام العسكري ماجد امين في اثناء محاكمة عبد السلام عارف لتوثيق زعامة عبدالكريم قاسم للثورة يبدو الآن مكشوفاً ولكن ليس من السهولة الاجابة على سؤال:

هل حاول العهد الملكي تفجير ثورة بيضاء في تموز ١٩٥٨ فارتدت عليه حمراء قانية ؟

والذي اثار عندي هذا السؤال غير المألوف هو:

ان خطة حركة صقر هي التي ضمنت انتصار الثورة على يد اللواء العشرين وعبدالسلام عارف .

وهذه الخطة لم يضعها عبدالكريم قاسم ولا عبدالسلام عارف وانما وردت الى اللواء المذكور من دائرة الاركان العامة بتوقيع العقيد الركن عبدالوهاب الامين مدير دائرة الحركات العسكرية وكالة .

وكان الفريق الركن رفيق عارف يعلم علم اليقين ان العقيد عبدالسلام عارف أمر الفوج الثالث بصدد تفجير ثورة فكيف سمح بصدور خطة حركة صقر من دائرة الحركات العسكرية ولماذا ترك بغداد ليلة ١٣/ ١٤ تموز تغط

في نومها وهو يعلم بمرور اللواء بها وفيه عبد السلام عارف المزمع على الثورة. كان اللواء الركن غازي الداغستاني قائد الفرقة الثالثة يعلم هو الآخر اثر معلومات وثيقة وصلت اليه منذ الخامس عشر من حزيران بان عبد السلام عارف بصدد تفجير ثورة وكان يملك صلاحية تغيير خطة الحركة ولكنه لم يشأ تبديل الخطة الواردة من دائرة الاركان العامة على حد قوله .

والامير عبدالاله كان آمناً مطمئناً في استانبول ولكنه عاد فجأة الى بغداد في اشد ايام تموز حرارة، وقد علل قطع اجازته امام من سأله عن ذلك، بان اخباراً وردت اليه من الداخل والخارج بان بعض اعمال الشغب سوف تحصل اثناء غياب الملك وغيابه هو عن العراق وقد عاد الى بغداد لمجابهتها... ومع ذلك فقد بقي مكتوف اليدين امام قلة من جنود اللواء العشرين يتفوق عليها جنود الحرس الملكي تفوقاً ظاهراً في العدد والعدة والتدريب فلماذا عاد اذن ولماذا لم يستدع الملك الى خارج العراق وفق ماجاء في نصيحة بختيار التي استفزته اذا كان قد اجمع على التخلي عن العرش ؟

وموقف العقيد طه مصطفى يامرني هو الآخر غامض جداً. وقد اعلن لي فيما كتبه بانه قرر تحديد موقفه من الحركة بعد التعرف على هويتها: هل هي مع الشعب والوطن؟ او صراع بين غرفتين في البيت الواحد! او انها من ضمن الصراع الانحكو - امريكي الدائر في منطقة الشرق الاوسط.. وكان قد قرر الانضمام الى الحركة في الحال الاولى ومقاومتها في الحالين الثانية والثالثة ولكننا نجده منذ اللحضات الاولى لوصول قوة اللواء العشرين وقبل ان تتوفر له اية معلومات عن الحركة يعطي اوامر صارمة الى مساعديه في اللواء بعدم فتح النار على القوة المهاجمة الا بامر مباشر منه.. فعل ذلك قبل مقابلته للامير ولي العهد الذي اعطا، مثل ذلك الامر. والاحرى ان معركة قصر الرحاب اذا صح تسميتها معركة قد انتهت في بعض ادوارها في صالح القصر ولكن وضعاً غير منطقي او غير مفهوم

تحلف موقف الامير وأمر اللواء على السواء جعل الدائرة تدور على القصر بذلك الشكل العنيف بقي ان نقول هنا ان العقيد بامرني تعرف على هوية الثورة وفوهة رشاشة عبدالستار سبع العبوسي غير بعيدة عن رأسه. ومهما يكن من امر فقد حاول هذا الكتاب السهر ليلة ١٣/١٤ تموز مع اللواء العشرين بصورة عامة ومع الفوج الثالث فيه المكلف باحتلال الاهداف الحساسة في جانب الكرخ بصورة خاصة لتدوين معلومات تفصيلية عن السيطرة على تلك الاهداف. كما دخل الكتاب الى مقر لواء الحرس الملكي في ثكنة الحارثية وسريتي الدفاع عن قصر الرحاب منذ الساعة الخامسة من صباح يوم ١٤ تموز لرسم صورة مجسمة تتعدد وتتقابل فيها الرؤى لما دار حول القصر المذكور وفي داخل حدائقه.

ان اغلب مصادر الكتاب المخطوطة منها والمطبوعة هي عراقية. وتتضمن المخطوطة منها مشاهدات عيان للذين اسهموا في صنع الحادث الجلل مع ملاحظة ان شهاداتهم كانت ذات بعد واحد فحاولت جهد الامكان مقابلتها بشهادات في المكان والزمان نفسهما وبغض النظر عن اتفاق تلك الشهادات او اختلافها وقد نبهت على تلك الاختلافات احياناً ولكنني تركت تصويبها الى القاريء .

والواقع ان اختلال الرؤية للمشهد الواحد لدى اكثر من شخص واحد حال طبيعية عندما يتغلف المشهد بالنار والدم كما وقع في قصر الرحاب كما ان الاحتياز لدى الذين يسهمون في الاعمال التاريخية طبيعي وان هو يؤدي في العادة الى التضارب وخاصة في الشهادة حول المشهد الواحد لقد حاول هذا الكتاب انتهاج طريق جديدة في البحث عن ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ وهي طريق غير مالوفة فيما كتب عنها من قبل واحسب انها سوف تبقى خاضعة لاية معلومات جديدة تظهر في المستقبل القريب او البعيد نقضاً او دعماً وفي الختام اتقدم بجزيل الشكر الى جميع الذوات الذين آزروني بتقديم معلوماتهم القيمة التي قام عليها الموضوع وقد وردت

اسمائهم في مواضعها من الكتاب.

والله من وراء القصد

١٩٩٠/٢/٥

عبد الجبار محمود العمر

لكي نستكمل أغلب أبعاد الصورة لابد لنا من مرافقة اللواء العشرين من السابعة من مساء يوم الأحد ١٣ تموز ١٩٥٨ في جلولاء الى الساعة الرابعة والنصف من صباح اليوم التالي في قرية (الحسينية) ومن هناك نفترق عن بقية اللواء لنبقى مع الفوج الثالث منه الى الساعة السابعة صباحاً في قصر الرحاب ، ومع هذا الفوج كانت السرية الثانية من الفوج الثاني بأمرة النقيب عبد الجواد حميد الذي قتله الشيوعيون فيما بعد في الموصل عام ١٩٥٩ .

والواقع ان السيطرة على جحفل اللواء من قبل أحد أمراء أفواجه ليس بالأمر الهين، وفيما يتعلق بالسيطرة على جحفل اللواء العشرين فقد كان على عبدالسلام عارف التخلص أولاًوقبل كل شيء من العميد (اللواء) أحمد حقي محمد علي آمراللواء، كما ان احداً لم يسبق له مفاتحة العقيد ياسين محمد رؤف بقضية الثورة التي يزمع اللواء الاضطلاع بها وهو ضابط دمث الاخلاق يحبه ضابط فوجه واعتقاله من بينهم فيما اذا عارض الثورة قد يثير ارباكات ومتاعب لاتقع في الحسبان .

كانت الأوامر قد صدرت ان تتم حركة اللواء العشرين الى الأردن يوم ١٣ تموز، وفي مساء ذلك اليوم كان جحفل اللواء متأهباً للتفتيش، وفعلاً فقد وصل من بعقوبة الى جلولاء، اللواء غازي الداغستاني قائد الفرقة الثالثة ومعه العميد احمد صالح العبدي مدير مدفعية الفرقة والعميد افرام هندو مدير الميرة والادارة فيها، وصحبهم من المنصورية العميد الركن عبد الكريم قاسم آمر اللواءالتاسع عشر.

قدم العميد الركن احمد حقي محمد علي اللواء للتفتيش امام القائد. ويذكر النقيب بهجة سعيد (في اوراق محفوظة لدي) ان القائد الداغستاني اتجه لتفتيش الفوج الثالث المتجمع في ساحة العرضات الاعتيادية ، وفجأة

ظهرت على وجهه إمارات الدهشة عندما شاهد صفيحة بنزين متروكة الى جانب بعض صناديق العتاد في واحدة من سيارات الشحن الخاصة بالسرية الثانية وقد ساورته الشكوك، فسأل : بهجة. أهذه سريتك؟ من اين للكم هذا العتاد؟

اجابه النقيب بهجة : بانه العتاد الخاص بالحراسة والدوريات.

ولابد ان العتاد الذي رآه لم يكن بالوفرة التي يمكن ان تزيد من شكوكه لان العتاد الفائض قد وضع في اثناء النهار في سيارات الشحن تحت الخيم وشبكات الفش وعفش المراتب فاكتفى بان امره بوضع صفيحة البانزين في أحد المقطورات بعيداً عن صناديق العتاد.

وحدثني (النقيب) العقيد منذر سليم آمر السرية الثالثة ان القائد الذي تربطه به معرفة خاصة قفز الى احدى الشاحنات التابعة لسريته وقلب بيده بعض محتوياتها ثم لم يلبث ان نزل من الشاحنة وكان وموقف النقيب منذر في اثناء ذلك حرجاً للغاية لان شاحناته كانت تحمل عتاداً كثيراً.

ومما ذكره العقيد منذر سليم في (الذاكرة التاريخية لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨) ان الفوج الثالث هو الوحيد من افواج اللواء العشرين الذي تسلم عتاد الخط الأول حيث ارسل عبد السلام عارف ضابط اعاشة الفوج نوري رشيد لتسلمه بالكامل ثم جاءت برقية اخرى بعدم التسلم لذلك بقي الفوج الثالث وحده معه ذلك العتاد والعتاد المستقطع من الرمي والذي وضع فيما بعد في الشاحنات الخاصة بالفوج (ص٨٢) ويروي (النقيب) اللواء هشام اسماعيل حقي آمر السرية الاولى :

انه عند وصول القائد قرب عجلات سريته، أخذ يسأله عم تحمله هذه السيارة وماذا في تلك. فيجيبه، هنا عفش الجنود وتلك شبكات الفش..

الخ. ثم سأله وكأنه قد وقع تحت هاجس الثورة: الا تحمل هذه السيارات أي عتاد حقيقي؟ فأجابه آمر السرية: ولا اطلاقة واحدة .. قال ذلك وكان قد خبأ اثنتي عشرة الف اطلاقة عدا عتاد مدافع الهاون (٢) عقدة وعتاد مسدسات الويلي. ويقول اللواء هشام : انه استقطع ذلك العتاد من تمارين الرمي للفوج، فكانوا يصرفون ١٠٪ من العتاد المسلم لهم وينشرون ان المصروف كان مائة بالمائة، ومن طريف مايرويه آمر السرية الأولى هنا، انه بعد أن انتهى القائد من تفتيش عجلات سريته وهم بالانصراف لتفتيش سرية أخرى شعر كأنه أفلت من مأزق حرج فادى له الحية العسكرية بحماس ولما خفض يده اليمنى وقعت بشدة على كتف العميد عبد الكريم قاسم الذي كان مستديراً فالتفت وامارات الارتباك ظاهرة على وجهه الى النقيب هشام . فقال له هذا وكان مايزال بحال الاستعداد.

- متأسف سيدي

فرد عليه عبدالكريم قاسم :

- ميخالف.. ميخالف

في ذلك الوقت كان العقيد الركن عبد السلام عارف آمر الفوج الثالث يريد الانتهاء من ضمان موقف النقيب هشام اسماعيل حقي، لقد سمع عنه من المقدم فاضل محمد علي والنقب بهجة سعيد اخباراً طيبة ولكنها في رأيه لم تكن حاسمة، فهو شخصياً لايعلم على وجه الدقة هل ان النقيب (هشام) سيشارك في الثورة أو لا. وأهمية مشاركة النقيب هشام، تكمن في انه ضابط جيد، وكان عبد السلام قد وضع على عاتق فوجه معالجة الأهداف الحساسة في قاطع الكرخ - وهي قصر الرحاب وقصر نوري السعيد ودار الأذاعة ومعسكرات شرطة القوة السيارة - بحيث يستطيع القول معها: ان فوجه بالذات هو الذي حقق انتصار الثورة في العراق، وان ضمان موقف النقيب هشام اسماعيل حقي الذي كان آمر السرية الاولى في الفوج الثالث ضروري في مثل هذه الحال. وبعد ان انصرف القائد

لتفتيش بقية الوحدات، استدعى عبد السلام عارف المقدم فاضل محمد علي وطلب منه تبليغ الضباط المعنيين بساعة الصفر و (إن التنفيذ يتم عند مرور جحفل اللواء ببغداد. وان العتاد يوزع بعد اجتياز جسر بعقوبة. ثم يقوم كل ضابط بتنفيذ الواجبات المحددة له سابقاً وان الاوامر تستلم منيَ (عبدالسلام). وأمره ايضاً باستطلاع رأي النقيب هشام حول الثورة .

كانت العلاقة وثيقة بين النقيبين بهجة وهشام لانهما من حارة واحدة في الاعظمية على مايذكر النقيب بهجة الذي يقول بهذا الخصوص :

جاءني المقدم فاضل وسألني عن النقيب هشام فقلت له: اطمئن... انه معنا. فأجابني ان الأمر يريد كلاماً مضموناً.. وهو الآن يراقبنا من موقفه فاضطررت الى الوصول الى النقيب هشام، وقلت له بصوت خافت: اننا الليلة بصدد تفجير الثورة فهل انت معنا ؟

- طالما اكدت لك اني معكم فلماذا هذا السؤال؟
- لطمأنة الآمر فقط .

ويقول اللواء هشام كانت سرايا فوجنا تنتشر في اثناء التدريب الفردي في ساحة العرضات المخصصة للفوج، وكان قاطع السرية الثانية من ساحة العرضات قريباً من قاطع سريتي وكنت التقي بالنقيب بهجة في فترة الاستراحة بين ساعات التدريب. وكان كثيراً مايستفسر مني عن موقفي لو قامت ثورة في بغداد. وكنت اجيبه في كل مرة بانني اؤيدها.. واكثر فانني اود لو اشترك مع القائمين بها. وبالمقابل كنت اسأله عن الذين يعدون لها، ومتى ستقوم ؟، فكان يجيبني: لاعليك من ذلك، وسوف تعلم بالتفاصيل فيما بعد.

بتاريخ ١٣ تموز ظهراً صدر الأمر الى سرايا فوجنا بالتجمع بعد ان

وصلت العجلات ووزعت على السرايا ورتبت على شكل نسق منتظم في ساحة العرضات وعندهاخبرني النقيب بهجة بان اتهيأ واهيء السرية لتنفيذ الواجب الذي سوف يلقى على عاتقنا يوم غد وطلب مني اخفاء الأسلحة الخفيفة الموجودة في سريتي في السيارات تحت شبكات الغش وعفش المراتب وطلب مني ان لاسلم اسلحة الى اثنين من الضباط الاحتياط (انذاك) هما نائب الضابط احتياط عبد الرزاق ونائب الضابط احتياط هرمز لانه يشك في ولائهما للثورة، وكان معي ضابط احتياط آخر هو الملازم عبدالحليم لاوند وقد اخبرته بما سنقوم به في اليوم التالي فاستبشر بذلك واستفسر مني عما اذا اخبرت باقي امراء الفصائل في السرية، وقد ارتاح تماماً عندما اجبته بالنفي لأنه هو الآخر كان يشك باخلاصهم وطلب ان نتركهم على فصائلهم الى ساعة الصفر.

تحرك اللواء من معسكر جلولاء في حوالي الساعة التاسعة من مساء يوم الاحد ١٣ تموز متوجهاً الى الأردن عن طريق بعقوبة - بغداد - فالرطبة ثم الى الأردن، على ان يكون منزله الاول في الفلوجة الواقعة على الفرات غربي بغداد .

أما الخطة التفصيلية لتنفيذ الثورة فكانت - وفق ماوراها لي المقدم فاضل محمد علي في أوراقه - كما يأتي :
يكون الفوج الثالث (آمره العقيد عبدالسلام عارف) في المقدمة.
ويليه الفوج الاول (آمره العقيد عبد اللطيف الدراجي) .
ثم الفوج الثاني (آمره العقيد ياسين محمد رؤف) .

١-الفوج الثالث:

أ - السرية الأولى: بإمرة النقيب هشام اسماعيل حقي واجبها السيطرة على معسكرات شرطة القوة السيارة في كرادة مريم ولان آمرها لم يعرف

موضع تلك المعسكرات بالضبط فقد صحبه المقدم فاضل محمد علي .

ب - السرية الثانية : بامرة النقيب بهجة سعيد ويكون واجبها السيطرة على قصر نوري السعيد في كرادة مريم وأسره .

جـ - السرية الثالثة : بامرة النقيب منذر سليم واجبها احتلال قصر الرحاب وأسر الملك وولي العهد، وقد الحقت بها السرية الثانية من الفوج الثاني وأمرها النقيب عبد الجواد حميد للواجب نفسه .

د - سرية المقر : وقد وضعت بامرة المساعد النقيب مهدي علي الصالحي يعاونه الملازم الاول ثابت نعمان وواجبها السيطرة على دار الاذاعة في الصالحية .

٢-الفوج الاول:

واجبه السيطرة على رؤس الجسور ومصالح الهاتف والبرق والخدمات الأخرى في شارع الرشيد واحتلال وزارة الدفاع وارسال سرية لمساعدة السرية الثالثة من الفوج الثالث لاحتلال قصر الرحاب.

٣-الفوج الثاني:
واجبه احتلال مدارس الشرطة ومستودعات نفط الكيلاني وخزانات الماء في شارع غازي (الكفاح)، وسرية خيالة الحرس الملكي والبلاط الملكي .

وذكر العقيد عادل جلال الذي تسلم الفوج الثاني بعد العقيد ياسين محمد رؤف في اثناء شهادته ضد عبد السلام محمدعارف ان الاهداف التي اخذها هي البلاط والسفارات (التي كانت تقع في الوزيرية) وجسر الأئمة. وانه ارسل السرية الثانية من الفوج بامرة النقيب عبد الجواد حميد الى

قصر الرحاب لمعاونة النقيب منذر سليم (م . ص ٤٤ /٢ - ٤٥) .

والعقيد عادل جلال ادرى بالاهداف المكلف بالسيطرة عليها من المقدم فاضل محمد علي ، وهذا ادرى بالاهداف التي حددت للفوج الثالث.
والواقع ان قاطع الفوج الاول بامرة العقيد عبد اللطيف الدراجي يمتد من مدارس الشرطة الى باب المعظم بما فيه هدف وزارة الدفاع . وقاطع الفوج الثاني الذي انتقل الى إمرة العقيد عادل جلال من باب المعظم الى جسر الأئمة بما فيه البلاط الملكي وسرية الشرف وشارع السفارات. ومن هذا لفوج استقطعت السرية الثانية للسيطرة على قصر الرحاب.

ويلاحظ ان الاهداف التي حددت للفوجين الاول والثاني (قاطع الرصافة) بما فيها مدارس الشرطة ووزارة الدفاع والبلاط الملكي وسرية الشرف التي اتخذت مقرها بالقرب منه كانت اهدافاً ثانوية وخالية من أية مقاومة متوقعة ويستطيع الفوجان السيطرة عليها بمجرد وصولهما الى تلك الاهداف. كما يلاحظ ان الرقعة التي انتشر عليها الفوج الاول اكثر سعة واهمية من الرقعة التي انتشر عليها الفوج الثاني بعد اقتطاع السرية الثانية منه. وقد استأثر عبد السلام عارف لفوجه الثالث بالاهداف الصعبة بالكرخ مما اظهره بمظهر البطل الحقيقي للثورة وقد اثار ذلك هواجس ومخاوف عبد الكريم قاسم منه منذ اليوم الاول للثورة حيث بدأ بالاحتياط لنفسه .

كان الرتل كثير التوقف في الطريق لغرض اثارة الملل في نفس آمر اللواء أحمد حقي محمد علي ودفعه الى سبقهم مع مقر اللواء الى الفلوجة او لعوامل تتعلق بتوقيت ساعة الصفر... ومهما يكن الامر فبعد أن اجتاز الرتل جسر بعقوبة كان الهاجس الذي سيطر على عبد السلام هو الفراغ من قضية العقيد ياسين محمد رؤف، فتشاور مع العقيد عبد اللطيف الدراجي بشأنه، فقال له الدراجي الذي أخبر العقيد ياسين فيما بعد بالتفاصيل التي دارت بينه وبين عبد السلام - انه لايهتم في تلك الساعة الا

بابعاد آمر اللواء عنهم واذا لم يتم ذلك خلال وقت قصير فانه يضطر الى القبض عليه ليتمكن من التقدم مع فوجه لاحتلال الأهداف المقررة له في بغداد .

وقد زرت اللواء الركن احمد حقي محمد علي فذكر لي انه كان مطلعاً على تحركات عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف . وحدثني المقدم الطيار محمد سبع فقال: اخبرني العميد ناظم الطبقجلي: انه سبق ان فاتح العميد احمد حقي محمد علي بموضوع الثورة وقد اقتنع بفكرتها الاانه رفض المشاركة بتنفيذها. وقال لي اللواء احمد حقي محمد علي... وسارت الامور على المعتاد في كل الطريق.. وحال وصولنا الى خان بني سعد شعرت ان جهاز المخابرة قد توقف عن العمل، فرجعت ادراجي، وفي بعض الطريق رأيت عبد السلام مجتمعاً ببعض الضباط وعندما شاهدني اخذته الدهشة ورجاني ان اتقدم عليهم مع مقر اللواء وسرية الهندسة الى الفلوجة على ان يتصل بي لاسلكياً كل عشر دقائق - لانه الضابط الذي يلي الآمر في القدم - ليوضح لي الموقف ويحدد المكان الذي وصلوا اليه . وقد عرفت بعدها ان مقر اللواء وسرية الهندسة كانوا عيوناً وارصاداً علي وكانوا يستحثونني على السير دون توقف ويروي العميد الركن اسماعيل العارف عن العقيد الركن كمال مصطفى مقدم اللواء العشرين قوله: «عندما وصل الرتل الى مدينة بعقوبة جاء عبد السلام عارف لمقابلة آمر اللواء في مقدمة الرتل وقال لنا ان وجود مقر اللواء في مقدمة الرتل يؤخر سرعة السير فاقترح على آمر اللواء ان يستصحب مقره وينفصل عن الرتل ويتقدم بسرعة ليبكر في اختيار معسكر استراحة يأوى اليه اللواء قرب مدينة الفلوجة قبل وصول القسم الاكبر فاقتنع آمر اللواء بالفكرة وتحركت بصحبته تاركين الرتل بامرة عبد السلام وكان الاخير يبعث لنا ببرقيات تمويهية بجهاز الاتصال عن تقدم الرتل» (اسرار ثورة ١٤ تموز وتأسيس الجمهورية في العراق ص ١٧٢) اما مسالة القبض على العقيد ياسين محمد رؤف آمر الفوج الثاني فقد رواها لي العقيد ياسين

نفسه على النحو الآتي: كنا قد اتفقنا على ان يتريث الرتل عند مشارف بغداد وذلك لاعادة تنظيمه وانتظار السيارات والشاحنات التي ربما تتأخر في الطريق بسبب العطب الوقتي والعوائق الاخرى... وايضاً لتناول طعام الفطور سوية، وكنت على هذا الظن عندما توقف جحفل اللواء في منطقة الحسينية قرب بغداد حتى انني لم استغرب عندما وقعت عيني على عبد السلام وكنت على علاقة طيبة به سنين عديدة ينزل من سيارته ويقف الى جانب سيارتي ويسألني بعصبية: اين يمكن ان نجد أمر اللواء؟ ثم اردف سؤاله بقوله: لابد ان نلتقي به قبل الدخول الى بغداد .

اجبته وانا لااعلم ان العميد احمد حقي محمد علي يعقب طريق الفلوجة بتحريض منه: ـ لعله في المقدمة... اين يمكن ان يذهب؟ واتفقنا ان ينقلني بسيارته الى المقدمة خاصة وان هذه السيارة سوف تسير في جهة السير المعاكسة للسيارات القادمة من بغداد في حين لم يترك الرتل المتوقف الا جزءا ضيقاً من الطريق لها ولما توقفت السيارة في مقدمة الرتل وجدت بعض ضباط الصف والجنود قد وقفوا على قارعة الطريق بشكل نصف دائرة وهم بحالة تأهب مما لايستدعيه الموقف الذي كنا فيه وحين اصبحنا بعد ترجلنا في وسط الدائرة التفت الي عبد السلام وقال لي:

ـ ياسين.. لقد قامت ثورة في بغداد صباح هذا اليوم وقرر لواؤنا الانضمام اليها ومساندتها.. فهل انت معنا أم ضدنا؟

فأجبته وكنت مازال تحت وطأة المفاجأة:

ـ هل انت جاد ياعبدالسلام؟ ثم ماهي أهداف الثورة؟ ومن هو قائدها؟ وقبل ان يجيبني بشيء أشار الى بعض اعوانه بالقبض عليّ ووضعت في سيارة بيت اللاسلكي المقفلة حتى وصولنا الى دار الاذاعة وكان النقيب مهدي علي الصالحي مساعد آمر الفوج هو الذي وضعه في سيارة بيت اللاسلكي المقفلة.

ويروي النقيب بهجة سعيد ان العقيد ياسين اجاب عبدالسلام بقوله:
- ما هذا الحكي؟ أين ذهب آمر اللواء؟ ومن سوغ لك ياعبدالسلام ان تكرهني على سلوك مالا أرضى عليه؟

والحقيقة ان اعتقال آمر الفوج الثاني استغرق وقتاً أكثر من المقرر له. وكان عبدالسلام قد كلف الضابطين فاضل الساقي وكريم جاسم باعتقاله وامرهما بقتله اذا ابدى اية مقاومة، وقد مضى هذان الضابطان لطيتهما دون ان يصنعا شيئاً ربما لأن قتل وحتى اعتقال آمر وحدة بين ضباطه وجنوده قد يؤدي الى ردود فعل بينهم تربك اللواء وتفرق بين صفوفه. وعندما استبطأهما عبدالسلام اخذ الامر على عاتقه شخصياً فأتمه على الصورة التي سقناها آنفاً.

بعدها كلف العقيد عبدالسلام عارف معاونه العقيد عادل جلال بامرة الفوج الثاني فاستفسر منه عن واجباته والأهداف التي عليه معالجتها فأجابه عبدالسلام باقتضاب: اذهب الى الفوج وستعرف الواجبات والاهداف ممن فيه من الضباط الأحرار.

ووصف بهجة سعيد تسلم عادل جلال الفوج الثاني وكأنه سخرة.

اما العقيد عادل جلال فذكر عن تلك الليلة - في اثناء شهادته ضد عبدالسلام عارف - انه التقى بالزعيم عبدالكريم قاسم عند قيام قائد الفرقة الثالثة غازي الداغستاني بتفتيش جحفل اللواء العشرين في جلولاء بحضور العميد احمد صالح العبدي وقال له:

- عادل انت حاضر هذه الليلة..

اجابه: نعم انا حاضر

فاوضح الزعيم: في هذه الليلة لاجل المصلحة العامة تتلقى أوامرك؛ من العقيد عبدالسلام عارف

فسأله العقيد عادل: سيدي.. من عنده بالذات؟ انا لست مرتاحاً

فحسم الزعيم معه الموضوع بقوله: كل أمر يصدره عبدالسلام عارف اعتبره

- امري.

تأمر سيدي (م. ص ٢١٤٤).

إن الوقائع التي ساقها العقيد عادل جلال هنا والمتعلقة بتاريخ الثورة مهزوزة تماماً فليست ثمة علاقة عسكرية تربطه بالزعيم عبدالكريم قاسم حينذاك ليصح معها ان يلتقي امراً بوجوب اطاعة أوامر عبدالسلام وكأنها اوامره.. لتلك الليلة..

ويمكن ان يصح هذا الزعم لو ان العقيد عادل جلال لم يكن ضابطاً في اللواء العشرين وقد مست الحاجة اليه فيخرج الأمر على مأتى الانتداب او التكليف او الامر الذي يصدره رئيس الهيئة العليا للضباط الاحرار الى واحد من الضباط الاحرار.

والواقع ان الزعيم عبدالكريم لم يكن بحاجة اساساً الى مثل هذا الامر ليصدره الى العقيد عادل جلال وباية صفة كانت، لان هذا بالاصل تحت امرة عبدالسلام عارف، ويتلقى الاوامر منه مباشرة وبشكل تلقائي، باعتباره معاونه في الفوج الثالث. وان عبدالسلام ايضاً يصبح أمراً للواء بعد ان يتم ابعاد العميد احمد حقي محمد علي الذي كان مقرراً بالاصل، ولا اجد ان باستطاعة العقيد عادل جلال إهمال أمر يصدره له عبدالسلام عارف رئيسه المباشر او التهاون فيه لانه كان يخشاه ويحسب حسابه.

وجاء في شهادته ايضاً انه عندما رجع من مقابلة الزعيم رآه عبدالسلام فسأله: ماذا تكلم معك الزعيم؟ فقلت له: قال لي تتلقى اوامرك من عبدالسلام. قال لي: حسن ابق في المؤخرة فبقيت في مؤخرة الرتل، وبعد ان وصل ذيل الرتل الى خان بني سعد حوالي الساعة (٥/٢) طلبوني وحضرت الى الامام، فناداني وقال لي: انت تتسلم الفوج الثاني اللواء العشرين. قلت له: امراء السرايا الموجودين في الفوج الثاني لا يعرفون

المنطقة. وانت تقول انك اصدرت اليهم الاوامر ووزعتها بينما هم لا يعرفون شيئاً..

قال لي: الآن تريد كشف الحركة.. تحرك.

فأخذت الفوج وتحركت، بعد ان ارسلت آمر السرية الثانية جواد الى قصر الرحاب، فكسرت الصناديق في باب المعظم ووزعت العتاد بواسطة المساعد خضر. (م . ص ٢١٤٤).

ويبدو انه لولا تدخل عبدالكريم قاسم لما اسند عبدالسلام امرة الفوج الثاني الى عادل جلال لان حاجزاً من عدم الثقة كان يسود العلاقة بين الضابطين.

ويروي عادل جلال نفسه مسيرة العلاقة بينه وبين عبدالسلام بقوله:

عينت معاوناً عند العقيد عبدالسلام عارف، وقبل ان التحق بالفوج راجعت سيادة الزعيم عبدالكريم قاسم وطلبت منه معاونتي على النقل الى لوائه التاسع عشر لانني سمعت ان العقيد عبدالسلام عارف قال امام جمع من الضباط «انه اذا جاء عادل جلال فسأكسر رأسه» ولكن الزعيم أمرني بالالتحاق وقال لي: لا تهتم فنفذت امره. وذات مرة وكان عندنا تمرين رأيت العقيد عبدالسلام عارف في المطعم، وبعد تناول الطعام جلسنا في غرفته فقلت له ونحن نتداول الحديث: انني سمعت انك قلت كذا وكذا.. ولا ارى حاجة لان تكسر رأسي فاذا انت لا ترغب باشتغالي معك فاستطيع التمتع بالاجازة التي معي.

رد عليّ عبدالسلام قائلا: انت اخي. وقد جمع ضباط الفوج على اثر ذلك وقال لهم: ان امره من امري. ولكنني لاحظت عندما استمررت بالعمل معه انه كان يقرب بعض ضباط الفوج مثل فاضل محمد علي وبهجة سعيد دون ان يعيرني اية اهمية، فباشرت بالاشغال بالامور الادارية. وقبيل الثورة

توجه آمر اللواء - احمد حقي محمد علي - الى الاردن للاستطلاع فأصبح وكيلاً لآمر اللواء دون ان يعينني وكيلاً لامر الفوج، وكان يقول للمساعد وللنائب ضابط ان يجلبا الاوراق له (بحجة) انه موجود في الفوج، ويستطيع ان يشتغل آمر فوج وآمر لواء في الوقت نفسه (م. ص ٢١٢٣ - ٢٤).

وعلى العموم فان عبدالسلام لا يمكن ان يتخذ من العقيد عادل جلال بديلاً عن فاضل محمد علي وبهجة سعيد لانهما قوته الفعالة وعليهما تعويله وهما من خاصته ومن امراء سرايا فوجه، وقد فاتحهما بالثورة فوجدهما متحمسين لها ولافكاره في الوحدة العربية، وكانا مطلعين على اسراره وخفاياه في هذا الخصوص واقسما امامه ومعهما النقيب منذر سليم يمين الاخلاص للثورة، في حين ان العقيد عادل جلال كان طارئاً عليه ولاسيما فيما يتعلق بالثورة. وقد اعترف عبدالسلام - امام المحكمة - انه يحب ضباطه ومعينه ويعطي كل ذي حق حقه. وانه لم يفشي اسرار الثورة امام عادل جلال محافظة منه على الكتمان والسرّية. (م. ص ٢١٨٨).

اما بخصوص العقيد عبداللطيف الدراجي آمر الفوج الاول فقد كان من وجوه الضباط الاحرار وكان على صلة مستمرة بعبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف في جلولاء وبغداد ومن المخططين للثورة.

وهنا نصل الى مسألة العتاد.. فقد مرت بنا رواية اللواء (النقيب) هشام اسماعيل حقي وكيف كان يستقطع نحو تسعين بالمائة من العتاد المخصص لسريته في تمارين الرمي ليوم الثورة، وذكر النقيب بهجة سعيد ان القائد الداغستاني اشتبه به عندما شاهد صفيحة البانزين قرب صناديق العتاد في احدى الشاحنات وذلك اثناء التفتيش في جلولاء. وقد نقلنا ما كتبه الضابطان المذكوران بخطيهما آنفاً. والواقع ان العتاد الذي استخدمه العقيد عبدالسلام عارف في صباح ١٤ تموز كان العتاد الذي تسلمه من المخازن بموجب حركة صقرالصادرة من دائرة الحركات العسكرية في وزارة

الدفاع والتي نصت في واحدة من فقراتها ان يتحرك جحفل اللواء العشرين من جلولاء الى الأردن بعتاد الخط الاول. وقد الغيت هذه الفقرة من الامر فيما بعد على ماورواه لي العقيد منذر سليم ويبدو ان العقيد عبدالسلام احتفظ بالعتاد المذكور بوسيلة ما بعد الالغاء.

وتساءل العقيد الركن ياسين محمد رؤف أمر الفوج الثاني باستغراب بعد ان اطلع على الموضوع في مجلة آفاق عربية (العدد ٧/ ١٩٨٩): لماذا يرتبك امراء سرايا الفوج الثالث في اثناء تفتيش اللواء غازي الداغستاني وهو يعلم علم اليقين ان الفوج يتحرك بعتاد الخط الاول؟!

والذي يستوقف النظر هنا: كيف تيسر للنقيب هشام استقطاع تسمين بالمائة من عتاد الرمي السنوي المخصص لسريته في حين انه لم يكن منضماً الى تنظيم عبدالسلام عارف شأن فاضل محمد علي ومنذر سليم وبهجة سعيد، ولم يبلغ بساعة الصفر الا ليلة الثورة؟

اما العقيد ياسين محمد رؤف فقد رفض تسلم عتاد الخط الاول من جلولاء لئلا تضايق صناديقه الكثيرة جنود فوجه اثناء سفرهم الطويل الى الاردن لذا وجدنا مع كل جندي من جنود السرية الثانية من الفوج الثاني خمس اطلاقات في اثناء احاطتها بقصر الرحاب، وهي عتاد الطريق والحراسة وكان المفروض ان تتزود السرية المذكورة ببقية عتادها من السرية الثالثة الفوج الثالث.

يقول (المتهم) عبدالسلام عارف في افادته امام المحكمة العسكرية العليا الخاصة «واللواء - بريد اللواء العشرين - لا يملك العتاد عدا فوجي الذي دبرت له ذلك من قبل وحسبت حساب اللواء والقطعات الملحقة بتموينهم. وكانت قطعات التنفيذ في بغداد بمعسكر الرشيد لا تملك العتاد ايضاً، فكانت الاشارة بيننا بتطبيق الحركة بارسالي انا العتاد اليهم، وفعلاً تم ذلك بواسطة الملازم ياسين العبدلي، وكذا وزعت العتاد على بقية الوحدات.

(م. ص ٢١٧٩).

يقول المقدم فاضل محمد علي في اوراقه واثناء مسير القطعات بين خان بني سعد ومعامل الطابوق في الحسينية توقفت سيارتي خارج الطريق ومعي ضابط الاعاشة الذي اوقف سيارة العتاد خلف سيارتي وقمنا بتوزيع العتاد على سرايا الفوج، فقدمت لكل سرية مشاة عشرة آلاف اطلاقة (عشرة صناديق) ولسرية الاسناد عشرين الف اطلاقة واحتفظت بالباقي لدى ضابط الاعاشة احتياطاً.

على أية حال ففي حوالي الساعة الرابعة صباحاً احكم العقيد الركن عبدالسلام عارف سيطرته على جحفل اللواء العشرين وكان اللواء متهيأ للانطلاق الى اهدافه في بغداد التي حضر منها الى قرية الحسينية بعض الضباط للدلالة، فارسل المقدم وصفي طاهر والرائد ابراهيم الامي مع السرية الثانية وأمرها بهجة سعيد للدلالة على قصر نوري السعيد، وارسل الملازم الاول عبدالله مجيد وكانوا يدعونه اختصاراً (عبد) ومعه النقيب منعم عزيز بصحبة السرية الثالثة من الفوج الثالث بأمرة النقيب منذر سليم الى قصر الرحاب، ولما كان هذا الهدف خطيراً وعليه حراسة مشددة فقد رافقتهم اليه السرية الثانية من الفوج الثاني بأمرة النقيب عبدالجواد حميد الصانع، وكان على سرية المقر التي انيطت امرتها بالنقيب مهدي علي الصالحي يعاونه الملازم الاول ثابت نعمان احتلال دار الاذاعة. ويذكر الملازم الاحتياط كامل تايه النعيمي انه سمع عبدالسلام عارف يكبر بأعلى صوته قبل أن يعلن الثورة ويصدر الاوامر الى السرايا لتنفيذها فظن في بادىء الامر انه يدعوهم الى أداء فريضة صلاة الصبح.

ويقول النقيب هشام اسماعيل حقي: «جاءني مراسل الامر وقال لي: ان أمر الفوج يطلبك، فذهبت اليه ماشياً وكان الظلام مايزال يخيم على الطريق. فصاح عندما اقتربت منه: من هذا؟. اجبته: انا الرئيس هشام.

فقال لي: تعال ابني.
ثم بادرني بقوله: تعرف واجبك شنو؟
فاجبته: انني حضرت لاخذ الاوامر منك.
قال لي: ان واجبك بالثورة بسيط جداً، وهو احتلال معسكر شرطة القوة السيارة في الصالحية، فهل انت متهيء لهذا الواجب؟

اجبته: انا وسريتي متهيئون لأي واجب تأمر به.
- هل تعرف مكان المعسكر؟
- اعرف ان عليّ عبور جسر الملكة عالية (الجمهورية)، ثم اتجه يساراً وانني لا اعرف مكان المعسكر في تلك الجهة بالضبط.
- مادام الامر كذلك فسأخبر المقدم فاضل محمد علي ليذهب معك وتكون سيارته امام سيارتك يدلك على المعسكر ويعاونك في السيطرة عليه.
- امرك سيدي.

وقبل ان انصرف سألني آمر الفوج عن كمية العتاد التي معي. فأخبرته ان في سريتي العتاد الكافي لاحتلال اي هدف او واجب يعطى لي.. وانصرفت..

يقول المقدم فاضل محمد علي: اصطحبت النقيب نوري رشيد بسيارتي وانطلقت بها بعد ان طلبت من النقيب هشام تعقيبي هو وبقية فصائل السرية.. سرنا بسرعة فائقة حتى وصلنا الى بغداد الجديدة وكانت الشوارع خالية الا من افراد الانضباط العسكري الذين كانوا بمثابة ادلاء للرتل في شوارع بغداد، ثم وصلنا الى الباب الشرقي وعبرنا الجسر وقد توقفت في نهاية الجسر عند ساحة الشواف ريثما يلحق بي رتل السرية. ويبدو ان عبدالسلام اطلق العنان لسيارته الى بغداد بعد ان اعطى أوامره الأخيرة في قرية الحسينية الى السرايا المتوجهة الى بغداد فقد شاهده النقيب هشام مترجلاً عن سيارته على جسر الملكة عالية وهو يصرخ

بسيارات الفوج المارة به: «ياالله ياشباب.. هذا يومكم.. اسرعوا لواجباتكم» وقد اثار موقفه هذا دهشة المارين القليلين في الصباح الباكر واستغرابهم.

ويقول المقدم فاضل محمد علي: عندما علمت باكتمال الرتل، انحرفت الى اليسار باتجاه كرادة مريم بدل الاتجاه المؤدي الى الصالحية وهو الطريق الذي يجب ان نسلكه الى الفلوجة فنبهنا الانضباط العسكري الى ذلك دون ان نلتفت الى تنبيهه، وبعد دقائق وصلنا الى معسكر شرطة القوة السيارة وهو الهدف الذي خصص لسريتنا، فاوقفت السيارة الى جانب الرصيف الايمن ووزعت الاسلحة المتوسطة الملحقة مع السرية في الاماكن التي تسيطر على المعسكر من الإجنحة والرحبة ثم توجهت الى الباب النظامي حيث يقف الحارس وتبعني النقيب نوري رشيد، وأدى لي الحارس التحية العسكرية عندما اقتربت منه، وفي اثناء ذلك شاهدت الضابط الخفر نائماً في فراشه قرب الباب ولكنني تجاهلت رؤيته تماماً. سألت الحارس.

- اين الضابط الخفر؟
- ماذا تريد منه ياسيدي؟
- نفد وقود احدى سياراتنا ولعلي احصل على كمية من البانزين من معسكركم.

التفت الحارس الى الوراء كما توقعت ليشير لي الى الناحية التي ينام فيها ضابط الخفر عندها هجمت على الحارس بسرعة واستطعت انتزاع سلاحه من يده بسهولة، وخلال لحظة وجهت السلاح نفسه الى رأس الضابط الخفر الذي استيقظ من نومه وقد تملكته الدهشة فامرته ان يسلمني مفاتيح المشاجب فانصاع لامري دون ان ينبس ببنت شفة خاصة وقد شاهد النقيب نوري رشيد يشهر رشاشته السترلنك لحماية ظهري. بعدها اعطيت الاشارة الى فصائل السرية بالترجل من السيارات واصدرت الاوامر الى الفصيل الاول باحتلال سطوح المعسكر والسيطرة على كافة

التحركات بداخله، والفصيل الثاني باحتلال منطقة المشاجب ورحبة المدرعات والرشاشات المتوسطة المحمولة على السيارات، اما الفصيل الثالث فاعطيته واجب دخول المعسكر وايقاظ كافة الشرطة النائمين تحت الخيم والاماكن الاخرى وجمعهم في الساحة الوسطية للمعسكر وبعد تجمعهم هناك القيت فيهم كلمة جاء فيها: اننا قمنا بهذه الثورة لخدمة الشعب والجيش، ولا فرق عندها بين الشرطي والجندي وبين ابناء الشعب الآخرين، كما ان شرطة القوة السيارة سوف لن تتورط بعد الآن بمشاكل مع ابناء الشعب كما كان شأنها في العهد الملكي وعند ختام الكلمة اعطيتهم اجازة لمدة خمسة ايام يقضونها مع اهليهم وذويهم ابتهاجاً بالثورة على ان يتم خروجهم من المعسكر من الباب الخلفية المواجهة لقرية الشاكرية. سلمت المعسكر الى النقيب هشام اسماعيل حقي.. واستصحبت معي عشرة من ضباط صف السرية وتوجهت بهم الى دار الاذاعة.

اما النقيب (اللواء) هشام اسماعيل حقي فيذكر عن حادث السيطرة على معسكر شرطة القوة السيارة.

انه امر مراتب السرية بالترجل من العجلات وإحاطة سياج المعسكر الذي كان من الاسلاك الشائكة، وطلب مني المقدم فاضل ان اعقبه ومعي رئيس عرفاء السرية..

اتجه المقدم فاضل بسرعة فائقة نحو الحارس الذي كان واقفاً امام الباب النظامي وامره برمي سلاحه وقد سيطرنا على سلاحه بعد ان نالته لكمة من يد المقدم فاضل وركلة من رجله. طلبت من الحارس الذي كان تحت تأثير الحادث الغريب ان يدلني على مكان الضابط الخفر فأشار الى احد الأسرة الموجودة وقال انه نائم هنا. فأسرعت اليه وأمرته بالنهوض، ففتح عينيه ثم اغمضها ثانية. صحت به مرة اخرى: انهض.. اين مفاتيح المشاجب؟ فوقف على قدميه، ثم رجع واضطجع على سريره. في المرة الثالثة دس يده

تحت وسادته اخرج المفاتيح وسلمها لي ثم ابتعد عن فراشه.

طلبت من مراتب سريتي ان يأخذوا افراد الشرطة ويحجزونهم في الساحة ولا يدعون احداً منهم يترك المكان. وبعد ان تسلمت مفاتيح المشاجب قال لي المقدم فاضل. اني ساتركك والتحق بمقر الفوج (وكان قد تقرر اتخاذ بناية جمعية الشبان المسلمين الملاصقة لدار الاذاعة مقراً له) فركب سيارته واتجه نحو الاذاعة بعد ان شكرته.

وزعت سريتي للحراسة على ابواب المشاجب، ووضعت سيطرة قرب الباب النظامي لجمع ضباط الشرطة ومراتبها الذين يدخلون الى المعسكر بعد السيطرة عليه في غرفة شددت الحراسة علي بابها، وبعد ان اطمأننت الى ان السيطرة على المعسكر اصبحت تامة اتصلت تلفونياً بآمر القاطع العقيد الركن طه محمد امين الالوسي واخبرته انه تمت السيطرة على المعسكر.. الا ان افراد الشرطة الذين حجزناهم في الساحة بملابس النوم اخذوا يلحون علينا ان نتركهم وهو عزل لارتداء ملابسهم ولكنني قلت لهم: تبقون على هذه الحال الى ان نتسلم الاوامر بخصوصكم، وقد انتهت المكالمة دون اي ايضاح منه حول الموضوع.. وبعد ساعة حضر احد ضباط الشرطة - ولا اذكر اسمه في الوقت الحاضر واخبرني بانه مرسل من قبل آمر القاطع ليخبرني ان افك الحصار عن افراد الشرطة وادعهم يرتدون ملابسهم، الا انيي لم اقتنع بكلامه وقلت له بانني سأتصل بآمر القاطع تلفونياً بشأن الموضوع. وفعلاً فقد ذهبت الى غرفة الهاتف وفي اثناء ما كنت احاول الاتصال بآمر القاطع سمعت صوت اطلاقات نارية خمنت انها تصدر من مراتب سريتي، وعندما خرجت من الغرفة لاتبين جلية الامر علمت ان بعض افراد الشرطة الذين ضرب عليهم الحصار ضاقوا به ذرعاً فانتهزوا فرصة ذهابي الى غرفة الهاتف واخذوا يغادرون المكان مما دفع مراتب السرية الذين اوكل اليهم مراقبه الشرطة الى اطلاق العيارات النارية في الفضاء. فأمرت بايقاف النار، وطلبت من الشرطة ان يكونوا هادئين.

وبعدها اتصلت بآمر القاطع فأمرني بفك الحصار ومنحهم اجازة أمدها ثلاثة ايام على ان نقوم بتفتيشهم عند خروجهم من الباب النظامي وقد قمت بالاجراءات اللازمة بهذا الخصوص. كانت وجوه افراد السرية تطفح بالبشر والارتياح... سألني احد الجنود:

سيدي.. لا اعرف احنه اشسوينه

اجبته بهدوء

- ابني.. لقد قمنا بثورة.. وإن آمر الفوج، يريد عبدالسلام عارف - اذاع البيان الاول للثورة.

فسألني للتأكيد

- يعني احنه اللي قمنا بالثورة؟

اجبته: نعم.

فانطلق يزغرد ويرقص. ثم جاءني نائب ضابط الاحتياط عبدالرزاق الذي كنا نشك في ولائه لافكارنا عند تحركنا نحو بغداد، وسألني هو الآخر:

- سيدي.. ماذا حدث؟

اجبته: لقد قمنا بثورة وستسقط الحكومة، وقد سيطر الجيش على بغداد.. فأخذ يرقص فرحاً وقفز الى اعلى وهو يصبح (فلّة)، ثم هدأ قليلاً وسألني بعد صمت قصير.

- الا تعيد الى مسدسي وعتاده الآن؟

فأمرت مأمور المشجب بردهما اليه.

بعد عودة الشرطة من اجازتهم الاعتيادية قامت الفة بيني وبين بعض ضباطهم، وذات مرة وقعت عيني على ضابط الخفر الذي صادفته نائماً في صباح ١٤ تموز. فسألته وانا اضحك عن تبرير تصرفه معي في ذلك

الصباح، فاخبرني.. بانه عندما فتح عينه ورآني بقيافة الميدان وحولي جنود بالقيافة ذاتها ورآني احمل غدارة بيد ومسدساً باليد الاخرى تصور انه في حلم.. وقد عاوده الحلم في المرة الثانية فاغمض عينيه، وفي المرة الاخيرة اقتنع انه ازاء الحقيقة الراقعة فسلم مفاتيح المشاجب ورفع يديه مستسلماً.

ومما لاحظه العميد فاضل محمد علي على رواية اللواء هشام ان العقيد طه محمد امين لم يتسلم آمرية قاطع الكرخ إلا بعد أيام من وقوع الثورة، وانه (المقدم) فاضل كان وكيل آمر الفوج الثالث بعد ان تسلم آمره الاصيل العقيد عبدالسلام مناصبه الجديدة وانه كان المرجع العسكري المباشر (للنقيب) هشام وليس العقيد طه محمد امين.

بقي ان نذكر ان معسكر شرطة القوة السيارة كان بقوة لواء مشاة ويتألف من ثلاثة افواج مشاة وسرية مدرعات خفيفة وسرية رشاشات متوسطة محمولة على السيارات ويقدر عدد المنتسبين اليه بنحو ثلاث آلاف شرطي ذكر ذلك المقدم فاضل محمد علي وكأنه اراد القول بانهم سيطروا عليه بافراده واسلحته وعتاده بثمانين جندياً.

والحقيقة ان الواقعة المذكورة التي حدثت فعلاً كانت بعيدة كل البعد عن الحسابات العسكرية والاعتبارات المنطقية، كما انها لم تضع في حسابها الملابسات والمفاجآت التي يمكن ان تجعل من سرية بثلثي موجودها عصفاً ماكولا في المعسكر الذي اقيم بالاساس لحماية بغداد.

كان احتلال الاذاعة من واجب سرية المقر التي أنيطت آمريتها بالمساعد النقيب مهدي علي الصالحي، انتقل الى رحمة الله.

فحدثني العقيد ياسين رؤوف الذي شهد احتلال الاذاعة بعد نزوله من سيارة بيت اللاسلكي حيث تم اعتقاله فيها ريثما ينجلي الموقف - قال:

نزل النقيب مهدي علي الصالحي من السيارة وتوجه الى الشرطي الحارس الذي يقف بباب الاذاعة فعاجله بلكمة على وجهه، استطاع معها في انتزاع البندقية من يده. وكانت الدهشة ماتزال مرتسمة على وجه الشرطي الحارس الذي فوجيء بالحادث عندما اعلن النقيب الصالحي وقد شهر مسدسه بان الجيش قام بثورة لتحرير الوطن من العهد الملكي، وكان ثمة شرطي أخر يقف في نهاية الممر المؤدي الى استديو الاذاعة فعندما سمع هذا الشرطي نبأ الثورة بادر الى انتزاع مسدسه من حزامه بهدوء وسلمه الى الضابط فسأله الصالحي عن بقية افراد الشرطة المكلفة بحماية الاذاعة، فدله على مكانهم في غرفة جانبية. وعندما اقتحموا الباب وجدوا نحو عشرين شرطياً يغطون في نومهم فجردوهم من اسلحتهم وسرحوهم الى معسكرهم في كرادة مريم.

وصل المقدم فاضل محمد علي الى دار الاذاعة خلال دقائق لقرب المسافة بينهما وبين معسكر الشرطة، فوجد النقيب مهدي علي الصالحي الذي تمكن من السيطر على هدفه بسهولة لا تقع في الحسبان واقفاً بباب دار الاذاعة بانتظار العقيد الركن عبدالسلام عارف فوقف معه وقد وصل عبدالسلام في تمام الساعة الخامسة والنصف صباحاً، وعندما دخلوا الى دار الاذاعة وجد الضباط انفسهم ازاء اجهزة صماء لم يسبق لهم رؤيتها أو التعامل معها، وكان المطلوب من هذه الاجهزة ايصال صوت الثورة الى ارجاء القطر وانحاء العالم ولكن كيف؟ سألوا المستخدم المدني الوحيد الذي وجدوه في الاذاعة في تلك الساعة المبكرة من الصباح عن المهندسين والمذيعين، وقد بلع الرجل ريقه وحاول باخلاص الاجابة على سؤالهم ولكنه لم يجد صوته عندها اومأ لهم برأسه الى لوحة الاعلانات، فوجدوا على تلك اللوحة قائمة باسماء المذيعين الخفر وواجباتهم ووجدوا ان المذيعة المسؤولة عن الاذاعة في صباح يوم الاثنين الرابع عشر من تموز هي السيدة عربية توفيق لازم. تلك رواية المقدم فاضل محمد علي..

ومما تذكره (المذيعة) الدكتورة عربية توفيق لازم عن ذلك الصباح.. انها صحت فجراً على صوت طرق على باب دارهم فعلمت ان سيارة الاذاعة قد وصلت لنقلها الى الاذاعة لتنفيذ الفترة الصباحية وقد تملكتها الدهشة لان ذلك الصباح لم يكن ضمن نوبتها، اعتذر سائق السيارة بانه لم يجد جدولاً بالخفارات فاضطر الى المجيء اليها.. وخلال دقائق كانت في السيارة.. وقد اشتدت دهشتها اكثر عندما صعدت الى السيارة فقد وجدت جندياً يجلس الى جانبها واثنين آخرين يجلسان خلفها التفتت الى السائق لتستفسر منه عما ترى وقبل ان يجيبها السائق بشيء قال لها الجندي الذي يجلس الى جانبها..

- بعد اذنك يا آنسة.. نحن اصحابه.. وقد وعدنا بايصالنا الى المعسكر بعد ايصالك الى الاذاعة..

لم تقتنع الآنسة عربية بكلامه ومع ذلك لاذت بالصمت، وقد ازدادت شكوكها عندما لمحت بقعة من الدماء على كتفه فاجابها عن السؤال الذي بقي في صدرها.

- كان صديقي ينظف غدارته، فانطلقت منها رصاصة دون قصد وعلى اية حال انه جرح بسيط.

في ساحة الوثبة تلقاهم جمع من الجنود المدججين بالسلاح فسألوهم عن وجهتهم فرد عليهم الجندي الذي يجلس الى جانبها:

- الى الاذاعة.. وهذه هي المذيعة التي ارسلونا لاحضارها امرهم احد الجنود ان يترجلوا من السيارة ويمضون لطيتهم سيراً على الاقدام.

اعترضت (المذيعة) عربية على الأمر ويبدو أنها اخذت تدرك بعض ما

يجري على الساحة.

- كيف يمكن قطع المسافة الباقية سيراً وقد ادركنا الوقت.
فكر الجندي ملياً ثم امر السيارة بمواصلة سيرها.

عند مدخل الشارع المؤدي الي مقر الأذاعة - والكلام للدكتورة عربية - لمحت عدداً من الدبابات ومجموعة من الجنود وهنا تاكدت ان الامر غير عادي واحسست بفرح غامر.. ترى هل اذنت الساعة لقيام ثورة..؟

ولاول مرة تكلم السائق بعد نزول الجنود بصوت اقرب الى الهمس

- تره صار انقلاب.
اجبته على الفور:
- لماذا لم تقل لي ذلك من الاول.

خطفت حقيبتي واسرعت الى داخل مبنى الاذاعة بين صفين من الجنود وكان الجندي الذي رافق السيارة يسير خلفي ورأيت على الباب الداخلي ضابطاً برتبة عقيد فما ان رآه الجندي حتى ادى له التحية العسكرية وقال له:

- سيدي هذه هي المذيعة عربية.
صافحني الضابط ودخل معي الى المبنى وفي اثناء ما كنا نسير عرّفني بنفسه.

- انا العقيد عبدالسلام محمد عارف.. انتم تعلمون ان الامور اصبحت لا تطاق لذلك عزمنا على القيام بثورة تنهي هذه الاوضاع. وإن شاء الله سوف تساعدينا في افتتاح الاذاعة.. لانها ستكون الاشارة لتحرك القوات.. واخذ

بريني البيانات واسماء المشاركين بالثورة.

قلت له: اهلا بكم ياسيادة العقيد.. وبارك الله خطاكم.. وانا في خدمتكم وخدمة الوطن.

وهنا تذكرت شيئاً مهماً فقلت له:
- سيادة العقيد. هل استوليتم على مرسلات الاذاعة في ابي غريب؟ انها مهمة جداً ومن دونها لا نستطيع الارسال.

تنبه العقيد عبدالسلام لذلك فأمر احد الضباط ان يأخذ مجموعة من الجنود للسيطرة على المرسلات. كان الوقت قد اقترب من الساعة الخامسة وخمس واربعين دقيقة والافتتاح الاعتيادي هو في الساعة السادسة الا خمس دقائق.. لم يبق على بدء البث سوى عشر دقائق قلت للعقيد عبدالسلام:

- سوف ابدأ الافتتاح بشكل اعتيادي كي اتيح المجال للجنود الذين توجهوا الى المرسلات للوصول اليها حتى لا يقطع الموظفون هناك البث اذا سمعوا كلاماً غير اعتيادي.

وضعت اشارة المحطة حسب التوقيت.. وبعد انتهائها بدأت احيي المستمعين بصوت هادىء وكأن الدنيا حولي تسير وفق المألوف.. وبدلاً من استعراض البرامج اخذت اعلق:

... انه صباح مشرق جميل.. صباح جديد يبشر بالامل والحياة الحرة الكريمة حتى اذا دقت الساعة السادسة قلت بنبرة اخرى كلها حماس.

هنا بغداد. اذاعة الجمهورية العراقية ايها المواطنون يا ابناء العراق

العظيم اليكم هذا البيان:

واخليت المكان للعقيد عبدالسلام ليتلو البيان الاول بنفسه.

بعد البيان الاول اخذنا نتناوب المكان.. اذا انتهى من قراءة بيان من البيانات كنت احل مكانه لاوجه النداء الى الجماهير بالخروج لمساندة الثورة.. اخذت اشعر اننا بحاجة الى مواد موسيقية مناسبة ولم يكن تحت يدي خلال تلك الفترة سوى موسيقى «مولد النور» واغنية (يالله توكلنا على البله).. كانت غرف الاذاعة موصدة ولم يصل احد من الموظفين غير العاملين على جهاز السيطرة.

وفجأة سحبني العقيد عبدالسلام من يدي وقال لي:
- تعالي انظري.

رأيت الشوارع المحيطة بالاذاعة غاصة بالجماهير وهم يهتفون بحياة الثورة والجمهورية. وقد لفت نظري احد المواطنين وهو يلوح لي بشريط (تيب) فخمنت ان الشريط لابد ان يكون للاناشيد الوطنية.. فطلبت من احد الجنود ان يأتيني به.. وبعد ان ادرناه على الجهاز الخاص به وجدت انه كان تسجيلاً لنشيد (الله اكبر).

وكانت اول برقية تأييد اذاعها عبدالسلام باسم الشيخ خميس الضاري وكانت مفتعلة ثم اخذت البرقيات الحقيقية ترد تباعاً. كما وصل بقية الموظفين والمذيعين الى مبنى الاذاعة.

كانت السيطرة على (الثلاثة الكبار) وهذا هو المصطلح الذي اطلق على (الملك فيصل الثاني وولي العهد الامير عبدالاله، والسيد نوري السعيد) احد الاهداف العاجلة للثورة العسكرية، وطالما ارجأ الضباط الاحرار تفجير

الثورة في اوقات متعددة بالرغم من توفر مستلزماتها لان احدهم لم يكن في العراق او لانهم جميعاً لم يحضروا الى المكان الذي تقرر اشعال الفتيل فيه وذلك خشية ان يفلتوا من قبضة الثورة ويتمكنوا من استغلال الظروف السياسية والتحالفات السائدة في المنطقة والعودة الى الحكم تحت ظلال الحراب الاجنبية كما وقع في ثورة مايس ١٩٤١. ولو تأخر وصول اللواء العشرين الى بغداد ساعة اخرى عن الموعد الذي وصل فيه لتمكن اثنان من الثلاثة من الافلات هما الملك فيصل الثاني، ونوري السعيد اللذان كان من المقرر سفرهما الى تركية في صباح يوم ١٤ تموز. ومن هنا فقد كان الوقت الاضافي الذي انفقه اللواء في قرية الحسينية زيادة على الوقت المحدد ثقيل الوطأة على بعض الضباط الذين كانوا متحمسين للثورة فعلاً.

يقول النقيب (العميد) بهجة سعيد عن فترة التوقف في (الحسينية).

.... اخذ نور الصبح يشتد شيئاً فشيئاً واوشكت الشمس على الشروق دون ان تصدر الأوامر لنا بالانقضاض على اهدافنا فصحبت النقيب منذر سليم آمر السرية الثالثة بسيارته الاندروفر الى حيث يقف عبدالسلام ومعه الادلاء.. فنزلت وقلت له بعد اداء التحية العسكرية: (السرية الثانية حاضرة للتقدم الى هدفها سيدي) وعندما لم يجبه وكيل آمر اللواء بشيء، راجعه بقوله: لا مجال للتراجع وسوف امضي الى هدفي على اية حال. عندها ربت عبدالسلام على كتفه وقال له: خذ المقدم وصفي طاهر والرائد ابراهيم الامي ادلاء الى بيت نوري السعيد. «اخذت الدليلين بسيارتي وزودتهما برشاشتي (استرلنك) مع مايلزمها من العتاد والقيت نظرة على عبد السلام فكرت انها ربما تكون الاخيرة واتجهت الى هدفي في بغداد».

وروي لي النائب ضابط احتياط (العقيد) سلمان خيالة آمر فصيل في السرية الثانية انه كان مع الرائد ابراهيم اللامي في سيارة واحدة وقد ذكر له اللامي كيف استطلع دار نوري السعيد قبل ايام مع شقيقته لكي لا يلفت نظر احد فيما لو استطلعه لوحده.

نعود الى رواية النقيب بهجة سعيد حيث يقول.. وعلى جسر الجمهورية صادفت الملازم موفق محمود غنام - من اهالي الاعظمية - وكان في طريقه للالتحاق بدورة عجلة القتال التي رشحته لها وحدته في راوندوز، ولما سألني عن وجهتي، أجبته: اننا اعلنا الثورة، وانا في طريقي لاحتلال قصر نوري السعيد وأسره.. وقد رحبت به تماماً عندما طلب مني ان اتيح له شرف المساهمة في احتلال هدف مهم من اهداف الثورة المجيدة مع سريتي.

اتجهت الى اليسار بعد عبور الجسر، وكانت ثمة ابنية في دور التشييد، وقد اضطررت الى الترجل من السيارة لازاحة عارضة خشبية كانت تسد الطريق.. الساعة تجاوزت الخامسة بدقائق قليلة.. وقبل ان نصل الى هدفنا بنحو اربعمائة يارد صاح وصفي طاهر الذي ظل ساكتاً طول الطريق - بأعلى صوته «هذا قصر نوري السعيد» ثم ترجل من السيارة وفتح النار في الهواء دون موجب او مبرر وقد اختفى بعد ذلك في مثل لمح البصر.. حتى ان الملازم مجيد محمد سيد عبدالله احد امراء الفصائل في السرية لحق به ليقتله ولكنه مالبث ان عاد لانجاز واجبه الاساسي بعد ان اختفى وصفي عن عينيه.

وكان وصفي طاهر قد ألف دار نوري السعيد مدة طويلة ويعرفها معرفته لداره الخاصة لانه اشتغل مرافقاً شخصياً وحارساً لنوري السعيد امداً من الزمن. ويذكر بهجة سعيد ان وصفي طاهر لم يتحدث له طيلة الطريق بين الحسينية والهدف عن الدار.. مداخلها.. مخارجها والطرق التي تحيط بها وممراتها السرية وكل ما يعين السرية على اداء مهمتها الصعبة. وكان النقيب بهجة قد فكّر باستطلاع الدار قبل الثورة ولكن عبدالسلام عارف منعه من ذلك خوفاً من ان تتكشف طبيعة مهمته فيفضح امر الثورة.

انزل النقيب بهجة سعيد مراتب سريته وضباطها من السيارات وطلب

منهم ضبط النار وعدم فتحها الا بأمر منه.. وعند دخولهم وجدوا الدار خالية الا من سائق سيارة نوري السعيد وعريف الشرطة ابراهيم الذي سلبه وصفي طاهر مسدسه بعد عودته الى السرية. فتم لهم احتلالها في الساعة (١٥ ـ ٥) ولكن دون ان يتم لهم انجاز الشق الخطير من المهمة وهو اسر نوري السعيد.

بقي النقيب بهجة في الدار وقبل الظهر رن جرس التلفون فالتقط السماعة، ومن الخط المقابل وصل اليه صوت امرأة متسائلة ولابد انها انكرت صوته ـ من انت؟!.. فاغلق الخط دون ان يجيبها بشيء ثم مالبث ان وصلت سيارة شوفرليت يقودها احد السواق وقد استقرت امرأة كهلة في مقعدها الخلفي. سألها النقيب بهجة عن هويتها وشغلها الذي جاءت من اجله.

ردت عليه: انها (ام طارق) وقد حضرت لوداع شقيقها نوري السعيد الذي يزمع السفر الى تركية صباح (هذا) اليوم.

لابد ان المرأة الكهلة قد سمعت بنبأ الثورة من المذياع وإن هذه الثورة قائمة ضد شقيقها نوري السعيد، وقد انتحلت العذر الذي ابدته عن سبب حضورها انتحالاً، وكانت واثقة انها لن ترى اخاها في داره.. ولعلها ارادت ان تعلم اذا وصلت هناك هل هو في الاحياء او في الاموات.. او انها ارادت الوصول وهي في غمرة اليأس واللهفة الى دار اخيها وكفى.. ومهما يكن من امر فهذا الموقف بالضبط ليس جديداً على السيدة ام طارق، فقد سبق لها ان جابهت موقفاً لا يختلف عنه في شيء عندما قتل بكر صديقي زوجها الفريق جعفر العسكري وزير الدفاع في الوزارة الهاشمية الثانية عند منطقة (بير النص) قرب خان بني سعد عندها تساءلت مع الشائعات يوم او يومين:

هل زوجها في الاحياء او في الاموات؟

لم يشأ النقيب بهجة سعيد ان يترك اخت نوري السعيد وشأنها بل

ارسلها بعناية الى دار الاذاعة حيث قيادة الثورة، وهناك علمت باختفاء اخيها ولكنها لم تكن تعلم ان الرصاصات التي اردت زوجها قتيلا في بير النص عام ١٩٣٦ كانت ذات اثر فيما وقع في ذلك اليوم.. الرابع عشر من تموز.. وهو اليوم الذي دكت فيه الثورة الفرنسية سجن الباستيل رمز الظلم والطغيان في فرنسا او هكذا رأه الثوار الفرنسيون وكان نوري السعيد كما تداعى في خواطر النقيب بهجة سعيد رمزاً للنظام الملكي الذي يمثل الظلم والطغيان وداره هي الباستيل فأمر بنصب مدافع ١٠٦ ملم على واجهة القصر ورميه بقنبلة واحدة لتقوض اسوار السجن الكبير.

صار هروب نوري السعيد مثار لجاجة فيما بعد بين الشيوعيين والقوميين. فذهب القوميون الى ان الطلقات التي خرجت من رشاشة وصفي طاهر قبل اربعمائة يارد من دار نوري السعيد هي التي نبهته الى الخطر الذي اخذ يحدق به واراد وصفي طاهر بتلك الاطلاقات ان يعتدها يداً لدى نوري السعيد اذا فشلت الثورة، وذهب الشيوعيون الى ان اختلال بهجة سعيد من الموقف وعدم ضبطه نار سريته عندما احاطوا بالقصر هو الذي نبّه صاحبه الى الخطر المحدق به.

حول وجهة النظر هذه يقول العقيد (المقدم) وصفي طاهر (ت في ٨ شباط ١٩٦٣) في شهادته ضد عبدالسلام عارف:

«... وبعد ان وصلت الى قصر نوري السعيد كان المفروض ان تلتحق بي سرية مدرعات لحمايتنا لاننا كنا نخشى ان تكون هناك قوة في هذا القصر.. ولكن الصدف هي التي ساعدتنا، فقد كان الحرس الخاص بنوري السعيد من الشرطة قد انسحبوا الى ثكناتهم قبل مجيئنا بربع ساعة، وانني بصفتي الضابط الذي يقود هذه السرية امرت الرئيس الاول بهجة سعيد، وبهذه المناسبة كان احد اعضاء المحكمة المحترمين وهو الرئيس الاول ابراهيم اللامي قد رافقني في هذه الحركة - ان يقسم سريته الى ثلاثة

اقسام، ينفذ فصيلان منها الى النهر للحيلولة دون هروب نوري السعيد وفصيل آخر يتعقبني الى داخل القصر.. فاخذت الفصيل ودخلت الى الحديقة وكانت معي قنابل يدوية رميتها في الحديقة. وهنا قبل دخولي وفي اثناء دخولي بدأ الرصاص وصرنا نصرخ انا والرئيس الاول ابراهيم اللامي «اقطعوا الرمي لان ليست هناك مقاومة» فاستمروا بالرمي وهذا الرمي هو الذي سبب هروب نوري السعيد قبل تطويقه، ولم يتم التطويق لان بهجة سعيد بقي منشغلاً مع جنوده».

وهناك رواية ثالثة في تعليل اختفاء نوري السعيد عند وصول القوة تذهب الى ان الخبازة المجاورة لداره ـ وقد أرادت ان تؤدي حق الجيرة ـ هي التي نبهته الي اقتراب القوة العسكرية المتجهة الي داره.

ولابد ان نذكر هنا ان نوري السعيد كان ينام على سطح منزله في تلك الليلة، وحدثني اللواء هشام اسماعيل حقي «انه رأى سرير نوري السعيد علي السطح بعد ثلاثة او اربعة ايام من الهجوم ورأى نعله الى جانب السرير» مما يدل علي حالة الارتباك الفجائية التي وقع فيها صاحب المنزل بحيث اهمل احتذاء نعله. ولعله هو الذي تنبه الى وصول القوة اذ كان نائماً فوق السطح. ومن الثابت الآن ان نوري السعيد لم يصل الى شاطيء النهر المحاذي لمنزله إلا بعد فترة من توقف اطلاق الرصاص مما يدل علي انه كان في منزله او قريباً منه.. وقد تسلل الى الشاطيء دون ان يراه احد من الضباط او الجنود.

وافترض هنا ان حالاً من الذهول والارتباك قد اصابت القوة المهاجمة مدة ساعة زمنية من بداية وقوع الهجوم على الاقل، ذلك ان نوري السعيد كان يحوم في النهر خلال تلك الساعة حول بيته دون ان يفطن الى وجوده احد وهذا الذهول توزع على ضباط السرية وادلائها على السواء.. وكان من الممكن ان نسلم بما ذهب اليه العقيد وصفي طاهر: الي ان انشغال أمر

السرية بجنوده وانهماك هؤلاء بالرمي العشوائي هو الذي ضيع فرصة القبض على نوري السعيد في داره لو ان نوري السعيد استفاد من فترة الرمي العشوائي التي لا يمكن ان تمتد الى اكثر من عشر دقائق ووصل الى مكمنه الاول في دار صالح البصام ولكن الرجل بقي تحت سمع القوة وبصرها ردحاً طويلاً من الزمن، ويبدو ان عدم عثور (المقدم) وصفي طاهر - وهو دليل السرية واقدم ضابط فيها بما فيهم آمر السرية - على نوري السعيد عندما اقتحم داره اقنعه بعدم جدوى البحث عنه بالقرب من الدار يقول ن. ض. أ (العقيد) سلمان خيالة ان القنابل اليدوية التي رماها وصفي طاهر في حديقة القصر اصابت ثلاثة جنود من السرية بجراح نقلا على اثرها الى المستشفى و اصيب العقيد سلمان نفسه بطلق ناري من جنود السرية التي كان من امراء فصائلها وذهب هو الآخر من جرائه الى المستشفى.

في ذلك الوقت كان داود سمرة (يهودي) وهو قاض معروف في المحاكم العراقية ومعه سائق سيارته الحاج صالح مهدي يسبحان في النهر كما اعتادا ان يسبحا في كل صباح من ايام الصيف القائضة وعندما سمعا زخم ازيز الرصاص فوق رأسيهما خرجا من النهر واحتميا بمسناة بيت الشابندر ظناً منها انها يمكن ان تدرأ عنهما الرصاص الطائش، وبعد لحظات استقر الى جانبهما السماك حسون العيس (٧٦ سنة) واخوه السماك عبود العيس (٦٠ سنة)، وكانا قد توقفا عن الصيد وتركا زورقهما على الشاطىء غير بعيد عنهما وبعد مدة من توقف اطلاق النار شاهد هؤلاء كهلاً حافي القدمين يخوض في ماء الشاطء ويرتدي بيجامة نوم يتقدم نحوهم. قال الكهل وقد عرفوه جميعاً انه نوري السعيد وإن انكروا ذلك امام المجلس العرفي العسكري، قال لاحد الاخوين وهو يشهر مسدسه بوجهه.

- لك.. بلام.. يالله عبرني لذاك الصوب.

وقف الاخوان دون أن ينبسا ببنت شفة واتجها نحو زورقهما ومعهما نوري السعيد واستقروا في الزورق، وقبل ان يبدأ الصيادان بالجدف صوب الرصافة طلب نوري السعيد الذي اتخذ مكانه في قعر الزورق تغطيته بشباك الصيد التي معهما.. كان قصد نوري السعيد من العبور الى الجانب الشرقي من بغداد الذهابالى اقرب مركز للشرطة يمكن ان يصل اليه للاتصال بوزير الداخلية من هناك على ما اخبر الصيادين به في اثناء العبور.. وكان يظن ان الامر كله لا يعدو ان يكون سحابة صيف عن قريب تقشع .. قبل ان يصل بهم الزورق الى الشاطىء الثاني كان الناس قد اخذوا يتجمهرون في شارع ابي نؤاس في البقعة المقابلة لدار نوري السعيد من النهر بعد ان ايقظهم ازيز الرصاص الكثيف في الصباح الباكر وهم فوق سطوح بيوتهم ووقفوا يستطلعون الامر ويتسقطون الاخبار وقد ارتسمت الدهشة على وجوههم. علم نوري السعيد وهو في الزورق بهذا التجمع فخشي من مغبة الوصول اليه، وطلب من صاحبي رحله ان يوصلاه الى دار صبيح الحفيري.. كان السما كان وهما متقدمان في السن قد اعياهما التجذيف مع التيار حيناً وضده حيناً أخر.. وأخذ العرق يتصبب منهما وقد لاحظ نوري السعيد ذلك فأهمه امرهما.. ولكنه لم يكن يملك في تلك الساعة الحرجة الا ان يجبر خاطرهما وانه سوف يعيد اليهما هذا الفضل اضعافاً مضاعفة بعد زوال هذه الغمة عنه، فدعيا له بالتوفيق.

.. كانوا قد اوشكوا على الوصول الى دار صبيح الخضيري عندما طلب منهما العودة والاتجاه صوب البلاط (الجديد) ولما اقتربوا منه وجدوا هناك على الشاطىء رجلا يعبىء الرمل عندئذ سألهما وقد عيل صبره: «هل تعرفان بيت الدختور ابو الماطور؟»

قالا له: نعرفه. فرد عليهم: أوصلوني اليه.

(الدختور ابو الماطور) هو الدكتور صالح البصام زوج بنت عبدالهادي

الجلبي نائب رئيس مجلس الاعيان يومذاك، وهو من اهالي قصبة الكاظمية.. وعندما رسا الزورق قرب السلم الذي يوصل الشاطيء بأعلى مسناة بيت البصام وهو مرتفع نسبياً قال نوري السعيد لاحد الاخوين، حسون العيس: اطلع فوق.. او شوفلي هذولة.. بعدهم بالبيت، لو طلعوا..

غاب السماك بضع دقائق ثم عاد ليخبره ان الجنود مايزالون يحتلون البيت، عندها خرج نوري السعيد من الزورق.. واخذ يرتقي السلم المرتفع الى دار البصام المجاورة لداره.. كان مرتضى البصام وهو محام شقيق صاحب الدار يقف في الحديقة وعندما وقعت عينه على نوري السعيد حاول ان يلتقي به في منتصف السلم، ونادى حسون العيس ليذكر نوري السعيد بوعده.

- باشا.. باشا.. انا اسمي حسون العيس لا تنساني.

سأل نوري السعيد مرتضى البصام وهما فوق السلم.

- ها.. شكو ماكو؟

فرد مرتضى:

- شكو..؟ بعد.. خلصت.. حطوا وزراء.. او صارت حكومة جديدة. (المجلس العرفي العسكري، محاكمة صالح البصام وجماعته).

ولا ندري اذا استخف نوري السعيد عند سماعه خبر تشكيل وزارة الثورة بينه وبين نفسه، فقد سبق له ان انتصر على وزارتين جاء بهما الجيش وكانتا تطلبان رأسه الاولى وزارة حكمة سليمان ١٩٣٦ والثانية وزارة رشيد عالي الكيلاني ١٩٤١، ولكن هل بقيت له القوة الكافية ليناهض بها وزارة الثورة بعد ان تضعضع نابه وكلت مخالبه وتقدمت به السن واقتربت شمس حياته من الافول.

سأل رئيس المجلس العرفي العسكري السماك عبود العيس احد الاخوين اللذين صحبا نوري السعيد في الزورق عن المدة التي استغرقها نوري السعيد في تجواله النهري ذاك منذ ان صعد الى الزورق الى ان استقر به المقام في دار الدكتور صالح البصام فأجاب الشاهد: بانها حوالي ثلاثة ارباع الساعة ويمكن ان تضيف الى ذلك خمس عشرة دقيقة اخرى وهي المدة الفاصلة بين بدء مهاجمة القصر وصعود نوري السعيد الى الزورق فيستوي لنا الوقت الذي كان نوري السعيد في بيته او بالقرب منه دون ان تراه القوة التي جاءت للقبض عليه..

بعد ساعات قليلة من صباح اليوم نفسه علم حسون العيس بانتصار الثورة واستتباب امرها واصبح شغلها الشاغل العثور على نوري السعيد والقبض عليه لانها تخشى اذا قدر على التسلل من العراق ان يثير ضدها الكثير من المشاكل والعقبات بدهائه ومركزه السياسي المرموق فتملكه الخوف واستبد به القلق، لأنه يعرف انه واخاه عبود هما اللذان ساعدا نوري السعيد على الهرب ولابد ان تنكشف هذه الحقيقة عاجلاً او اجلاً، خاصة وانهما لم يكونا وحدهما عندما قاما بفعلهما الذي يشكل جرماً بالنسبة للثورة، وعلم ايضاً ان عبدالكريم قاسم هو قائد الثورة ويسكن في دار شقيقه الكبير حامد قاسم جارهم في كرادة مريم.. وهذا يستأجر بيت قريبهم حميد الحاج عباس الحمداني فارسل اخاه عبود الى قريبهم ليتدبر لهم الامر مع السيد حامد قاسم فمضى هذا الى حميد الحاج عباس.. وقد اوضح له جلية الامر والمأزق الذي وجد نفسه واخاه فيه.. ولم يكتف بذلك بل صحب حميد الحاج عباس الى مسناة دار صالح البصام واجرى له هناك ما يشبه (كشف الدلالة) في ذهابهم ومجيئهم الى صعود نوري السعيد على السلم.. عندها لم يضع حميد الحاج عباس شيئاً من الوقت بل بادر بالذهاب الى دار السيد حامد قاسم، وكان منع التجول ساري المفعول في تلك الساعة.

قال حامد قاسم في شهادته امام المجلس العرفي العسكري: «في ١٤ تموز الساعة السادسة مساء جاءني حميد الحاج عباس الحمداني وطرق الباب ودخل وقال لي: عبود العيس يقول: ان نوري السعيد بدار الدكتور صالح البصام. فقلت له: ان منع التجول صدر اليوم، فاذا كان الجماعة صادقين باقوالهم فليراجعوا الجهات المسؤولة.

فسأله رئيس المجلس: الم تتصل بالجهات الرسمية حول الموضوع؟
اجابه حامد قاسم: لا..
والواقع ان قضية لجوء نوري السعيد الى دار الدكتور صالح البصام مالبث ان انتشرت في منطقة كرادة مريم انتشار النار في الهشيم. حيث لابد ان يكون عمر السر الذي يحمله سبعة اشخاص الى ظهر اليوم الثاني من الثورة اقل بكثير من عمر الزهور في الصيف القائظ ولاسيما في منطقة كرادة مريم يومذاك حيث يمت اغلب سكانها الى بعضهم البعض بصلة القربى والصهر وانفتاح الجوار.

الشاهد: حمزة عباس
المهنة: سماك
العمر: ٢٩ سنة
قال في شهادته: لقيت الحاج صالح (سائق داود كره) قال: كيف المجرمين عبروا نوري السعيد.
قلت له: مَنْ؟
قال: السمّاكة اقاربك
وعندما سألته الم تخبر؟
قال اخبرت اخو عبدالكريم قاسم.

الشاهد الحاج صالح مهدي
المهنة: سائق

سأله رئيس المجلس حول هروب نوري السعيد: الم تتحدث لاحد بهذا الأمر؟

ج. سألت حسون: هل اعطيتم خبراً؟ فقال: نعم. فقلت حسناً فعلتم.

س. ألم تسمع بيان الحاكم العسكري حول منح عشرة آلاف دينار لمن يرشد عن مكان اختفاء نوري السعيد.

ج. نعم. البيان صدر بعد ان تم الاخبار.

المحامي: قال الشاهد انه التقى بحسون ساعة ١١ بعد (كذا) الظهر وان حسون قام بالاخبار فهل قال حسون لمن قام بالاخبار؟

ج. نعم قال: اعطينا اخبار الى ابي عمر حامد عبدالكريم (كذا ورد في جريدة الجمهورية) شقيق الزعيم عبدالكريم قاسم.

اقول (وابو عمر هذا هو حميد الحاج عباس الحمداني ولعل الصواب وهو الذي اخبر حامد قاسم.. الخ).

الشاهد عبود الحاج عيسى

سأله رئيس المجلس: الم تسمعوا ببيان الحاكم العسكري؟

ج. نحن اخبرنا في يومها والبيان صدر في ثاني يوم.

المحامي. عندما اخبرت حميد ، هل رويت له الحادث كما ترويه الآن؟

ج. نعم وأريناه المحل وقلنا له سويلنه چارة.

الشاهد حسون العيس

سأله رئيس المجلس: عندما ارسلت اخاك للاخبار متى كان ذلك؟

ج. حوالي الظهر. ثم قال ـ يريد اخاه ـ حميد اخبرهم

س. عندما صدر بيان الحاكم العسكري بوضع مكافأة لمن يقبض عليه لماذا لم تخبروا؟

ج. صدر هذا في ثاني يوم من الاخبار.

المحامي. في ذلك اليوم. هل التقى الشاهد بسائق داود سمرة غير اللقاء الذي حدث صباحاً؟

ج. نعم لقيته. وكان يريد ان يخابر. فسألنا ماذا عملتم؟ قلنا له لقد خابروا. ويلاحظ مما تقدم.

* ان اخبار حامد قاسم بشأن لجوء نوري السعيد الى دار صالح البصام تم في الساعة السادسة من مساء ١٤ تموز وفق شهادته، وحوالي الظهر وفق شهادة حسون العيس وللتوفيق بين الشهادتين نفرض انه لم يتيسر لعبود العيس او حميد الحاج عباس الحمداني ايصال الاخبارية الى حامد قاسم الا في الساعة السادسة مساء ومع ذلك فان مثل تلك الساعة تعتبر من وضح النهار في تموز من كل عام في بغداد ولا يمكن ان تحول بحال من الاحوال دون ان يوصل شقيق قائد الثورة الخبر عن مكان اختفاء نوري السعيد الى المرجع المختص في وزارة الدفاع بغض النظر عن سريان مفعول منع التجول الذي لا يحول في العادة دون وصول المريض الى اية مستشفى في المدينة.

* قد يقال ان السيد حامد لم يعط الخبر الذي ورد اليه الاهمية التي يستحقها عندما سمعه اول مرة ولكنه صار باستطاعته تقدير خطورته بعدما وضع الحاكم العسكري العام في اليوم التالي جائزة مغرية قدرها عشرة آلاف دينار لمن يرشد عن مكان اختفاء نوري السعيد.
* لم تغر هذه الجائزة التي اعلنت في صباح الخامس عشر من تموز خمسة اشخاص ثبت لدينا من خلال محاكمة الدكتور صالح البصام واخيه مرتضى وسائق سيارتهم حسن محمد انهم يعرفون مكان الاختفاء هم: حسون العيس وعبود العيس والحاج صالح مهدي وحمزة عباسوحميد الحاج عباس الحمداني بالاضافة الى (القاضي) داود سمرة وحامد قاسم. والاربعة الاولون كانوا فقراء الحال - ثلاثة من صيادي السمك وسائق سيارة (خصوصي) واحد - حيث لم يتقدم باخبارية جديدة اي واحد منهم حول الموضوع بعد وضع الجائزة.. وهذا هو الذي يستوقف النظر.. فلماذا ولمن وضعت الجائزة اذا كان الاخبار قد وقع قبلها.

ويلاحظ ايضاً ان رئيس المجلس العراقي العسكري لم يسترسل مع السيد حامد قاسم في الاستفسار منه عن السبب الذي دعاه الى كتمان خبر ادعاء السماك عبود العيس الوارد اليه بواسطة قريبة حميد الحاج عباس الحمداني عن الحكومة ولا احسب ان هناك رابطة حميمة تجمع بينه وبين آل البصام دفعته الى التستر عليهم، او انه اراد انقاذ حياة نوري السعيد بدافع شخصي.

وعلى فرض ان حامد قاسم نفض يده من الموضع وترك الامر لخيار المخبر عندما قال لحميد الحاج عباس الحمداني «انهما اذا كانا صادقين - يريد حسون وعبود الحاج عيس - فيخبرا الجهات المسؤولة على ما ورد في شهادته امام المجلس العرفي العسكري.. بعد ذلك فانهما اما ان يكونا قد اخبرا الجهات المسؤولة بمعلوماتهما وفي هذه الحال لا يمتد القبض على نوري السعيد اكثر من ساعة زمانية من ظهيرة يوم الرابع عشر من تموز، واما انهما لم يصلا بمعلوماتهما الى المراجع المختصة وفي هذه الحال كان من الواجب ان يساقا كمتهمين امام المجلس الذي وقفا امامه شاهدين شأنهما في ذلك شأن المتهمين من آل البصام وسائق سيارتهم حسن محمد الذين حوكموا وادخلوا السجن بسبب نقلهم نوري السعيد من كرادة مريم الى دار محمود الاستربادي في الكاظمية، ولعل موقف السماكين اسوأ من موقف اولئك لانهما ارسيا حجر الاساس في هروبه.

(أغلب) الظن ان السيد حامد قاسم قام بما يمليه عليه الواجب ازاء اخيه الذي ارتفع بين عشية وضحاها من مجرد آمر لواء في الجيش العراقي الى الزعامة العامة في العراق، واصبح محط انظار العالم منذ اليوم الاول للثورة.. وقد اوصل الخبر الذي ورد اليه عن حسون وعبود الحاج عيسى الى الجهات المسؤولة في وزارة الدفاع لاننا لا نكاد نجد سبباً واحداً يحمله على كتمان مكان اختفاء نوري السعيد الذي اصبح شغل الثورة الشاغل عندما استقر في ذهن الشعب - والمواطن حامد قاسم منه. انه لا يمكن ان تستقر

الثورة وتسجل انتصارها النهائي الا بعد القبض على نوري السعيد لما يمكن ان يسبب لها من متاعب.

لنفرض ما لا يرد في الفرض في الحال التي نتناولها..

لنفرض ان منع التجول حال دون حامد قاسم وايصال الخبر من كرادة مريم الى وزارة الدفاع.

وإن عائقاً حال دون وصوله في اليوم التالي الذي كان التجول فيه مباحاً طيلة النهار وإن منطقة كرادة مريم كانت خالية من اي جهاز للهاتف.!!

فما حدثني به السيد كاظم حمودي الحمداني - من وجهاء كرادة مريم - وهو يستعرض لي يوم ١٤ تموز في منطقتهم: ان عبدالكريم قاسم زار دار اخيه حامد قاسم التي كان يساكنه فيها مساء يوم ١٤ تموز ١٩٥٨... وقد ترددت في تدوين قوله لطول المدة التي مرت على تلك الحوادث وما يمكن ان يلابسها من السهو والنسيان ولكنني لم البث ان وجدت توثيق تلك الزيارة عن حسن العلوي بوقتها وتاريخها.. ورد ذلك في كتابه «عبدالكريم قاسم. رؤية بعد العشرين» حيث جاء فيه: «وفي الساعة العاشرة والنصف ليلا حضر الزعيم عبدالكريم قاسم الى داره وهو يرتدي قميصاً عسكرياً وبنطلوناً وسدارة ويحمل بيده رشاشة صغيرة وسلمنا عليه واحداً واحداً، وكان زر قميصه ما قبل الرقبه مقطوعاً اثناء الحركة فنهضت ابنة شقيقه السيدة فردوس واخذت زراً من قميص قديم وخاطته دون ان تعلم ان الزر الجديد يتشكل من اربعة ثقوب وازرار القميص من اثنين فظهر ذلك واضحاً في اول صورة نشرت له في الصحف (المصدر السابق ص ٢٧).

ولتوثيق كلام العلوي هو الآخر يجد القارىء الصورة المذكورة للزعيم عبدالكريم قاسم في موضعها من هذا الكتاب ويلاحظ ان الزر الثالث في قميصه ذا اربعة ثقوب وليس الزر الذي يلي العنق وهذا لا يخل فيما نحن بصدده.

وهنا لا يمكن دفع علم عبدالكريم قاسم بمكان اختفاء نوري السعيد بحال من الاحوال منذ الساعة العاشرة والنصف في ليل ١٤ تموز على الاقل.. ولا نقول منذ الظهيرة كما ادعى السماكان او منذ الساعة السادسة كما يقول السيد حامد قاسم، فليس من المعقول - الا اذا فرضنا اننا نقف ازاء حال شاذة - ان يكتم حامد قاسم وقد التقى باخيه في دارهما في اليوم ذاته ما وصل اليه من خبر اختفاء نوري السعيد في دار الدكتور صالح البصام. ان صدقا وإن كذبا ولو باسلوب الدردشة والكلام والعابر خاصة وإن منازل الشهود لا تبعد اكثر من مرمى حجر عن الدار التي تم لقاؤهما فيها.

الذي يلفت النظر ان اولئك الشهود قد اجمعوا على اجابة واحدة عندما سألهم رئيس المجلس العرفي العسكري: لماذا لم يخبروا بعد صدور بيان الحاكم العسكري العام بشأن المكافأة الموضوعة على رأس نوري السعيد؟. وهي: انهم اخبروا قبل صدور البيان المذكور بيوم. ولكنه لم يسألهم: لماذا لم يصل اي واحد منهم الى المكافأة؟

قد يقع في الخاطر: ان اثنين من اولئك الشهود اسهما اسهاماً فعالا في هروب نوري السعيد وهما حسون وعبود الحاج عيسى ويكفيهما ان يخرجا من الموضوع لا عليها ولا لهما. واحاول ان اجد عذراً للاستاذ داود سمرة بسبب من مركزه القضائي السابق ويهوديته، وإن السيد حامد قاسم لم يأبه بالموضوع لسبب ما..!! فيبقى لدينا ثلاثة وهم: حميد الحاج عباس والحاج صالح مهدي الذي وصف السماكين حسون وعبود بانهما خائنان اثناء حديثه مع السماك حمزة عباس وحمزة عباس هذا فلماذا لم يتقدم واحد منهم للحصول على المكافأة المغرية بما فيهمالملاك حميد الحاج عباس الحمداني.

اغلب الظن عندي ان اخبار اختفاء نوري السعيد في دار الدكتورصالح البصام وما يعقب ذلك من امكانية الوصول اليه خلال وقت قصير في اي

مكان يكون فيه في بغداد او العراق قد وصلت الى عبدالكريم قاسم في يوم ١٤ تموز واغلن الظن عندي ايضاً ان عبدالكريم قاسم لم يترك مقره في وزارة الدفاع في تلك الساعات الحرجة من عمر الثورة ويذهب الى داره او دار اخيه في كرادة مريم الا ليمنع تسرب خبر مكان اختفاء نوري السعيد الى الحكومة ربما ليتلافى موقفاً شخصياً حرجاً واراد لسبب قاهر ان يتركه لقدره.

ولم يطل الانتظار.. فقد عثر عليه الشعب صدفة في احد شوارع البتاويين ببغداد حيث لاقى مصرعه في حوالي الساعة الرابعة والربع من ظهيرة اليوم التالي.

وكان نوري السعيد قد انتقل من دار صالح البصام الى دار محمود الاستربادي في الكاظمية في يوم ١٤ تموز وقضى هناك ليلته الاخيرة وفي حوالي الساعة الثانية ظهراً من اليوم التالي خرج من تلك الدار ومعه السيدة بيبية زوج الاستربادي الثانية وذات الحظوة عنده وخادمة ايرانية اسمها زهرة وقد اتجهوا بسيارة العائلة الى دار السيد هاشم جعفر زوج ابنة الاستربادي من زوجته الاولى وما ان اوصلهم سائق السيارة الى الدار المذكورة قرب البتاوين حتى رمى بمفتاح السيارة الى السيد علي بن هاشم جعفر وانصرف لشأنه.

ويقول علي هاشم جعفر في شهادته امام المجلس العرفي العسكري في اثناء محاكمته لمحمود الاستربادي وعائلته:

وكانت واحدة من النسوة اللواتي وصلن الى دارهم هي زوجة جده محمود الاستربادي.. ومعها امرأة مزيفة وقالت السيدة بيبية للمرأة المزيفة.

شيل البوشي باشا فرفع نوري السعيد البوشي التي كان يضعها على وجهه فظهر وجهه مكشوفاً.. انه نوري السعيد وقد جلست بجانبه واومأت الى شقيقتي عصمت ان تذهب الى شقيقي عمر فذهبت اليه في الحال

وطلبت منه ان يخبر الاستخبارات في وزارة الدفاع ويتخذ الاجراءات اللازمة.. لقد عادت شقيقتي بعد ذلك وشاهدت ماكان يلبس نوري السعيد آنذاك.. كان يلبس (بشداشة) بيضاء ويضع على رأسه (غترة) حجازية، وفي رجليه جوارب اسود تحتها (مداس) في قدميه..

ذهب نوري السعيد الى غرفة شقيقي و(انجطل) على (الچربايه) وقد شاهدته وهو يحمل مسدسين وصار يتطلع الى نفسه في المرآة الموجودة في تلك الغرفة فسألته عن (القضية) فرد علي قائلا:

-فد يومين.. ثلاثة

كان طبيعيا ولكنه كان يتظاهر بالصمم وانه لا يسمع كلامي فكان يضع يده على اذنه قائلاً ها.. ها... وقد تأكد لي بعد ذلك ان سمعه ثقيل. كنت الى تلك اللحظة انتظر من يأتي من الجيش ليلقي القبض عليه وهو داخل البيت بدون ضجة. وفجأة سألني عن شقيقي قائلا:

-وين اخوك..؟

وقد تملكتني الدهشة، وتساءلت مع نفسي كيف عرف بان لدي شقيق.. ومع ذلك فقد اخبرته: ان شقيقي في بيت اهله - كذا ورد في النص ولعله يريد اهل زوجته - تغير لون نوري السعيد عندما سمع كلامي ونهض من مكانه (ولبس البوشي بالمكلوبي) وقد طلب من زوجة محمود الاسترابادي ان يخرجوا حالاً من البيت بعد ان (عدل) البوشي ولبسها بصورة صحيحة.. وقد خرج هو وزوجة جدي ماشيين والمسدسان اللذان كان يحملهما من نوع (ابو البكرة) ولم يخرج احد معهم.

وقال عمر هاشم جعفر في شهادته: في الساعة الثالثة وعشر دقائق من

بعد ظهر يوم ١٥/ ٧/ ١٩٥٨ كنت في بيت عمي والد زوجتي، واذا بالباب تدق.. كانت شقيقتي هي التي تدق الباب.. وكانت بحال غير طبيعية فاقتربت مني واخبرتني بصوت هامس: ان نوري السعيد عندنا في البيت.. وإن اهلي ارسلوها لكي تنقل لي ذلك.

خرجت من دار عمي بسرعة حتى انني اكملت ارتداء ملابسي بسيارة التكسي التي اتجهت بي صوب وزارة الدفاع، فذكرت لمن كان واقفاً ببابها من الجنود انني ابن اخت الزعيم عبدالكريم قاسم واريد مواجهته بسرعة وانتحلت الهوية ذاتها في الاستعلامات.. وبعدها وصلت الى سكرتير الزعيم.. ومع الحاحي بضرورة السرعة في المقابلة الا انه طلب مني التريث لان الزعيم مجتمع بالسفير البريطاني ببغداد.. فاضطررت الى الانتظار ربع ساعة تقريباً وبعدها سمح لي بالدخول عليه.. لقد طفح وجهه بضحكة اول ما وقع بصره عليّ لانني في الحقيقة لم اكن قريبة وقد رأيت العقيد عبدالسلام عارف في الغرفة ذاتها. قلت للزعيم عبدالكريم قاسم:

إن نوري السعيد موجود عندنا في البيت والتمست منه ان يتم القاء القبض عليه بهدوء وبصورة سرية والتمست منه ان لا تنشر اسماؤنا وقد تعهد لي بذلك وكان قد كتب اسمي ومكان الدار وعنواني في احدى الاوراق التي امامه اما العقيد عبدالسلام فقد قال لي: راجعنا بعدئذ وإن الجائزة لك.

طلب الزعيم عبدالكريم قاسم من ضابط برتبة مقدم لا اعرفه يقف قربه ان يجهز جنود انضباط وسيارة غير مكشوفة لنقل نوري السعيد من البيت حياً دون ان تطلق عليه اية رصاصة اذا امكن.

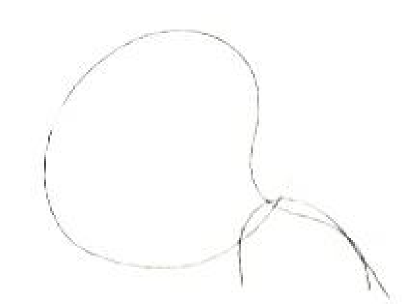
تأخرنا مايقرب من خمس وعشرين دقيقة في باب وزارة الدفاع نفتش في اثنائها عن سائق لسيارة الجيش.. بعدها ركبت السيارة مع الانضباط..

وأبطأت السيارة في السير.. وقد اخبر المقدم من كان معه من الجنود بانه اتى للقبض على نوري السعيد قال ذلك عندما وصلنا الى مدارس الشرطة في بستان الخس وطلب منهم ان لا يطلقوا اية اطلاقة نارية وتهددهم (كل من يضرب طلقة ارميه).

طلبت منهم ان يكشفوا على المنطقة اولا ولما وصلنا الى البيت اخبرنا والدي بان نوري السعيد غير موجود واوضحت والدتي ومعها شقيقي علي بان نوري السعيد ومن معه من النسوة خرجوا من البيت على اقدامهم فخمنت انهم مايزالون في المنطقة وقد اخبرت الضابط بذلك فاخذنا نعقب نوري ومن معه بالسيارة.. وبعد مضي خمس دقائق سمعت صوت طلقتين فتوجهنا الى مصدر الصوت.. في اثناء ذلك سمعت الناس يقولون ان نوري في (هذا البيت) كان البيت يقع في البتاويين على بعد عدة شوارع جنوب بيتنا.. وصار الجنود يطلقون النار على ذلك البيت بالرغم من وجود اوامر لديهم بعدم اطلاق النار وقد اتضح فيما بعد ان خادمة بين الاستربادي هي التي كانت في البيت المذكور حيث اخرجها الجنود منه جراً وسحلاً.. وقد زاد ازدحام الجماهير في ذلك المكان بحيث لم استطع مشاهدة اي شيء فعدت الى البيت مع شقيقي علي..

لم يحدد الشاهد عمر هاشم جعفر هوية المقدم الذي انتدبه الزعيم عبدالكريم قاسم للقبض علي نوري السعيد وإن كان اسم المقدم وصفي طاهر هو الذي يتبادر الي الذهن لانه مرافق عبدالكريم قاسم الملازم له ولانه كان مرافقاً لنوري السعيد وقد اناطت به الثورة واجب الدلالة علي داره عند قيامها. واية كانت شخصية المقدم الذي انتدبه عبدالكريم قاسم للقبض على نوري السعيد في دار السيد هاشم جعفر سواء كان وصفي طاهر ام سواه فالذي يلاحظ هنا:

١ ـ ان (الثورة) عجزت عن ايجاد سائق للسيارة التي تقله هو وجنوده لاداء



مقتنعاً طول حياته بان نوري السعيد كان مسؤولاً عن تنفيذ حكم الاعلام بوالدها حسين فوزي توفيق (قاتل) رستم حيدر وزير المالية في وقته.. كان في الثالثة من عمره عندما تم تنفيذ الحكم ويذكر والده جيداً وعاش بسبب ذلك شقياً حزيناً انفعالياً طوال حياته.. ويبدو انه وجد فرصته ليثأر واخذ يركل الجثة بقدمه فلاحظه احد الضباط وكان يعرفه معرفة وثيقة فاتجه الى المتجمهرين حول الجثة وخاطبهم بقوله:

«أن هذا» واشار الى الجثة «قد نفذ حكم الاعدام بوالد هذا» واشار الى فائز، وما إن انتهى من كلامه حتى فتح نار رشاشته على الجثة. وفي ظن الاستاذ علاء حسين فوزي ان الضابط المذكور هو وصفي طاهر. والواقع ان هناك تشابهاً في الخلق بين وصفي طاهر وقاسم حمودي عبدالله.

وقد اكد لي المقدم قاسم حمودي عبدالله انه التقى بوصفي طاهر في وزارة الدفاع بعد ايصاله جثة نوري السعيد اليها.

* * * * * *

قبل فترة من وصول طلائع الثورة الى القصور الملكية وصلت اليها تحذيرات كثيرة عن نشاط تنظيمات الضباط الاحرار في داخل صفوف الجيش العراقي وقرب وقوع انقلاب عسكري او ثورة لتغيير نظام الحكم في العراق ولكن ولي العهد لم يأبه بتلك التحذيرات ولم يعرها الا اهتماماً شكلياً. وكذلك كان الشأن في موقف نوري السعيد من تلك التحذيرات، وهو المسؤول السياسي عن الجيش حتى ان الانسان لتتملكه الدهشة عندما لا يجد اي تفسير مقنع لظاهرة الاهمال تلك.

لقد احصى توفيق السويدي من رؤساء الوزراء السابقين ووزير خارجية الاتحاد العربي في مذكراته عدداً من تلك التحذيرات. واورد جلالة الملك

الحسين بن طلال واحداً منها في كتابه (مهنتي كملك) وكذلك فعل الاستاذ نذير فنصة في كتابه (عاصفة على الشرق الاوسط) حيث نقل بنفسه تحذير الجنرال تيمور بختيار الى الامير عبدالاله في استانبول وكان التحذير واضحاً وخطيراً. وذكر الاستاذ جميل الاورفه لي في مذكراته تحذيراً ورد اليه من احد كبار الضباط في الفرقة الثالثة.

وايضاً فقفد كان للامير عبدالاله شعبة استخبارات خاصة به تابعة للواء الحرس الملكي، يرأسها. المقدم محمد الشيخ لطيف وكانت توصل اليه المعلومات المتعلقة بالضباط الاحرار اولا باول.. بالاضافة الى بعض الضباط الذين كانوا يرتبطون به بشكل شخصي لرصد جميع التحركات المعادية لنظام الحكم في داخل الجيش عرفنا منهم الملازم فالح زكي حنظل الذي قدم للامير معلومات مقيدة حول الموضوع وفق ما جاء في كتابه «مقتل العائلة المالكة في العراق». كما عنيت مديرية الامن العامة التي يرأسها بهجة العطية بقضية الضباط الاحرار، وقدمت تقارير مسهبة عنهم على ماورد في بعض المصادر.

اما الفريق الركن، رفيق عارف رئيس اركان الجيش الذي ترتبط به مديرية الاستخبارات العسكرية فقد كان يرفض باستخفاف الاعتراف بوجود تنظيمات للضباط الاحرار في صفوف الجيش العراقي، ويمنع بشدة بعض تداخلات مديرية الامن العامة في الشؤون الامنية للجيش كما لو انه يحرص في كل ذلك على عدم تفشي بعض الاسرار التي يجب ان تبقى في طي الكتمان اكثر من انه لا يريد ان يظهر بمظهر الضعيف امام رؤسائه اذا اقر بوجود مثل تلك التنظيمات في الجيش.

كذلك الشأن مع الامير عبدالاله في بعض اجاباته الحادة على بعض من قاموا بتحذيره من احتمال وقوع انقلاب او ثورة، حيث ان الباحث يشعر مع تلك الاجابات (خلي فلان ياكل.. وروح التهي بشغلك) بانها لا تمثل مجرد

كبرياء امير لا يريد الحديث مع اي كان حول شؤون ملكه وانما كان يريد بذلك وضع حد حاسم للاسترسال في الحديث مع بعض المتطفلين على اسراره الخاصة بعمله.

ونوري السعيد هو الآخر كان يرفض الاعتراف بوجود حركات مناوئة للحكم في الجيش.

يذكر توفيق السويدي: ان عدنان مندرس رئيس وزراء تركية يومها حذر نوري السعيد بحضور نجيب الراوي سفير العراق في انقرة من انقلاب عسكري يجري اعداده في العراق. وكان جواب نوري السعيد مشوباً بعصبية:ان هذه المعلومات غير صحيحة وانه لايصدق شيئاً منها .ونقل توفيق السويدي وزير خارجية الاتحاد الى نوري السعيد تحذيراً ورد اليه بهذا الخصوص من السفير التركي ببغداد، الا ان السعيد قابل التحذير باستخفاف.

وذهب بهجة العطية مدير التحقيقات الجنائية العام الى احمد مختار بابان رئيس وزراء العراق الاقليمي قبيل الثورة وقدم له تقريراً مهماً ضمنه معلومات عن حركة الضباط الاحرار وقد سمي بعض الاشخاص وقال: ان انقلاباً عسكرياً قريب الوقوع فأخذ رئيس الوزراء التقرير وصحب معه مدير الامن العام الى البلاط الملكي فوجدا نوري السعيد رئيس وزراء الاتحاد العربي في غرفة رئيس الديوان الملكي.. واطلعه على التقرير بعدها ذهب ثلاثتهم الى مكتب الامير فاطلعوه على التقرير. لقد اهتم الامير بالموضوع واخذ سماعة الهاتف واتصل بالفريق الركن رفيق عارف رئيس اركان الجيش فتلقى منه انكاراً وتكذيباً قاطعين وطلب عدم الاهتمام باية معلومات تصل اليهم عن طريق التحقيقات الجنائية.

واستطلع الدكتور فاضل الجمالي في واشنطن رأي المستر هرتر نائب

جون فوستر دلاس وزير الخارجية الامريكية عن سبب تلكؤ الولايات المتحدة في تسليم خمسين طائرة وعدت بارسالها الى العراق في حزيران (الماضي) دون ان يتم ارسالها. فذكر له المستر هرتر: «انه يستفاد من المعلومات الموثوقة التي تأتينا من بغداد.. ان في الجيش العراقي بعض الحركات والاتجاهات التي لا تشجع على الاعتقاد بان الجيش العراقي مستعد للانصياع لاوامر الحكومة اذا طلب اليه العمل حسب الترتيب المقرر. وقد وصلت هذه المعلومات الى نوري السعيد فأجاب ـ وقد وصلت اجابته الى السفير الامريكي ببغداد: ان الجيش مخلص للملك مائة بالمائة وان الشعب مخلص للحكومة ثمانون بالمائة.

ويروي السويدي عن الشيخ غازي العلي الكريم رئيس عشيرة البو عيسى في سامراء قال: في يوم ١١ تموز ١٩٥٨ فهمت من مصدر موثوق ان انقلاباً عسكرياً في طريق الاعداد ومن اهداف هذا الانقلاب ان يقضي على النظام الراهن بقضه وقضيضه، وعلى الفور ذهبت الى البلاط وواجهت ولي العهد.. وذكرت له معلوماتي. وكان جوابه: ان هذه المعلومات غير صحيحة، ومن الخير لي ان اهتم باشغالي واترك هذه الامور لاهلها.

وورد مثل هذا الخبر الى جميل عبدالوهاب ـ من الوزراء ـ فأوصله الى نوري السعيد فكان جوابه الانكار والاستنكار. (توفيق السويدي. مذكراتي ص ٥٩٥ و٥٩٦ و٥٩٧).

وكتب الاستاذ جميل الاورفه لي في مذكراته واخذت منه بعض تفاصيل الحديث وكان وزيراً في وزارة احمد مختار بابان آخر وزارات العهد الملكي «.. زارني في ذات ليلة من ليالي تموز الحارة احد زعماء الجيش العراقي.. وكنت استجم في بستاني الكائنة في الجادرية (منطقة الكرادة الشرقية) وتربطني بهذا الزعيم روابط صداقة متينة» ويظهر ان زيارته هذه كانت على جانب كبير من الاهمية فهي كما بدت استطلاعية وتحذيرية قال اثناء

حديثه ما معناه:

«ان الجيش يتذمر.. ولا يرغب بالسفر الى الاردن، ومن المصلحة عدم تسفيره ورفع التذمر هذا. ثم اردف قائلاً: لماذا يرسل الجيش الى الاردن في مثل هذه الظروف؟!» (الاورفه لي ص ١٧٦ و١٧٧).

وذكر لي الاستاذ الاورفه لي ان الزعيم المذكور هو احمد صالح العبدي الذي وضعته الثورة بمنصب رئيس اركان الجيش والحاكم العسكري العام. وقد اوصل تحذيره الى رئيس الوزراء احمد مختار بابان ولا يعلم بعد ذلك شيئاً. مع ملاحظة ان وزارة الدفاع كانت تقع حينئذ ضمن اختصاص مجلس وزراء الاتحاد العربي الذي يرأسه نوري السعيد.

ودّون الاستاذ نذير فنصه وهو سوري يشتغل بالصحافة الايرانية في طهران في كتابه «عاصفة فوق الشرق الاوسط»:

قبل اسبوع واحد من سقوط الملكية وقيام الجمهورية في العراق استدعاني الجنرال تيمور بختيار رئيس السافاك الايراني آنذاك يكلفني بمهمة غريبة.. قال لي.. انها مهمة وسرية عليك القيام غداً صباحاً برحلة الى استنابول.. وسيكون هناك من يتنظرك في المطار ليأخذك الى اليخت الذي يقضي عليه الامير عبدالاله خال ملك العراق وولي عهده اجازته. وتبلغ الامير الرسالة الشفهية التالية:

«قل له ان لا يعود الى بغداد، وان يستدعي الملك فيصل الثاني اليه او الى اي مكان خارج العراق باسرع ما يمكن، لان معلومات وصلتنا بان حركة انقلابية ستقع في العراق».

وكرر الجنرال بختيار عليّ: ان هناك رحلة مقررة للملك فيصل الى

تركية ولكن عليه ان يغادر بغداد فوراً الى اي مكان.

طلبت من بختيار المزيد من التفاصيل حتى اوافي بها الامير عبدالاله اذا سألني عن اي ايضاح.

اجابني بختيار: لا ادري.. لا اعرف، ولكن هناك شيئاً ما يهيأ ضد الملك.. وانا اذ اطلب منك هذا فلاسباب انسانية تتعلق بحياة الملك ولا دخل.. لا لحلف بغداد الذي يجمع ايران بالعراق ولا لأي اعتبار سياسي أخر.

سألت بختيار.
- هل ابلغ هذه الرسالك باسمك او باسم الشاه؟
اجاب: لا باسمي انا.
وقلت له: لماذا تكلفني بهذه المهمة. ولا تكلف سفيركم في تركية او في العراق مثلا؟

قال: لان المعلومات وصلتنا بشكل سري جداً.. ولاننا لانريد ان يأخذ التحذر شكلاً رسمياً.
واضاف.. انه لا يعرف ان كان الذي يخشاه هو وقوع انقلاب ولكن موعد وقوع هذا الحدث المرتقب.. قريب جداً.

غادرت طهران الى استنبول في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي، وفي مطار استنبول كان ينتظرني موظف من القنصلية الايرانية حملني في سيارته الى المرفأ.. وهناك كان بانتظاري زورق صغير اوصلني الى يخت الامير عبدالاله الذي كان على علم بوصولي.. اذكر جيداً ساعة وصولي الى اليخت.. كانت الساعة هي الحادية عشرة قبل الظهر، وكان الحر لا يطاق، وجدت الامير يرتدي الملابس البيضاء وهو يجلس في مقدمة اليخت وامامه زجاجة ويسكي اولد بار يبدو انه كان قد استهلك نصفها قبل

حضوري. بعد حديث المجاملات الذي كان قصيراً قال لي الامير: خير يانذير..؟. قلت له: سأحدثك فيما بعد، فاصر قائلا: بانه قلق لمعرفة سبب زيارتي التي اعلموه بها في الليلة السابقة. عندها سردت له ما قاله لي الجنرال بختيار. وانتظرت ردة فعله التي لم تتأخر. فقال منفعلاً ويبدو انه كان للكحول دوره في انفعاله.

- خلي بختيار ياكل.. خلي الايرانيين يتطلعوا على حالهم بدل الانشغال بنا.. خليهم ينتبهوا من جيشهم بدلا من اعطائنا الدروس.

قلت لعبدالاله:

- ياسمو الامير.. لا تستهين هكذا. بختيار يحبكم ولهذا ارسلني وهو يعتبركم «آل البيت» عندما سمع الامير عبدالاله كلمة «آل البيت» قال منتفضاً.

- نحن آل البيت مكتوبة علينا الشهادة ونحن نعرف اننا سنموت قتلا.

اقشعر بدني لتعليقه فقلت له مخففاً: هذا حكي..

قال: لا.. نحن الهاشميون كلنا سنذهب شهداء.

وخلال الغداء معه الححت عليه بعدم العودة الى بغداد، واستدعاء الملك قبل زيارته الى تركية. فكان يرفض هذه الفكرة.

تركت الامير عبدالاله في الثانية والنصف وكان مرهقاً جداً (المصدر السابق ص ١٣٨)

والواقع ان الرسالة الشفهية التي اوصلها نذير فنصه الى الامير عبدالاله في استانبول ذات دلالة واضحة على ان المعلومات التي وصلت الى الجنرال بختيار تشير بجلاء الى انتهاء مدة نظام الحكم القائم يومئذ في العراق ولا رجاء في استمراره بحال من الاحوال، لذلك لم ينصح الجنرال بختيار

الامير بالعودة الى بغداد لمجابهة الموقف الذي لا يستطع الملك فيصل الثاني فجابهته لوحده وانما دعاه الى ترك كل شيء في العراق للنجاة بنفسه وبابن اخته الملك.. كان التحذير بصيغة الحكم المبرم الذي اتخذ صفته النهائية.

ومن التحذيرات المهمة التي وصلت الي بغداد ما اورده جلالة الملك الحسين بن طلال في كتابه (مهنتي كملك) «بعد ان اكتشفت وجود مؤامرة لقلب نظام الحكم في بغداد وعمان في آن واحد: «وكان اول رد فعل لدي - والكلام لجلالته - هو تحذير ابن عمي فيصل. فاتصلت به هاتفيا وقلت له:

- لدي معلومات لابلاغكم اياها حول انقلاب عسكري يدبر في العراق، كونوا حذرين متيقظين.

سألني: بماذا تنصحونني؟

- ابعثوا لي احداً يكون شخصية هامة ولسوف اعطيه سائر التفصيلات، ولكن افعلوا بسرعة. شكرني الملك فيصل وبعث اليّ بالفريق رفيق عارف القائد العام لقوات الاتحاد العربي الذي وصل بالطائرة، لم يكن ثمة وقت يمكن اضاعته اذا اريد اكتشاف المتآمرين في الوقت المناسب، ادخل عليّ الفريق عارف فور وصوله الى عمان. وانني مازلت اذكر المشهد. كان معي رئيس الديوان ورئيس الوزراء والفريق عارف والقائد العام للقوات الاردنية. قدم ضابط من المخابرات الاردنية لعارف بتأن ودقة التفاصيل والاثباتات التي تمكن من جمعها. كنت من وقت لآخر القي على عارف نظرات خفية. كان يبدو عليه السأم والملل. وفي ختام الحديث تمطى وضحك هذا الضحك المرح الفكه المعهود لدى العرب وقال:

- «ياصاحب الجلالة.. انا جداً ممنون لجلالتكم.. وانني اقدر جهودكم، ولكنني اريد ان اؤكد لكم بان الجيش العراقي مؤسس على تقاليد متينة، وهو على اية حال يعتبر افضل جيش في الشرق الاوسط فهو لم يعرف المشاكل ولا

التغييرات التي طرأت حديثاً على الشرق الاوسط. وتوقف قليلاً ليلتقط انفاسه ثم قال:

- لدي انطباع بان الاحرى بنا نحن ان نقلق على الاردن. فهذا الانقلاب يهدد بلادكم فعلاً وليس بلادنا فارجوكم ان تراعوا جانب الحذر والحيطة.
فصحت به:

- ولكن لابد لك من ان تفهم خطورة الموقف الذي يلقي بثقله على العراق ايضاً.
فاجابني
- اؤكد لك انني فهمت.. ولكنني اشك في ذلك.
ورجوته قائلا:
- عدني على الاقل بانك سوف تطلع الملك فيصل والسلطات على كل الوثائق التي ابلغناك اياها.
- اعدكم ياصاحب الجلالة بان الملك والحكومة سوف يجري ابلاغها..»
(الحسين بن طلال. مهنتي كملك. ص ١٥٤ - ١٥٥).

والواقع ان الفريق رفيق عارف الذي انكر امام جلالة الملك حسين وجود اي خطر يمكن ان يحيق بنظام الحكم في العراق بسبب يتعلق بالجيش كان من اكثر المعنيين متابعة لنشاط تنظيمات الضباط الاحرار في الجيش العراقي ومعرفة به. وكان الامير عبدالاله نفسه يجاريه في ذلك المضمار او يجري دونه بقليل. واحسب ان نوري السعيد هو وحده الذي كان نائماً ورجله في الشمس - كما يقول المثل العراقي.

والسبب..؟
سألت مرة المقدم محمد الشيخ لطيف ضابط استخبارات الحرس الملكي عن العلة في استهانة الامير عبدالاله بالمعلومات التي كانت تصل اليه عن

الضباط الاحرار. فرد عليّ بقوله:

كانت تصل الى استخبارات لواء الحرس الملكي معلومات كثيرة وتفصيلية عن نشاط الضباط الاحرار في الجيش العراقي، وكنت اسرد عليه تلك المعلومات اولاً باول لانه كان يسأم من قراءة التقارير المدونة. والذي اعرفه ان الامير كان يبعث بتلك المعلومات الى السفارة البريطانية ببغداد لتقييمها ويبدو ان الجهة المختصة هناك كانت تهون عليه امر تلك المعلومات.. معلومات غير دقيقة.. او.. لا اهمية لها او.. كاذبة او.. مجرد اشاعات شيوعية الغرض منها اثارة نقمة الامير ضد الضباط القوميين الذين يقال عنهم انهم الضباط الاحرار وحمله على طردهم من الجيش ليخلو الجو امام الحزب الشيوعي العراقي في الوصول الى الحكم.. وذكر لي المقدم محمد.. انه سمع ذلك من ولي العهد مرات عديدة.. وعلى ذلك يمكن ان نفهم عبارات التشكيك او التقليل التي كانت ترد في كلام الامير اثناء مناقشته للمعلومات مع الضابط فالح زكي حنظل وغيره ولاسيما في بداية المتابعات.. بعدها.. يبدو انه اخذ يشك بدوره بتشكيك الجهة البريطانية بتلك المعلومات.

اما نوري السعيد الذي لا يمكن ان يرتاب بما تؤكده الجهة البريطانية فانه لم يقع على حقيقة ما كانت تطويه عنه الا بعد ان يئس من وجود اثر لطائراتها في سماء بغداد يوم الرابع عشر من تموز والساعات التي بقيت له من اليوم الذي يليه - على ما يروى عن بعض آل الاستربادي -

نعود الى الفريق الركن رفيق عارف الذي اعتاد انكار وجود تنظيمات للضباط الاحرار في الجيش العراقي فانه اظهر نفسه اثناء محاكمته امام المحكمة العسكرية العليا الخاصة بتهمة التآمر على سورية وكانه واحد من الضباط الاحرار سوى انه لم يكن منظماً معهم.. فذكر انه اصطدم بالامير عبدالاله عندما طلب منه ارسال لواء عراقي لاحتلال دير الزور لانها (بالاصل عراقية)، وناقشه بان قطعات الجيش غير مستعدة لمثل هذه

الحركة. وكان النقاش حاداً خرج الامير على اثره غاضباً منفعلاً من الغرفة، واستأذن رئيس اركان الجيش بدوره من الملك فخرج هو الاخر منفعلاً لان الكلمات التي وجهها له الامير لم تكن بشكل هادىء وكانت الحادثة - والكلام لرفيق عارف - سبباً لبرود مستمر بيني وبين الامير عبدالاله.. واجهت الملك بعد كم يوم وطلبت منه ان يعفيني من منصبي ولكنه طلب مني التريث والهدوء والتأجيل.. وقد شاع بين اهلي واصدقائي اني عازم على الاستقالة.. وقد تجدد هذا العزم في عمان وذلك قبل الثورة بايام كنت مرهقاً وغير سعيد بوظيفتي.. وكان القلق والاجهاد يساورانني بصورة مستمرة.. فالجو في العراق متكهرب.. وكنت اخشى من مجابهة تظاهرات ارى الجيش غير مستعد لمجابهتها، كانوا يرسلون لي اما مباشرة او بواسطة الاستخبارات معلومات كثيرة ترد اليهم من الشرطة والتحقيقات (الجنائية) - الامن العامة - ومن مصادر اخرى عن فعاليات الضباط البارزين والصغار من الاحرار وعن اجتماعاتهم ويدعون انني لا اعرف اصول التحقيق معهم، ويلحون بارسالهم الى الشرطة للتحقيق.. وكنت احميهم جميعاً لانني كنت اشعر بشعورهم واقدر اسباب استيائهم من الاوضاع.. وكنت اعرف ان هذا الشعور هو عام بين الضباط وكنت اكتفي بالنصيحة والرفق، او بالنقل لاولئك الضباط الذين يطلبون مني التشدد معهم.. ارجو ان يشهد لي من اولئك الضباط الذين وردت اسماؤهم اليّ.. المقدم شكيب الفضلي والمقدم رفعة الحاج سري والمقدم نعمان ماهر الكنعاني.. وحتى الزعيم عبدالكريم قاسم.. اسألوه وردتنا اخبار عنه ايضاً.

كانت تلك الامور ترد الى من عبدالاله ونوري السعيد ويطلبون مني اتخاذ الاجراءات ضدهم.. اذكر مثلاً اسماء طاهر يحيى وعبدالعزيز العقيلي وناظم الطبقچلي ومحي عبدالحميد، كنت اردع عنهم التقولات بعلمهم وكذلك عن شاكر محمود شكري، وجاءتنا اخبار عن اجتماعات بين الزعيم جسام والزعيم ناجي طالب والعقيد رجب عبدالمجيد.. وكل اولئك هم من خيرة الضباط، فكيف لايمكن ان اتفق معهم بشعورهم واجمعهم واكافح

في سبيلهم..

لقد وقفت الى جانب صديقي الحميم الفريق الركن نجيب الربيعي على طول الخط واستخلصت له كافة حقوقه رغماً عن رغبة عبدالاله.

ثم هناك قضية الضابط الملازم كمال (مجيد) من الحرس الملكي ويظهر انه تفوه كما قيل لي باغتيال نوري السعيد الى احد ضباط الشرطة ووصل الخبر الى عبدالاله، وطلبوا مني اتخاذ اجراءات ضده وتسليمه الى الشرطة لغرض التحقيق معه خاصة بعدما سمع نوري السعيد. وقد اكتفيت بان اطلب من مديرية الاستخبارات العسكرية اجراء تحقيق طفيف معه واحالته على التقاعد.. (م. ص ٤٢٥) والواقع ان المعلومات التي يمتلكها رئيس اركان الجيش عن الضباط الاحرار اوسع بكثير من التي سردها امام المحكمة العسكرية العليا الخاصة.

لقد اهمل امام المحكمة ـ وبصورة تلفيت النظر ـ ذكر بسط حمايته على ضابطين خطيرين من الضباط الاحرار هما العقيد عبدالوهاب الامين والعقيد عبدالسلام عارف على حين ذكر اسم عبدالكريم قاسم نفسه في ذلك السياق. ولعله صب عليهما ـ بالذات ـ اقبح النعوت في سره ساعة القاء القبض عليه من قبل بعض ضباط الثورة.

كان عبدالوهاب الامين واحداً من امراء الافواج الناجحين في اللواء الاول الذي يقع تحت امرة العقيد رفيق عارف ويبدو ان هذا آثر اخاه رئيس اركان الجيش بالضابط الناجح فتم نقله الى مديرية الحركات العسكرية في وزارة الدفاع وقد حسب على الفريق رفيق عارف منذ ذلك الوقت.

وذكر لي العقيد الركن هاشم الحاج كمال:

ان هناك (دربونة) غير نافذه يقع في محلة (سوق حمادة) بالكرخ فيه ثلاثة دور متجاورة هي بيت الحاج كمال وبيت ملا عارف وبيت القيماقجي

الذي هو بيت رفيق عارف ومثل هذه الجيرة يجب ان تكون حميمة وفق المفاهيم الاخلاقية والدينية لدى اهل بغداد القدماء وذلك يحتم ان تكون العلاقة حميمة هي الاخرى بين رفيق عارف القيماقجي وبين عبدالسلام ابن الملاعارف.

* الضابطان عبدالوهاب الامين وعبدالسلام عارف هما اللذان صنعا ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ بمعاونة ضابط آخر غير عبدالكريم قاسم.

* والذي يلفت النظر في العلاقة بين الضابطين المذكورين انهما كانا متنافرين متخاصمين لا يكادان يلتقيان على صعيد واحد قبل الثورة وبعدها.. قبل الثورة كانا لا يلتقيان في اجتماع من اجتماعات اللجنة العليا للضباط الاحرار الا على زعيقهما الواحد بوجه الآخر حتى ينفض الاجتماع قبل اوان انفضاضه.. وبعد الثورة فقد تم نقل عبدالوهاب الامين باسم عبدالسلام عارف في الرابع والعشرين من شهر تموز ١٩٥٨ من منصب مدير الحركات العسكرية الى منصب الملحق العسكري في القاهرة اي بعد عشرة ايام من قيام الثورة لا تزيد ولا تنقص.

* حقق عبدالوهاب الامين الثورة بـ «كتاب الاركان العامة المرقم ح/ صفر/ ٨٩٣ في ٢٥ حزيران/ ١٩٥٨ (القاضي) بتحريك اللواء العشرين والقطعات الملحقة به مجتمعاً وبمرحلة واحدة الى الفلوجة بدلا من تنقله قدمات افواج /كما كان متبعاً في الماضي على ان يدخل بغداد في الساعات المبكرة صباحاً». وايضاً.. «تستصحب الوحدات عتاد الخط الاول من بغداد على ان يطرح العتاد الموجود لدى رتل هادي حيث يستلم من الرتل عند الوصول كما مثبت لدى آمر الجحفل» (العميد خليل ابراهيم حسين. ثورة الشواف جـ١ ص ٣٦).

وبادر العقيد الركن عبدالسلام عارف الى تسلم حصة فوجه الكاملة من

العتاد بموجب ذلك الامر ومثل ذلك الامر لا يمكن ان يصدر بمعزل عن علم او رأي رئيس اركان الجيش وإن كان قد صدر بتوقيع وكيل مدير الحركات العسكرية العقيد الركن عبدالوهاب الامين..

وسألت (العميد الركن) الدكتور شكري محمود نديم مدير الحركات العسكرية - يومها - اصالة وهو متدين منذ نشأته الاولى: اذا كان احد قد زين له اداء فريضة الحج ذلك العام بالذات ليصدر وكيله عبدالوهاب الامين الامر المشار اليه عند الحاجة. فنفى ذلك نفياً قاطعاً واوضح لي ان الدافع الذي جعله يذهب الى الديار المقدسة هو دافع شخصي محض.

على اية حال.. الذي يجب ان نتوقف عنده هو ان حركة صقر بمثابة ورقة اذن بسيطرة اللواء العشرين على بغداد لمصلحة بغيضه عبدالسلام عارف.. وكان يعي ذلك. وآخر ملاحاة بينهما جرت في اجتماع اللجنة العليا للضباط الاحرار في منتصف حزيران ١٩٥٨... بحضور كافة اعضاء اللجنة.. تقدم فيه عبدالسلام عارف بمشروع خطة عسكرية يسيطر بها على بغداد هو وعبدالكريم قاسم، وقد لاقت الخطة معارضة جميع اعضاء اللجنة ماعدا عبدالكريم قاسم الذي لاذ بالصمت فلم يؤيد الخطة ولم يعترض عليها «واذكر - الكلام للواء محسن حسين - حصلت بعض المشادة الكلامية بين عبدالسلام وعبدالوهاب امين، الا ان ناجي - لعله يريد ناجي طالب - تدخل في الموضوع وحاول تهدئة الموقف. ولما رأى عبدالسلام معارضتنا له جميعاً في هذه الخطة قال بحدة (هذا حدنه وياكم) ولم يحضر اجتماعاتنا بعد هذا» (الذاكرة التاريخية لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ص ٥٦).

وهنا نجد انفسنا ازاء احد مغلقات ثورة ١٤ تموز يقين عبدالوهاب امين بمحاولة عبدالسلام - عبدالكريم الانفراد بالثورة وانه ليس مع ذلك الانفراد.. وهذا اليقين لا يقتصر عليه وحده وانما عم اغلب اعضاء اللجنة العليا.

اعلان عبدالسلام عارف - بعد المشادة بينهما - خروجه على اللجنة العليا وفك ارتباطه بها (هذا حدثه وبالكم) وانه لم يحضر فعلاً اي اجتماع من اجتماعاتهما بعد ذلك.

فلماذا يسر له الخطة التي تمكنه من السيطرة على بغداد بدون عناء بعد عشرة ايام من ذلك الاجتماع؟

يبدأ ما يمكن توثيقه من العلاقة بين الفريق رفيق عارف والعقيد عبدالوهاب الامين بخصوص الضباط الاحرار في تشرين الاول ١٩٥٦، فقد حدث ان وقع اجتماع للضباط الاحرار في مشتمل يعود الى صفاء العارف شقيق المقدم الركن اسماعيل العارف في الكاظمية حضره كل من: رفعة الحاج سري وعبدالوهاب الامين واسماعيل العارف وصالح عبدالمجيد السامرائي.

وفي اليوم التالي لعقد الاجتماع وصل خبره وما دار فيه الى رئيس اركان الجيش الفريق الركن رفيق عارف، فاستدعى المجتمعين فرادى فوبخهم وتهددهم باوخم العواقب (ولكنه) لم يتخذ اي اجراء انضباطي بحقهم كما انه لم يخبر السلطات العليا بالموضوع.. واكتفى بنقل اسماعيل العارف الى منصب الملحق العسكري في واشنطن، وصالح عبدالمجيد السامرائي الى منصب الملحق العسكري في عمان ورفعة الحاج سري الى منصب ضابط تجنيد قلعة صالح، وابقى عبدالوهاب الامين في منصبه رئيساً لشعبة الحركات في مديرية الحركات العسكرية.. وقد حامت الشكوك في بادىء الامر حول اسماعيل العارف وصالح عبدالمجيد من ان واحداً منهما هو الذي وشى بالاجتماع لدى رئيس اركان الجيش لان الاول سكرتيره وقد اسند الى كل واحد منهما منصباً لامعاً، بينما اتهم اسماعيل العارف عبدالوهاب الامين وحجته انه هو الوحيد الذي بقي محتفظاً بمنصبه الخطير (مدير شعبة الحركات) ولم ينقل منها..

لقد اكد اللواء الركن غازي الداغستاني للمقدم الركن صبيح علي غالب اثناء اجتماعه به في لندن قبل وفاته ان (عبدالوهاب الامين هو المخبر. ويقول اسماعيل العارف ان العميد الركن رفيق عارف شقيق رفيق اكد له ان عبدالوهاب هو المخبر، ولقد سألت انا شخصياً - الكلام لصبحي عبدالحميد - العميد رفيق عن صحة ذلك فأكد لي ان شقيقه اخبره بان عبدالوهاب امين هو المخبر (صبحي عبدالحميد «اسرار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق. ص ٤٧»)، ويذكر الدكتور فاضل حسين في كتابه (سقوط النظام الملكي في العراق ص ٤٣) ان رفيق عارف عندما كان (في السجن زاره حفظي عزيز وزوجته التي هي اخت رفيق فاخبرهما ان عبدالوهاب الامين هو الذي افشى سر الاجتماع ثم اخبر حفظي صديقه جهاد احمد فخري وهذا بدوره اخبر رجب عبدالحميد الخبر).

وحاول الاستاذ صبحي عبدالحميد التخفيف من وابل الشهادات التي انصبت على رأس الامين بقوله: «ورغم كل ذلك فان استمرار عبدالوهاب الامين بالعمل في اللجنة العليا للضباط الاحرار حتى قيام الثورة دون كشفها يدحض او يشكك بالاقوال اعلاه لذلك ماتزال الحقيقة ضائعة مالم يتكلم الفريق رفيق نفسه» (المصدر السابق ص ٤٨).

لسنا هنا بصدد الكشف عن الواشي الحقيقي سواء كان عبدالوهاب الامين ام غيره.. ولنفرض ان غيره هو الواشي ولكن الذي يجب ان يستقر في ذهن رئيس اركان الجيش بعد ان تمت الوشاية فعلاً ان عبدالوهاب الامين هو من كبار الضباط الاحرار شأنه في ذلك شأن بقيةُ الضباط الذين حضروا في الاجتماع. وكان من الواجب ابعاده عن منصبه الى اي منصب عسكري أخر رفيع او غير رفيع بعد ان اصبح موضع شبهة امام النظام القائم، ولكن ان يسند اليه منصب مدير الحركات العسكرية وكالة بعد سفر المدير الاصيل العميد شكري محمود نديم الى الديار المقدسة في الظروف

الحساسة التي كان يمر بها الجيش - ورئيس الاركان - من اعرف الناس بها وان يصدر هذا المدير امر حركة (مريب) لاحد الوية الجيش غير مألوف في بابه.

وطالما تهدد احد امراء الافواج في اللواء المذكور بالثورة على النظام القائم وكانت تهديداته تلك تصل الى رئيس اركان الجيش وقائد الفرقة الثالثة فذلك هو الذي يستوقف النظر.
أو ترى ننظر الان الى الامور بغير العين التي اعتادوا النظر بها يومذاك؟ واية كانت العين التي ننظر بها فلابد من تخمين احتمالين!

الاول: ان رئيس اركان الجيش لم يكن يملك اقل مؤهلات القيادة العامة للقوات المسلحة.

الثاني: ان له رأياً في الحياة السياسية الجارية آنذاك في العراق، وكان ينوي استخدام الجيش لاجراء تغيير ما في تلك الحياة.
حيث لا يمكن ان يملأ عبدالوهاب الامين ومن ورائه الفريق رفيق عارف المسدس بالرصاص وسلمانه الى عبدالسلام عارف لمصلحة شخص آخر غيرهما.

اما بقاء عبدالوهاب الامين في اللجنة العليا للضباط الاحرار مابعد تشرين ١٩٥٦ الى تفجير الثورة (دون كشفها) فلعل ذلك ما يتطلبه عمله الجديد مع رئيس اركان الجيش. ومع ذلك فلا يمكن تحديد ولائه الحقيقي: هل هو لرفيق عارف او للجنة العليا، الا انه على التحقيق ليس مع انفراد قاسم -عارف بالثورة.

اما عبدالسلام عارف الذي هو جيران العمر بالاساس مع رفيق عارف. فيقول العقيد عبدالكريم الجدة آمر الانضباط العسكري في شهادته على

عبدالسلام عارف «ان المتهم كان ضابط ركن رفيق عارف وكنا نعرف هو باتصال مع رئيس اركان الجيش. وهو اشتغل معه في اللواء الرابع، وكان رفيق عارف يعتمد عليه» (م. ص ١٩٩٧). والعلاقة بين الفريق رفيق عارف والعقيد عبدالسلام عارف كانت معروفة ومشهورة في الاوساط العسكرية ولاسيما في وسط الضباط الاحرار الذين كانوا يحذرون بسبب ذلك من ادخال عبدالسلام عارف بين صفوفهم لو لم يضعهم الزعيم عبدالكريم قاسم ذات مرة امام الامر الواقع وذلك عندما صحبه من غير استئذان الى احد اجتماعاتهم السرية فأديا سوية قسم المنظمة.

ومما حدثني به (العميد الركن) الدكتور شكري محمود نديم الذي كان مديراً للحركات العسكرية ان عبدالسلام كان يزور الفريق عارف في ديوانه في وزارة الدفاع وكان يطيل الجلوس معه بحيث يؤدي ذلك الى تأخير بعض المعاملات المستعجلة وقد نبه العميد شكري عبدالسلام على ذلك.

ومما يرويه الدكتور فاضل حسين في كتابه (سقوط النظام الملكي في العراق. ص ٤٧) ماذكره له اللواء مزهر الشادي الذي كان معاوناً لرئيس اركان الجيش :

«ان عبدالسلام عارف حضر عنده في وزارة الدفاع في اليوم الاول من تموز ١٩٥٨ واخبره ان الجيش سيقوم بثورة وانهم يريدون من مزهر تعاونه معهم، ولما سأله عن مصير الملك مرّ بيده على رقبته اي، نذبحه، فرد عليه مزهر انه لن يكون شحر بن ذي الجوشن ويقتل العلويين. وقال مزهر: ان عبدالسلام خرج من غرفته وتوجه الى غرفة رفيق عارف. فتساءل الشاوي بينه وبين نفسه: كيف يطمئن الى عبدالسلام صديق رفيق عارف؟».

ويصف العميد خليل ابراهيم حسين عبدالسلام عارف في الاسابيع التي

سبقت قيام الثورة انه «لم يعد يبالي بالسرية والكتمان بدرجة بالغة» (المصدر السابق ص ٣٦) ويستدل على ذلك بزيارة قام بها السيد توفيق عارف شقيق رئيس اركان الجيش لعبدالسلام عارف بشأن استحصال اجازة اعتيادية لنائب ضابط من اقربائه يشتغل في الفوج الثالث لواء العشرين كان ذلك قبل الثورة بشهر ونصف فما كان من عبدالسلام الا وينفجر في وجهه شاتماً الحكومة وسياستها وتصرفاتها منزلاً جام غضبه على نوري السعيد وميثاق بغداد مهدداً بالثورة مثنياً على جمال عبدالناصر والجمهورية العربية المتحدة.. فذهل السيد توفيق عارف لما سمعه.. وازداد ذهوله (عندما) حدثه قريبه النائب ضابط عما يجري في الفوج الثالث بما يتفق وحديث أمره العقيد عبدالسلام فما كان من السيد توفيق الا وذهب الى قائد الفرقة الداغستاني، فلم يجد لديه صدى لشكايته بسبب ميل الداغستاني الى الانتصار للقيم الانسانية والتزام جانب معيته ثم ذهب الى كل من وزير الداخلية سعيد قزاز ومدير التحقيقات الجنائية العام بهجة عطية ومدير الشرطة العام عباس علي غالب وقص على كل واحد منهم القصة بكاملها، فكان جواب كل واحد منهم ان الموضوع يتعلق بالجيش وإن اخاه رئيس اركان الجيش اولى بسماع القصة وهو المسؤول عن اتخاذ مايلزم بشأنها.. وذهب الى اخيه ومعه قريبة نائب الضابط وقص الاثنان عليه كل ما يعرفانه حول الموضوع» (المصدر السابق ص ٣٦).

يقول (المتهم) عبدالسلام عارف امام المحكمة العسكرية العليا الخاصة: «هناك اسرار الثورة التي لايعرفهاالا الله والراسخون في العلم» (م.ص٢١٨٨) ولابد ان يكون (العقيد الركن) عبدالسلام عارف في القلة من الراسخين في العلم الذين يعرفون تلك الاسرار.

وهنا نصل الى حدث مثير في القصة.. قصة الفريق الركن رفيق عارف والثورة.. يقول (المتهم) عبدالسلام عارف في المحكمة المذكورة بصدد الرد على شهادة العقيد عبدالكريم الجدة وما تطرقت اليه من العلاقة بين

عبدالسلام ورئيس اركان الجيش:

«جاء على لسان احد الشهود بأني احد ضباط ركن الفريق المتقاعد رفيق عارف، فهذه اضبارتي تدل على عدم اشتغالي بامرته مباشرة كضابط ركن ولكني انور المحكمة المحترمة.. فلقد كانت هناك خطة مدبرة بيني وبين زعيمنا لستر الفعاليات قبل الثورة، فيقال عن الزعيم انه عائد لنوري السعيد ويقال عني اني عائد لرفيق عارف وبذا نخلص من شر الجواسيس، وفعلا نجحنا في ذلك. وإن اجتماعي برفيق عارف كان بحضور الزعيم، وهو يعرف كل شيء» (م. ص ٢١٧٨).

وقد مر بنا اعتراف (المتهم) رفيق عارف امام المحكمة بانه قد بسط حمايته على الزعيم عبدالكريم قاسم ضمن من بسط عليهم حمايته من الضباط الاحرار وهنا يعترف عبدالسلام عارف ان اجتماعه برئيس اركان الجيش كان بحضور الزعيم.

فما هو غرض رئيس اركان الجيش عندما يجتمع بضابطين يعرف تمام المعرفة انهما من الضباط الاحرار؟

هل كان غرضه من تلك الاجتماعات اسداء النصائح لهما بصورة مستمرة بالتعقل والابتعاد عن المخاطر؟

وعبدالسلام هذا ضابط شجاع الى حد التهور وقد بدأ في اول ظهوره في الحياة العامة بسيطاً ساذجاً لا يتحفظ في كلام ولا يتروى في تفكير ولا يتأنى في اندفاع كما يوجبه مركزه الجديد في الدولة، وبقي الناس يتندرون ردحاً من الزمن، بمقاطع من خطبه التي حاول ان يتقرب بها الى الشعب وقد اوصله سلوكه ذاك الى مأزق ضيقة، ومع هذا فقد ثبت فيما بعد انه مخطط طويل النَفَس إذ كانت غايته البعيدة الانفراد بحكم العراق

فتم له ذلك بعد خمس سنوات وبضعة اشهر من قيام الثورة.

وصفه العقيد وصفي طاهر في شهادته (ضده) يوم ٢٧ كانون الاول ١٩٥٨ بقوله «لقد حاول المتهم القضاء على الزعيم باية وسيلة كانت وضم العراق الى الجمهورية العربية المتحدة فوراً واعلان نفسه نائباً لرئيس الجمهورية هذا كان قصده وانني اعتقد بل اجزم ان المتهم لو تمكن من التخلص من الزعيم لما اخلص لجمال عبدالناصر ايضاً لانه أناني في طبعه وحقود الى اقصى حدود الحقد..» (م. ص ٢٠٢٢).

إن الصورة التي رسمها وصفي لعبدالسلام واقعية ودقيقة جداً على ما بين الرجلين من خصومة لدودة تجعل كل واحد منهما يقول اسوأ ما يعرفه في الاخر.

فقد كان عبدالسلام وهو في المراكز العليا في الدولة لا ينسى خصوماته الصغيرة عندما كان مجرد آمر فوج.
وكان وصولياً.. ربما لاعتقاده في قرارة نفسه بانه هو الذي صنع الثورة ولا يجب ان تعلو يد على يده.

منح عبدالكريم قاسم في بياناته الاولى التي اذاعها من الاذاعة المركز الاول في الثورة واحتفظ لنفسه بالمركز الثاني ولو قدر ان الامر يستقيم له بالمركز الاول منذ البداية لما اقدم على تلك الخطوة.. وقد تنبه عبدالكريم قاسم لذلك فحاول المحافظة على مواقعه الجديدة والكيد لعبدالسلام منذ اليوم الاول للثورة.

عندها رفع عبدالسلام بوجهه شعار الوحدة بالتعاون مع حزب البعث العربي الاشتراكي وعندما اوصله البعثيون الى شدة رئاسة الجمهورية في ٨ شباط ١٩٦٣ قرر ابعادهم عن الحكم الذي هيأوه له باسم جمال عبدالناصر

ولما استتب مقعده على كرسي الرئاسة بعد ردة تشرين قلب لعبدالناصر ظهر المجن ونبذ شعار الوحدة وراءه ظهرياً.

إن مسيرة عبدالسلام هذه.. من عبدالكريم قاسم.. الى حزب البعث العربي الاشتراكي الى.. جمال عبدالناصر.. الى عبدالسلام عارف نفسه تجعلنا نرجع بان محطته الاولى التي بقيت مجهولة كانت مع رفيق عارف الذين هيأ بغداد لأن يسيطر عليها عبدالسلام عارف دون عناء يذكر.

انني لا اريد الذهاب هنا مع بعض الباحثين الذين يرون ان تكتم الفريق رفيق عارف على المعلومات التي كانت تصل اليه عن الضباط الاحرار لانه لم يشأ ان يظهر بمظهر القائد العسكري الضعيف امام المقامات العليا في البلاد. فهذا يمكن ان يحدث في بادىء الامر ولمرة واحدة على اساس المعالجة بالحسنى ولكنه عندما يستمر اتساع التنظيمات الى نهاية العهد فلابد من وجود سبب آخر لذلك التكتم.

كان عليه ـ على الاقل ـ ان يحسب حساب اليوم الذي تعصف فيه تلك التنظيمات به وبغيره من رموز النظام، فاذا وجد نفسه عاجزاً عن سد البثق والسيطرة على من يليه من الضباط فالاحرى ان يستعفي من منصبه باصرار ويلزم بيته ويعيد الامر الى اهله يصنعون به ما يشساوون ان الذين يذهبون الى ذلك كانهم يريدون ان يقولوا بانه كان يخدع نفسه ولا نحسب ان الامر كان كذلك.

كما لا أريد الذهاب مع الذين يرون بان ولي العهد ورئيس اركان الجيش لم يكونا يمتلكان المعلومات الكافية عن الضباط الاحرار تلك المعلومات التي تتيح لهما وضع اليد على تحركاتهم الحساسة في الوقت المناسب.

كأن الرد على هذه المقولة هو ان الأول كان الرئيس الأعلى للدولة وعلى

علاقة واسعة باغلب ضباط الجيش والثاني هو الرئيس الفعلي للمؤسسة العسكرية في البلاد. وعندما يعلمان بوجود تنظيمات للضباط الاحرار في داخل صفوف الجيش فلابد لهما من متابعة تلك التنظيمات متابعة فعالة ودقيقة واستقصاء اخبارها استقصاءاً واسعاً وذلك بما يتيحه لهما مركزهما من وسائل فعالة ومتمكنة لا تتيسر لغيرهما من الذين يتداولون مثل هذه الاخبار في الاندية والمقاهي والمجالس الخاصة فيضربون فيها اخماساً بأسداس، ويضلون بين الشك واليقين والترجيح والتخمين.. ولاسيما ان القضية هي قضية حياة او موت بالنسبة لهما ومثل هذه القضية لا يمكن ان يتهاون اي احد من الذين تتناولهم. وقد كان رئيس اركان الجيش محسوباً على الامير عبدالاله على الرغم مما ذكره في افادته امام المحكمة العسكرية العليا الخاصة من وجود اختلافات بينهما تصل احياناً الى حد القطيعة او الجفوة.

وقد استوجب رفع (امير) اللواء رفيق عارف الى منصبه احالة عدد من (أمراء) الوية الجيش العراقي على التقاعد او نقلهم الى وظائف مدنية خارج وزرة الدفاع ليستقيم له موضوع القدم في منصبه الجديد.

والذي يلفت النظر في الامير ورئيس اركان الجيش ان كل واحد منهما كان يرد على من يحاول ان يحوم حول موضوع الضباط الاحرار معهما بغلظة قاطعة شأن من يبعد متطفلاً على سر من اخص اسرارهما مما يصح معه الاستنتاج بانهما سلما بحقيقة وجود تنظيمات الضباط الاحرار في صفوف الجيش ولكنهما خططا لاحتواء بعضها لمصلحتهما او لمصلحة واحد منهما وضرب البعض الآخر في الوقت المناسب.

والحقيقة ان فكرة القيام بانقلاب عسكري لم تكن غائبة عن اذهان كبار ضباط الجيش العراقي حتى المقربين منهم الى الحكم يومذاك.

فقد اعترف اللواء الركن غازي الداغستاني قائد الفرقة الثالثة امام المحكمة العسكرية العليا الخاصة انه كان بصدد القيام بثورة ولكن ثورة الرابع عشر من تموز سبقته الى ذلك وابرز خطة الثورة امام المحكمة الا ان المحكمة دفعتها بحجة انه كتب الخطة فيما بعد.

وحدثني المقدم محمد الشيخ لطيف ضابط استخبارات لواء الحرس الملكي ان اللواء عمر علي قائد الفرقة الاولى كان من الضباط الذين فكروا بالقيام بانقلاب عسكري وبدأ بالسعي لتحقيقه، واوضح العقيد ياسين محمد رؤف: ان عمر علي اتصل بالعقيد خليل جميل وطلب منه التشاور مع الملك للقيام بانقلاب عسكري الغرض منه ابعاد الامير عبدالاله والسيد نوري السعيد عن العراق الا ان العقيد خليل جميل رفض ذلك بحجة انه لا يريد ان يعدم كما اعدم اخوه جمال خليل في اليمن من جراء انقلاب عسكري فاشل وقع هناك عام ١٩٤٨. وقال لي العميد الركن الدكتور شكري محمود نديم مدير الحركات العسكرية ـ يومها ـ ان اللواء عمر علي اتصل به هو ايضاً للغرض ذاته.

وروى لي السيد هاتف الثلج عن السيد جاسم مخلص ان جاسماً فاتح الملك عندما رآه في حيرة من امره وهو في الدوامة بين خاله ونوري السعيد والانكليز بالقيام بانقلاب عسكري يضع الملك في مركزه الحقيقي الا ان الملك رفض الفكرة واعتبرها مغامرة غير مأمونة العواقب وخاصة فيما يتعلق بالجانب الانكليزي منها

* * * * * *

ترك نذير فنصه الامير عبدالاله في يخته في نحو الساعة الثانية والنصف بعد الظهر بعد ان سرد عليه تحذير بختيار.. كان الامير مرهقاً بعد المقابلة المتعبة.. وبدلاً من الالتزام بنصيحة بختيار فانه اوصى بطلب طائرة تعيده الى العراق فوراً فلم يجد سوى طائرة صغيرة غير مناسبة

ومع ذلك فانه استقلها الى بغداد.

سأله توفيق السويدي - وكان الامير قد اعلن قبل سفره انه سوف يقضي الصيف كله في خارج العراق - عن سبب عودته المفاجئة، واذا كان قد فضل حر بغداد على هواء استانبول العليل. فاجابه الامير: «انه فهم من بعض اتصالاته ومن المعلومات التي اتته من الداخل ان بعض المفسدين قد يقومون ببعض الحركات والتشويشات اثناء غياب الملك وغيابه هو ايضاً عن العراق فاراد ان يبقى ببغداد عندما يغادر الملك الى لندن». (السويدي ص ٥٨٩).. كان ذلك في يوم ١٠ تموز.. وفي الحادي عشر منه وبخ الامير الشيخ غازي العلي الكريم لانه اراد ان ينهي اليه تفاصيل انقلاب عسكري مرتقب بعد يومين او ثلاثة بقوله: اهتم باشغالك واترك مثل هذه الامور لاهلها.. وفي ذلك اليوم او الذي قبله حاول رئيس اركان الجيش انهاء المقابلة الخطيرة بينه وبين جلالة الملك حسين بضحكته المعروفة..

وفي ذلك اليوم كانت اخبار تحرك الجيش تملأ اسماع الطبقة العليا في الحكومة العراقية، فقال رئيس الوزراء احمد مختار بابان لاحد وزرائه، الشيخ علي الشرقي، الذي اخبره بشيء من ذلك: اذا تحرك الجيش فما عسى ان نصنع؟

قال له علي الشرقي: يجب ان نجد مجالاً للعمل والا فما معنى بقائنا على رأس الحكم؟!

رد عليه رئيس الوزراء: لقد رفعت استقالتي منذ امس وانا بانتظار قبولها (الاحلام ص ١٨٤) ويقول وزير آخر من وزراء بابان هو الاستاذ جميل الاورفه لي.

«لقد اكملت جولتي (في الشمال) ثم رجعت الى بغداد واجتمعت برئيس

الوزراء وشرحت له الموقف وهو غير خاف عليه وفصلت له مادار بيني وبين الدكتور (عبدالجبار الجومرد) من حديث حول شؤون الساعة، فقال: لا يمكن عمل شيء الآن بسبب عزمه على تقديم استقالته وذلك لخلافات طرأت بين حكومته وحكومة الاتحاد التي يرأسها نوري السعيد حول بعض القضايا المالية والاعلامية» (الاورفه لي المصدر السابق ص ١٦٧).

ويبدو ان بابان تعكز على الخلافات المالية والاعلامية بين حكومته وحكومة الاتحاد ويبدو ايضاً ان الامير ـ واحمد مختار بابان من رجاله ـ هو الذي أوعز له بالاستقالة بعد عودته من استانبول مباشرة.

يقول الشرقي (في الاحلام ص ١٨٥): «وعبدالاله كان ناجياً بمهجته وقد حرر مجلس الوزراء قائمة باسماء هيئة النيابة عن الملك المعتزم على السفر، تضطره ـ يريد عبدالاله ـ الخطط المفاجئة ان يقطع رحلته راجعاً الى بغداد مجازفاً بركوب طائرة صغيرة.. غير مريحة وبطيئة بعد ان اعياه الحصول على احسن منها وهو يريد سرعة الوصول ليلعب بالنار او لتلعب به الاقدار.

انه يريد ان يزج الجيش والقدر يريد ان يزج به الجيش.. لقد كان عازماً على تشكيل وزارة تخلف وزارة بابان تشجعه على المغامرات والاندفاعات حينما يقوم بالنيابة عن الملك المسافر».

ويقول الاستاذ جميل الاورفه لي في مذكراته (ص ١٦٨) «وكان مقرراً على الارجح بان يتولى رفيق عارف رئيس اركان الجيش رئاسة الوزارة».

وتقرر ان يتم قبول استقالة احمد مختار بابان واسناد منصب رئيس الوزراء الى الفريق رفيق عارف من قبل نائب الملك الامير عبدالاله بعد سفر الملك الى استنابول ثم لندن ـ وذلك ما يلفت النظر. من اجله منح

نائب الملك الامير عبدالاله ولاول مرة في تاريخ العراق الدستوري صلاحيات الملك الكاملة بما في ذلك قبول استقالة الوزارة واسناد تشكيلها وحل مجلس النواب وهذه الصلاحيات كانت تستثنى في العادة من صلاحيات نائب الملك او هيأة الوصاية. يقول احمد مختار بابان في افادته امام المحكمة العسكرية العليا الخاصة «ثم عرضت على الملك ذلك - يريد قبول استقالته - فقبل على ان تقدم استقالتي بعد سفره المقرر يوم ١٤ تموز لعدم وجود الوقت الكافي لتشكيل الوزارة خلال يوم او يومين» (م . ص ١٥٥٥). ومما يمكن الرد به على السيد احمد مختار بابان رحمه الله، ان باستطاعة الملك قبول استقالته ثم يكلفه في الوقت نفسه بالاستمرار في إدارة شؤون المملكة ريثما تؤلف الوزارة الجديدة، وتلك حال مألوفة في تاريخ الوزارات العراقية.

وفي تاريخ الوزارات العراقية ايضاً سابقة واحدة في تأليف وزارة من قبل رئيس اركان الجيش وهي التي شكلها الفريق اول الركن نور الدين محمود في الثالث والعشرين من شهر تشرين الثاني ١٩٥٢ وقد امتد عمرها الى اليوم التاسع والعشرين من شهر كانون الثاني ١٩٥٣.

ومعنى ذلك ان عمر (السابقة الوزارية) الذي امتد تسعة وستين يوماً بما فيها يومي التكليف والاستقالة غير مفر لرئيس اركان الجيش بتشكيل وزارة مماثلة لان عمرها يرتبط في العادة بالطوارىء التي استوجبت تشكيلها فاذا زالت تلك الطوارىء تزول بالتبعية موجبات بقائها في الحكم، وبعد سقوط مثل تلك الحكومة لايعود رئيسها صالحاً للبقاء في الجيش.

فهل كان الفريق رفيق عارف مستعداً للتنازل عن زهوه العسكري لقاء حكم لايدوم سوى شهرين او ثلاثة اشهر على ابعد تقدير؟

هل كان يتربص الدوائر بالامير في ١٤ تموز مثلما تربص به عبدالسلام عارف فحجب السلطة المرتقبة عنه في اليوم نفسه.

الارجح انه كان على اتفاق مع الامير لاجراء التظاهرة العسكرية حتى يأخذ رئاسة الوزارة بصفة استجابة لمطاليب الجيش لامتصاص نقمة الجيش ولكي يتمكن الامير من تصفية خصومه السياسيين والعسكريين تحت ظل «الثورة البيضاء» التي لابد ان تنال قدراً من ثقة الشعب بها اذا جعلت نوري السعيد ضحيتها الاولى وذلك نصر شخصي للامير عبدالاله في الوقت نفسه.

كانت السيطرة على دار رفيق عارف والقبض عليه من نصيب بعض ضباط مدرسة الهندسة في معسكر الرشيد. ويقول الفريق الركن علاء الجنابي حول الموضوع: «اخبرنا مرافق رفيق عارف وقلنا له: تذهب الى عمك وتقول له ان الجيش سيطر على المعسكر وعليه ان يسلم نفسه بأسرع وقت ممكن.. وإن ثورة قامت في البلد وانتهى كل شيء.. ذهب اليه وقال حين عاد: ان رفيق عارف يقول اريد ضابطاً برتبة كبيرة.. ابتدع احمد ابو الجبن حيلة وقال: اذهب وقل له إن معسكر الهندسة هو الذي احتل بيتك.. ولقد لغمنا كل الجهات التي تحيط بالبيت بالمفرقعات واذا لم يسلم خلال خمس دقائق ننسف البيت.. وفي حالة استسلامه نضمن سلامته.. بعد فترة نزل رفيق عارف ببدلته العسكرية وعصاه تحت ابطه وكان محافظاً على هدزوء اعصابه بشكل غريب..» (الذاكرة التاريخية لثورة تموز ص ٨٠).

واكد لي اللواء الركن (الملازم الاول) عبدالحافظ خزعل العباسي وهو من الضباط الذين القوا القبض على رئيس اركان الجيش انه شاهده ينزل من داره ببزته العسكرية فقال لهم وقد تقدموا نحوه باحترام.

- اني كنت ادري.. وكان لازم آني اسويها.

ويقول الدكتور فاضل حسين في كتابه (سقوط النظام الملكي في العراق ص ٤٧)

«واخبرني جاسم العزاوي انه حين ذهب مع بعض الضباط لاعتقال رفيق عارف في داره في معسكر الرشيد بدا رفيق عارف مستعداً لتسلم الحكم».

بقي ان نذكر ان لا عبرة في ارتداء رئيس اركان الجيش ملابسه العسكرية في صباح ذلك اليوم للدلالة على استعداده لتسلم الحكم، فربما يكون قد ارتداها لتوديع الملك في مطار (المثنى) - المطار المدني - الذي كان يزمع السفر الى تركية كما هو معروف.

وروى لي الفريق الركن علاء كاظم الجنابي قال: انه كان من المسؤولين عن حراسة الفريق رفيق عارف المعتقل في معسكر الهندسة عندما وصل اليها الزعيم عبدالكريم قاسم في ثاني يوم من ايام الثورة وراه عندما اقترب من باب القاعة التي اوقف فيها رئيس اركان الجيش السابق يركل اسفل الباب برجله وقد أعد رشاشته الاسترلنك كما لو انه يقتحم بابا يكمن وراءها عدو مسلح. ويذكر الفريق الجنابي انه اختلى به مدة من الزمن.

أيد السيد احمد ابو الجبن الذي كان هو الآخر من الضباط المسؤولين عن حراسة رفيق عارف واقعة الاقتحام تلك ولكنه لايذكر عن الخلوة بين الرجلين شيئاً.. كل الذي يذكره ان رفيق عارف قال لعبدالكريم قاسم وقد بقي هذا مصوباً رشاشته نحو رئيسه السابق.

- أبعد رشاشتك.. لا يحسن بك ان تصنع هذا معي.

وقد اعتذر له عبدالكريم قاسم عن ذلك.. واخذ يخاطبه في اثناء اللقاء بلقب (باشا).

تبقى لنا ايضاً وقفة مع العقيد الركن عبدالوهاب الامين «صاحب خطة

حركة صفر» فقد ابعدته الثورة عن العراق بعد تسعة ايام من قيامها.. وقد تم هذا الابعاد على مرحلتين.. المرحلة الاولى، انهم ادرجوا اسمه ضمن الوفد الوزاري الذي يزور القاهرة لتهنئة عبدالناصر بذكرى ثورة ٢٣ (يوليو) تموز ممثلاً للجيش العراقي حيث اخذ يشغل بعد الثورة منصب مدير الحركات العسكرية في وزارة الدفاع. سافر الوفد الى القاهرة في يوم ٢٢ تموز ١٩٥٨، وفي يوم ٢٤ تموز - المرحلة الثانية - وصلت برقية من بغداد تحدد بقاء العقيد الركن عبدالوهاب الامين في القاهرة وذلك بناء على طلب العقيد الركن عبدالسلام عارف ريثما يصدر الامر الخاص بنقله الى منصب الملحق العسكري في سفارة الجمهورية العراقية في القاهرة وان يبعث برقية باحتياجاته الخاصة والعامة ليتم ارسالها له. وقد ارسلت برقية النقل تلك بواسطة بعض اجهزة سفارة الجمهورية العربية المتحدة في بغداد وليس بواسطة الاستخبارات العسكرية في وزارة الدفاع وهي الجهة المختصة في هذا الموضوع.

اوضح (المتهم) عبدالسلام عارف انه كان وزيراً للداخلية يومذاك، وصلاحية نقل الضباط محصورة بالقائد العام للقوات المسلحة قطعاً وانه كان غائباً عن بغداد عندما صدر امر النقل.

واوضح ايضاً: ان العقيد وصفي طاهر - رجل عبدالكريم قاسم الخاص - هو الذي بدأ باثارة المشاكل بوجه عبدالوهاب الامين.. جاءه ذات يوم وقال له: انت نايم ورجليك بالشمس. تفضل هذه تنقلات القطعات.. انظر فلان اين ذهب، وفلان لمن جاء (كذا)..

انت تدري عبدالوهاب الامين صباح يوم الحركة كان يتصل تلفونياً باحمد مرعي ويتصل بشكري ويسألهم: هل صحيح هناك ثورة؟

هل تدري ان عبدالوهاب الامين يذهب بالسيارة الى المعتقلين ويعطي جرايد ومجلات واكل الى محمود شكري نديم..

واشار وصفي طاهر في ختام حديثه مع عبدالسلام.. ان تلك الاخبار وصلت الى علم الزعيم عبدالكريم قاسم.

كان (المتهم) عبدالسلام عارف اراد القول بالمعلومات التي ساقها عن العقيد وصفي طاهر: ان عبدالوهاب الامين اراد الالتفاف على الثورة منذ ايامها الاولى لمصلحة «دائرة الاركان العامة» الملكية وذلك مادعاهم الى نقله الى القاهرة.

وقد رد عبدالوهاب الامين على عبدالسلام
١ - أن تحريكه بعض القطعات العسكرية تم بالاتفاق مع رئيس اركان الجيش تحسباً من وقوع هجوم على العراق بعد اعلان الثورة.

٢ - وقد اتصل تلفونياً ببعض كبار ضباط العهد الملكي صباح يوم الثورة للتأكد من وجودهم في منازلهم وعدم خروجهم منها للقبض عليهم.
٣ -وزار البعض الآخر في سجونهم لانه اراد الاطمئنان على عدم تمكنهم من الهرب.

او.. ذلك ملخص مادارت عليه ردوده امام المحكمة العسكرية العليا الخاصة عند محاكمة عبدالسلام عارف.

اما رأي (العميد الركن المتقاعد) الدكتور شكري محمود نديم مدير الحركات العسكرية في العهد الملكي وهو الذي كان يزوره عبدالوهاب الامين في المعتقل ويقدم له (الجرائد والمجلات والاكل) فهو ان الامين كان على جانب من متانة الاخلاق ونبل العاطفة والوفاء لاصدقائه فلم يشأ التخلي عنهم وهم في محنتهم.. وما ذكره في ردوده كان لمجرد التخلص من المأزق الذي اوقعه فيه عبدالسلام عارف عندما ذكر ذلك. بصيغة الاتهام.

وذكر لي العميد فاضل محمد علي وكان من المقربين من عبدالسلام عارف: ان العقيد الركن عبدالوهاب الامين حاول الالتفاف على الثورة في يوم ١٨ تموز ١٩٥٨ فقد لاحظ - العميد فاضل - وجود عدد من مدرعات فرث الصغيرة قرب الاذاعة بشكل يلفت النظر، وكانت القوة بإمرة الضابطين خليل العلي وخزعل السعدي - قبل ان ينحازا الى الحزب الشيوعي العراقي - فسألهما عن سبب وصول القوة الى مبنى الاذاعة، فردا عليه انهما جاءا لغرض تبديل الحراسة وكانت الحراسة لا تستدعي وجود ذلك العدد الكبير من المدرعات.

واستخبر ايضاً بخروج بعض سرايا الدبابات من معسكر الرشيد متجهة نحو بغداد فاستضاف الضابطين المذكورين في دار الاذاعة بعد ان اوعز سراً الى بعض اعوانه باعتبارهما معتقلين الى حين عودته.. ثم اتجه الى وزارة الدفاع، وهناك افهم الزعيم عبدالكريم قاسم والعقيد عبدالسلام عارف اللذين خرجا اليه سوية من احد الاجتماعات بحقيقة التحركات العسكرية المريبة التي تجري في بغداد فتم اعادة القطعات الى معسكراتها دون ضجة.

حول الواقعة ذاتها روي لي الدكتور نجم الدين السهروردي انه «في اليوم الثالث او الرابع من الثورة كان جالساً في المقهى القريبة من مبنى الاذاعة مع طه الدوري وخليل ابراهيم العلي وخزعل السعدي ويحيى ثنيان، فنودي على خزعل من داخل الاذاعة للرد على مكالمة هاتفية وردت من عبدالسلام عارف وحين عاد الى المقهى اخبرنا بانفعال وسخرية ان عبدالسلام سأله:

-خزعل.. انت ليش غيرت اتجاه الدبابات نحو الاذاعة؟

فرد عليه:

- اردنا فقط تشغيل محركات الدبابات لانها بقيت متوقفة مدة يومين وذلك غير صحيح.

فطلب مني اعادتها الى اتجاهاتها السابقة. وعلق خزعل ويبدو ان عبدالسلام كلمه بتهور.

- خليل.. يبين ماكو ثقة.

وتهدد الوضع بقوله:

- بقت علينا.. ليش هو منو سوّه الثورة.. والله لاحرقها حرق.

وبعد مدة قصيرة نودي علي خزعل السعدي مرة ثانية للرد على مكالمة هاتفية اخرى.. كان المتكلم هذه المرة الزعيم عبدالكريم قاسم.. وقد وجه اليه السؤال نفسه مستفسراً عن السبب في تغيير مواقع الدبابات ولكن باسلوب هادىء.. وقد تملك الضباط الثلاثة - طه وخزعل وخليل - انفعال شديد حاولنا تهدئته.. وانصرفنا ».

وهنا نجد انفسنا ازاء روايتين ولكنهما تلتقيان في وقوع ضجة عسكرية حول دار الاذاعة.

الضجة عند العميد فاضل محمد علي ممتلئة لوصول عدد من مدرعات فرث الى الاذاعة اكثر بكثير من العدد المطلوب لتغيير الحراسة.

وعند الدكتور نجم السهروردي فارغة لان مقتضيات الآليات تتطلب - وفق عذر السعدي - عدم تركها ساكنة مدة طويلة من الزمن لئلا يؤثر السكوت الطويل على محركاتها وبطارياتها.. وهذه الرواية الاخيرة لم تتطرق الى وصول مدرعات فرث.

وعلى فرض ان العقيد عبدالوهاب الامين حرك بعض الآليات بحكم كونه مدير الحركات العسكرية لغرض الالتفاف على الثورة فان ذلك لا يمكن ان

يتم لصالح «الاركان العامة» الملكية، لانها تصبح حركة مكشوفة مرفوضة والارجح انه اراد فرض مجلس قيادة ثورة على الثورة التي اخذت تتأرجح بين عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف مع ان حظه في الثورة يجب ان لا يكون اقل منهما اذا حسبنا الامر بحساب المكاسب الشخصية لانه صاحب خطة (حركة صقر).. وقد سبق له ان طالب الاثنين بقيام المجلس ولكن دون جدوى.

* * * * * *

صوّر اللواء الركن حسن مصطفى في كتابه (مذكرات ملحق عسكري في لندن ص ١٠٧) عبدالكريم قاسم وكان طموحه قد انصب باجمعه لان يصبح ملحقاً عسكرياً في سفارة (المملكة) العراقية في كراجي.. ساق ذلك بسبب ما اراد ان يلمزه به من انه (مجنون) و(ابو جنية) وإن اثنين من رؤساء اركان الجيش كانا يطلقان عليه ذلك كلما ورد ذكره على لسانهما هما صالح صائب الجبوري ورفيق عارف من بعده، والاكثر فان رفيق عارف لم يكن يثق بكفاءة عبدالكريم قاسم في اشغال منصب الملحق العسكري العراقي في كراجي.

فيذكر حسن مصطفى الذي كان يشغل منصب مدير التدريب العسكري في وزارة الدفاع ان عبدالكريم قاسم زاره زيارة صديق في دائرته.. ومالبث ان اخذ يبثه همومه في اهماله على الرغم من ان درجة المنصب المذكور كانت شاغرة . فترك حسن مصطفى محدثه دقائق ودخل الى غرفة رئيس اركان الجيش وكانت تربطه به علاقة سابقة وحدثه في موضوع تعيين الضباط في مناصب الملحقين العسكريين، واقترح عليه اختيار هؤلاء من بين الضباط الذين يخدمون في القطعات مكافأة لهم على خدماتهم الفعالة.

سأله رفيق عارف: مثل من تريد ان ترشح يكون ملحقاً عسكرياً؟

رد عليه حسن مصطفى: مثل عبدالكريم قاسم. وقد علمت انكم تريدون الآن تعيين ملحق عسكري في باكستان فلماذا لا تعينونه؟

فأجابه «بشيء من الغضب الممزوج بغروره المعهود»! دعنا من هذا المجنون ياأخي انه لا يصلح لان يكون ملحقاً عسكرياً.

حاول حسن مصطفى ان يثني رئيس اركان الجيش عن رأيه دون فائدة حيث انهى هذا اللقاء بقوله:

- انك تتعب نفسك بالتشبث لتعيين شخص غير مؤهل لتولي منصب يمثل به جيشه في الخارج. والذي يؤسف له ان اللواء حسن لم يحدد تاريخاً دقيقاً لتلك الواقعة ليتيسر لنا مقارنتها بواقعة اخرى مشابهة.

الواقعة اوردها لي (العميد الركن) الدكتور شكري محمود نديم وتدور حول احد اجتماعات لجنة التنقلات في وزارة الدفاع (في ربيع عام ١٩٥٨) وكان عضواً فيها فتم نقل عبدالقادر سعيد مدير الحسابات في وزارة الدفاع الى منصب ناظر الخزينة الخاصة في البلاط الملكي ومحمود المهدي الملحق العسكري العراقي في كراجي الى منصب مدير الحسابات - وسبق له ان تشبث بالنقل الى بغداد وقد وقعت اللجنة في حيرة من امرها عند البحث عن ضابط مناسب لاملاء الدرجة الشاغرة في كراجي، وفجأة رن جرس الهاتف، فتناول السماعة رئيس اركان الجيش رئيس اللجنة، ولم يعرف الدكتور شكري الى الآن شخصية المتكلم ولكن اللجنة اتخذت قراراً بعد المكالمة بنقل العميد الركن عبدالكريم قاسم الى منصب الملحق العسكري في كراجي، الا ان هذا القرار لم ينفذ.

كتب الدكتور فاضل حسين في (سقوط النظام الملكي في العراق ص ١٠٨) «روى لي ضابط كبير رجاني ان لا اذكر اسمه (ر. ف) وكان صديقاً لعبدالسلام عارف قائلا: انه بعد الثورة ذهب الى عبدالسلام وسأله: لماذا لم تعين الثورة صديق عبدالسلام الضابط (م. د. ن) في منصب يليق به؟ اجاب عبدالسلام: ان ذلك الضابط من اسرة موالية للانكليز.

نقل هذا الضابط جواب عبدالسلام الى صديقه وصديق عبدالسلام، فدهش للجواب معلقاً: عبدالسلام يقول اسرتي موالية للانكليز؟!!.. هل نسي عبدالسلام عارف وعبدالكريم قاسم انني كنت اقوم بدور المترجم بينهما وبين شركة نفط العراق الانكليزية في كركوك حين كانا يتصلان بالانكليز عن طريق الشركة للاعداد للثورة».

ومهما يكن من أمر فقد وصل اللواء العشرون الى بغداد (وجه الصبح) فوجدها تغط في نوم عميق ولو لم يكن عبدالسلام مالئاً يده من النتائج لما صح في اي مقياس من المقاييس العسكرية ارسال ثمانين جندياً للسيطرة على ثلاثة آلاف شرطي في معسكر القوة السيارة مع اسلحتهم الخفيفة والمتوسطة.

وارسال سريتي مشاة بنصف موجود وعتاد محدود للسيطرة على لواء الحرس الملكي، المتطور في سلاحه وتدريبه ووفرة عتاده والمعروف بولائه للنظام القائم يومذاك.

اذا كان جنود الثورة قد باغتوا معسكر شرطة القوة السيارة على حين غفلة من امره، فقد استيقظ لواء الحرس الملكي في الوقت المناسب ووصلته اخبار الثورة في الرصافة قبل وصول جنود الثورة الى قصر الرحاب وكان أمر اللواء مع جنوده عندما وصلت تلك الاخبار وكان يمكن ان يصنع كثيراً في تغيير الاحداث ولكنه بقي مكتوف اليدين يتفرج على مايدور حوله دون ان يحرك ساكناً وكانما اصيب بشلل مفاجيء انتقل اليه من امرة طه البامرني الذي قرر الاستسلام منذ الدقائق الاولى.. ومن امير البلاد نفسه الذي درج مع سره الى رحمة الله تعالى.

والحقيقة ان اللواء العشرين استولى على بغداد على طريقة (التسليم

والتسلم) اكثر من كونها (سيطرة عسكرية)، وكان الحكم الملكي قد استهلك نفسه الى ابعد الحدود في اعوامه الاخيرة.

فعلى الرغم من ان العرش الذي اسسه فيصل الاول في العراق اخذ يلفظ انفاسه الاخيرة لبقائه دُولة بين نفوذ الامير عبدالاله ونفوذ نوري السعيد ردحاً طويلاً من الزمن، الا ان اللواء عمر علي الذي اراد القيام بانقلاب عسكري لتحرير العرش من نفوذ الاثنين على السواء لم يكن يدرك شيئاً عن طبيعة التركيبة السياسية سارية المفعول في البلاد. فإبعاد الامير عبدالاله عن العراق يوقع الملك في مأزق حرج يوجب عليه التخلي عن العرش من تلقاء نفسه ثم يضطر على تحصيل خاله اينما يكون خلال ايام او اشهر على ابعد تقدير لسبب واحد هو ان الملك لا يستطيع ان يصنع شيئاً في الحكم.. اي شيء.. بدون خاله.. ولنقل انه يصبح اذا تم ذلك بحاجة ماسة الى وصي جديد يكون اكثر اخلاصاً وحرصاً في اداء الامانة التي يؤتمن عليها من الوصي السابق.

والوصاية على اليتيم امانة حتى يبلغ سن الرشد.

اقول ذلك وانا اعلم ان الملك فيصل الثاني رحمه الله قد بلغ سن الرشد قبل خمس سنوات من الاحداث التي نتكلم عنها، وانه تسلم مهامه الدستورية منذ عام ١٩٥٣. ولكنه تسلمها على الورق ومن اجل خاطر الدستور فقط حيث لم يكن له مع خاله الامير من الامر شيء سوى مظاهر البروتوكول وبعض مقتضيات الدستور، اما شؤون الحكم وتدوير سياسة الدولة وتدبير المُلك فقد كانت من نصيب ولي العهد الذي يمكن اعتباره المتربع الحقيقي على العرش حتى بعد زوال صفة الوصاية عنه عام ١٩٥٣.

ولابد من ايضاح ان الامير عبدالاله استطاع اثناء وصايته على ابن اخته من شل عزيمته وتحديد تطلعاته وابقائه مجرد صبي عاقل لا يعترض على شيء، ولم يفكر بالوقوف على أبعاد مهنته ملكاً بعد ان اهمل خاله خلال

وصايته له اعداده لتلك المهنة اهمالاً تاماً.. وكان لا يتورع عن شتمه وتوبيخه وتعنيفه لاسباب غير مقنعة «كما لو كان صبياً غير مؤدب» (جلالة الملك الحسين بن طلال. المصدر السابق ص ١٥).

ويقول ضابط الحرس الملكي فالح زكي حنظل: ان ولي العهد كان ينادي الملك باسمه المجرد الا اذا كان معهما ضيوف فيناديه بـ (سيدنا) واكد الدكتور كمال السامرائي ذلك لي ايضاً.

ولابد ان يكون الغرض من ذلك هو تحجيم الملك واضعاف ثقته بنفسه واظهار عجزه اذا تخلى عنه الامير لاي سبب من الاسباب وبذلك يكون الامير قد ربط مصير العرش بمصيره ربطاً محكماً فبقيت له الكلمة المسموعة والامر النافذ الى الساعات الاخيرة من حياته. ولاذ الملك بالصمت في الساعات القلقة الاخيرة من حياته.

ذكر لي العقيد طه بامرني: انه رأى وجه الملك هادئاً اثناء محاصرته مع عائلته في قصر الرحاب صباح الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ ولم ينبس مع وكيل آمر لواء الحرس الملكي ببنت شفة ورد عليه تحيته العسكرية بايماءة من رأسه اما الاوامر الخاصة بالحصار فقد تلقاها العقيد طه من ولي العهد.

وقد اجمع الذين تيسر لهم الاتصال بالملك فيصل الثاني على انه كان هادئاً منطوياً على نفسه قليل الكلام تطفح على وجهه ابتسامة طيبة عندما يواجه الناس في الشوارع وهو في سيارته الملكية ولكنه لم يحاول التعرف عليهم كما انهم لم يتمكنوا من التعرف عليه، وقد هيأ له اضطلاع ولي العهد بمهام العرش الجسيمة الانصراف الى حد ما الى هواياته في قيادة السيارات واصابة الاهداف ببنادقه وجمع طوابع البريد والسباحة اثناء الصيف ومشاهدة الافلام السينمائية على جهاز السينما الخاص به.

يقول الدكتور كمال السامرائي في مقالة «الايام الاخيرة من حياة الملكة

عالية» (آفاق عربية ٨٤/ ١٩٨٧): «ودب فيها ـ الملكة عالية ـ قدر من النشاط، وطلبت رؤية اخيها عبدالاله فجاءها بعجلة وقلق، وارتمى على رجل اخته الملكة دون ان ينبس بكلمة، فسحبت الملكة رجليها وهي تقول: استغفر الله.

ورأيت عبدالاله يشير الي بعينيه ان اخرج من الحجرة او هكذا خيل اليّ، فنهضت لاخرج الا ان الملكة اسرعت تقول: «لا.. انا اريد ان يبقى دكتور كمال شاهداً على ما اقوله لك امام الله. ثم اردفت تقول له : ياأخي عبدالاله، كان فيصل يتيم الاب وعما قريب سيكون يتيم الام ايضاً.. فعدني ان تكون له اباً واماً لاغفر لك كل ما مضى. واراد عبدالاله ان يقاطعها الا انها ردته بحزم: عدني امام الدكتور فهو شاهدي في دار البقاء.. عدني ياعبدالاله.. وكررت ذلك مرتين. فتمتم بالوعد وخرج من الحجرة وهي تشيعه بنظرات باردة..؟

فما هي الاعمال التي ارتكبها الامير بحق اخته ليحتاج معها الى غفرانها في الحياة الدنيا حتى تبرأ ذمته من ذلك امام الله تعالى في يوم الدين؟
اننا لا نملك الاجابة على السؤال ولكن الصورة التي نقلها الينا الدكتور كمال السامرائي لمحة دالة على ماوراءها من نكد لم تنسه الملكة الام وهي في سكرات الموت، خاصة وقد علقت غفرانها لاخيها على طبيعة العلاقة التي تقوم بينه وبين ابنها بعد وفاتها.

كان الامير عبدالاله بن الملك علي بن الحسين ملك الحجاز وشريف مكة موظفاً صغيراً في وزارة الخارجية العراقية عند مصرع ابن عمه الملك غازي في عام ١٩٣٩. وربما كان جل طموحه ان يصبح موظفاً بدرجة وزير مفوض او سفير ويقال ان الملك غازي كان يستثقل ظله. ويذكر الشيخ علي الشرقي في كتابه (الاحلام ص ١٦٩) ان «الملك غازي مات وهو غير مرتاح لعبدالاله وكان يراقبه ويضيق عليه» وقد جاءه ايعاز من بلاط غازي بقطع زيارته لجاره عبدالاله الساكن بالقرب منه في الصالحية (المصدر السابق ص

١٦٩) ويبدو ان الملك غازي كان يشعر بان اعداءه ربما يتخذون من ابن عمه الامير عبدالاله ورقة سياسية يلعبون بها ضده. ومما يرويه الشيخ الشرقي بهذا الصدد ان الملك غازي منح الامير عبدالاله ارضاً في الحارثية مساحتها الفي متر مربع ليتخذ منها داراً لسكناه وقد سعى نوري السعيد والسيد محمد الصدر لدى الملك ان يزيد مساحة الارض حتى تكون داره لائقة لسكن الامير فقال لهم الملك: «ايريد ان يؤسس له بلاطاً للمستقبل. وكانت قد وصلت معلومات الى البلاط ان رستم حيدر والصدر ونوري السعيد يريدون ان يكون لعبدالاله شأناً في المستقبل.

وعندما علم النقيب حلمي عبدالكريم بان نوري السعيد قد بيت النية على قتل الملك غازي اتصل بالامير عبدالاله ودعاه الى العمل معه لضمان حياة ابن عمه وتصفية اعدائه. وتقوم خطة النقيب حلمي على ان يعمل الامير عبدالاله على توجيه دعوة الى نوري السعيد والى كبار اعوانه من المدنيين والعسكريين بمناسبة تدشين بيته الجديد (قصر الرحاب) على ان تختبىء فيه مجموعة من انصار الملك فاذا انهمك المدعوون في طعامهم وشرابهم فتح هؤلاء النار عليهم واردوهم قتلى جميعهم.

نقل الامير عبدالاله مفاتحة حلمي له الى العقيد محمود سلمان ـ وكان العقداء الاربعة يومها من خاصة نوري السعيد واعوانه.. فوصل الايعاز الى الامير ان يبقي صلته بالنقيب حلمي مستمرة ليعلم علمه وخبر اصحابه منه. وامعاناً من الامير في مماشاة حلمي قدم له خريطة بناء بيته الجديد لتتدارسها جماعة التنفيذ.. وبعدها سيق الاستاذ حكمة سليمان واصحابه الى المجلس العرفي العسكري لان نوري السعيد اعتبر ذلك تدبيراً من حكمة سليمان المقرب من الملك للرجوع الى الحكم بعد ان فارقه اثر مصرع الفريق بكر صدقي وبذلك يمكن ان نفسر حرص نوري السعيد الشديد على اسناد منصب الوصاية الى الامير عبدالاله ثم ان نوري السعيد حينما يتخطى بالامير عبدالاله من مركزه المتواضع في وزارة الخارجية الى مركز

المقام الاعلى في البلاد فلابد ان يصبح هذا طوع يديه وتحت امره، خاصة وانه مايزال شاباً غراً ليس له شأن في السياسة ولا معرفة بها الى ذلك الوقت. على خلاف الامير زيد الذي كان الملك غازي قد اوصى اليه اذا وقع به حادث الموت فقد كان رجلاً حصيفاً واكب القضية العربية في عهد والده الحسين بن علي وعلى اطلاع تام بملابسات السياسة العراقية ومناورات الساسة ـ لقد شك الدكتور سندرسن في مذكراته ـ وهو من المطلعين على اسرار السياسة العراقية يومذاك بحقيقة الوصية المنسوبة الى الملك الراحل بولاية الامير عبدالاله على ابنه القاصر الملك فيصل الثاني.

وينقل الدكتور كمال السامرائي عن سعيد حقي ناظر الخزينة الخاصة قوله له: «كنت مرة في احد ايام الجُمع لدى الاسرة المالكة وكان من بين الحاضرين عبدالاله ونوري السعيد وقد ذكر الملك غازي في هذا الاجتماع انه يرغب ان يكون عمه الامير زيد وصياً على ابنه فيصل لو حدث له شيء.. فلما توفى الملك ادعت عالية بانها كثيراً ما سمعت زوجها الملك غازي يولي الوصاية على ابنه لاخيها عبدالاله وايد نوري السعيد هذه الشهادة..» (الدكتور كمال السامرائي المصدر السابق).
وقد فعلت الملكة عالية ذلك لان الامير عبدالاله اخوها واعرف بها من عمها الامير زيد ويبدو ان جزاءها من اخيها كان سيئاً وفق ماورد في الحوار القصير الذي دار بينهما قبل وفاة الملكة بنصف ساعة بالضبط.

وكان جزاء نوري السعيد من الامير جزاء سنمار هو الآخر.

لقد تعاون الرجلان في بادىء الامر تعاوناً وثيقاً وربطا مصيرهما سوية سنين عديدة وجربا استخدام الجيش للاغراض السياسية وكان العقداء الاربعة الذين تم اعدامهم فيما بعد على يد الامير ونوري من ادواتهما الفعالة في ذلك ولكن التجربة ارتدت عليهما وضاعت حياتهما السياسية في العراق لو لم يعودا مع الجيش البريطاني وتحت حمايته الى بغداد ومنذ حزيران ١٩٤١ بذلا اقصى جهودهما لابعاد الجيش عن السياسة ابعاداً تاماً ولكن احتدام الصراع بينهما على السيطرة والنفوذ الشخصي في عام ١٩٥٢ وما بعده اربك الوضع العام في البلاد وجر نظام الحكم الى ضعف شامل.

ونستمر في الوقوف قرب الامير عبدالاله ونقول:

بسم الله الرحمن الرحيم. « حم.(١) عسق(٢) » (سورة الشورى).

قال ابن كثير في تفسيره: «قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة، وقد اورد ابن جرير ههنا اثراً غريباً عجيباً منكراً. قال: اخبرنا احمد بن زهير ثم مضى في سنده الى ان وصل الى ارطأة بن المنذر قال: جاء رجل الى ابن عباس رضي الله عنهما فقال له وعنده حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: أخبرني عن تفسير قوله تعالى «حم. عسق»، قال فاطرق ثم اعرض عنه.. ثم كرر مقالته ثلاث مرات فلم يحر اليه شيئاً . فقال حذيفة رضي الله عنه: انا انبئك بها، قد عرفت لم كرهها.. نزت في رجل من اهل بيته يقال له عبدالاله وعبدالله ينزل على نهر من انهار المشرق تبنى عليه مدينتان يشق النهر بينهما شقاً فاذا اذن الله تبارك وتعالى في زوال فلكهم وانقطاع دولتهم ومدتهم بعث الله عز وجل على احدهما ناراً ليلاً فتصبح سوداء مظلمة وقد احترقت كانها لم تكن مكانها وتصبح صاحبتها متعجبة كيف افلتت فما هو الا بياض يومها فلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم ثم يخسف الله بها وبهم جميعاً. فذلك تفسير قوله تعالى (حم. عسق) وقد

اطلع الامير عبدالاله على ما تقدم فقال لمن حوله: نحن آل البيت قد كتب الله الشهادة علينا ولا راد لحكمه عز وجل.

والاشبه عندي في هذا التفسير انه يعود الى الخلافة العباسية ببغداد لان الخلفاء العباسيين هم اهل بيت ابن عباس وسلالته، والاشبه ايضاً ان يعني التفسير احداث هولاكو في بغداد عام ١٢٥٨م التي ازهقت ارواح ما يقرب من مليون نسمة في بغداد وتركت المدينة انقاضاً متهاوية وليس ثورة ١٤تموز ١٩٥٨ لا يعود بحال من الاحوال الى الامير عبدالاله الذي هو من سلالة الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما، ذلك على فرض سلامة السند وصحة الرواية. ومع ذلك فان ورود اسم (عبدالاله) في التفسير بذلك الشكل الدقيق الواضح والهاشمية التي تجمع بينه وبين ابن عباس وحكمه المدينتين التي يشق بينهما نهر من انهار المشرق وما قد يتبادر الى الذهن من انهما الكرخ والرصافة، ودجلة هو النهر المقصود قد ترك ذلك كله آثاراً نفسية غائرة في وجدان الامير حيث بدا ولاسيما في السنة الاخيرة من حكمه وكأنه يسير منوماً نحو ما وقر في نفسه من تفسير ابن كثير لقوله تعالى (حم. عسق).

لم يكن الامير عبدالاله بالرجل الغافل عما يدور حوله، ولا بالعاجز عن المحافظة على نفسه وعائلته.. وحتى على العرش والمشكلة ان احداً لا يستطيع الزعم بان الامير اختار الفاجعة التي وصل اليها بارداته مع انه كان يملك تجنبها حتى بعد ان احاطت قوات اللواء العشرين بقصره.

ذكر لي بعض الضباط المتصلين به انه كان شجاعاً.

ومن بعض صفحات حياته في ظروف عام ١٩٤١ انه كان حازماً في اتخاذ القرار وتنفيذه.

ونجده في تلك الظروف مثابراً على الاحتفاظ بموقعه ولم يغادر العراق الا بعد ان سدت بوجهه جميع الابواب.

وبالمثابرة ذاتها استطاع ان يعود مع الجيش الانكليزي الى بغداد ويتبوأ مركزه المرموق مرة اخرى.

ولكننا نجده على خلاف ذلك في النصف الثاني من عام ١٩٥٧ والنصف الاول من عام ١٩٥٨ فقد كان متردداً مرتبكاً لا يعرف ماذا يريد وماذا لا يريد فهل اراد ان يتجنب في ١٤ تموز عما وقع فيه عام ١٩٤١؟

ويقال انه انخرط في بكاء مرير عندما وقع بصره على يونس السبعاوي ليلة تنفيذ حكم الاعدام به.. الحكم الذي ابرمه الامير بتوقيعه وكان شديداً مع العقيدين فهمي سعيد ومحمود سلمان ليلتها والى هذين العقيدين دون بقية العقداء الاربعة يعود الفضل في وصوله الى منصب الوصاية.

وآخر كلماته كانت على ما نقلها لي المقدم محمد الشيخ لطيف الذي شهد الواقعة: لا اريد سفك الدماء. قالها بملء صوته وبعصبية.

واعود فاقول: انه كان يملك تجنب ذلك الموقف القاتل.

قال الاستاذ جميل الاورفه لي في مذكراته: «استدعيت من قبل رئيس الديوان الملكي السيد عبدالله بكر لحضور جلسة وزارية على عهد وزارة عبدالوهاب مرجان في عام ١٩٥٧ وقد كنت وزيراً فيها.. وحضرت الجلسة، وحضرها من الوزراء نديم الپاچه چي وبرهان الدين باش اعيان وعبدالحميد كاظم وعز الدين الملا وعلي الشرقي وجواد الخطيب وعبدالرسول الخالصي وغيرهم وحضر عبدالوهاب مرجان رئيس الوزراء وانعقدت الجلسة برئاسة الملك وكان رئيس الديوان حاضراً يسجل مايدور في الجلسة.

ابتدأ الامير بالكلام ـ لا اذكر النص بالضبط ـ ولكنه قال ما معناه «إن

الاسرة الهاشمية قد جاءت الى العراق بناء على رغبة الشعب العراقي ومبايعته للملك فيصل الاول بن الحسين باستفتاء عام جرى في ١٩٢٠ (كذا) فاذا لا يرغب الشعب في بقائنا في العراق واذا اراد نقض البيعة فاننا سنرحل ولن نبقى دقيقة واحدة في العراق».

ثم انه قام من مكانه وذهب الي المكتبة واخرج منها نص الوثيقة التاريخية التي تمت بموجبها البيعة للملك فيصل الاول ثم اخذ يتلوها على الحاضرين مؤكداً رغبته في التخلي عن العرش اذا رغب اهل العراق في ذلك (المصدر السابق ص ١٧٣ و ١٧٤).

ويقول الشيخ علي الشرقي في (الاحلام ص ١٧٢): قال لي (الامير) ماذا تريدون منا اننا مستعدون لترك كل شيء».

ويقول الاستاذ ناصر الدين النشاشيبي عن الامير «.. واحب المال وراح يقتني منه اكثر مايستطيع ثم شعر بالتخمة وراح يقول لجميع مستشاريه واصدقائه انه سيترك العراق ويسافر الى لندن لكي يقضي بقية حياته في المنزل الريفي الذي اشتراه مع الملك فيصل بالقرب من مطار لندن» (ماذا جرى في الشرق الاوسط ص ٢٥١) واذا كان الامير قد ظهر فيما تقدم وكأنه قد حزم امره وحقائبه لمغادرة العراق فبالمقابل يذكر الشيخ علي الشرقي ان عبدالاله « يرى من نفسه انه الوارث الوحيد لسلالة البيت الهاشمي. ففي موقف من مواقف الجد خاطبني قائلاً بارتفاع صوت:
- اني هاشمي قبل كل شيء.. بالفعل والعاطفة والتقاليد.. ياهذا انا غلبنا مرة واحدة ولا نغلب بعدها» (المصدر السابق ص ١٧٢) يريد انهم غلبوا على امرهم في الحجاز ولا يريدون ان يغلبوا في العراق من بعدها ابدا.

ودعاه نوري السعيد بواسطة شخصية عراقية بعد ان ضاق به ذرعاً الى الخروج من العراق لان وجوده قد انقلب خطراً على العرش والحكومة

مستعدة لوضع تشريع بتكفل الصرف عليه اينما يكون على ان يترك الامر الى الملك. (الشيخ علي الشرقي. الاحلام. ١٧٢).

والواقع ان الملك كان ضائعاً بين ولي العهد ونوري السعيد بعد ان بلغ كل واحد منهما سن اليأس وفق خصوصيته.
ولي العهد.. في نحو الخامسة والاربعين من عمره.
تزوج ثلاث مرات دون انجاب.

فقد صفة الوصاية على العرش بعد ان بلغ الملك سن الرشد او السن القانونية كما يقولون في مايس ١٩٥٣.
وتعكز على صفة ولاية العهد الباقية له في التصرف بصلاحيات الملك الدستورية بشكل او بآخر.

واذا كان الكثير من الساسة العراقيين قد ضاقوا ذرعاً بمداخلات ولي العهد السياسية تلك فانهم تذرعوا بالصبر بانتظار زواج الملك القريب الذي يقترن به انجاب ولي عهد من صلبه فلا يبقى للامير بعدها موضع قدم في السياسة العراقية.

ولابد ان الامير قد ادخل ذلك في حساباته.. وسبق له ان ربط مصير العرش بمصيره الشخصي بعد ان حرص مدة تسع عشرة سنة على ابعاد الملك عن كل ما يتصل بالعرش فبادر - منذ ان فقد صفة الوصاية - الى مناصبه نوري السعيد صاحب الاغلبية البرلمانية عداء مريراً للاستحواذ على اغلبيته تلك بصورة غير مباشرة طبعاً، حتى لايجد اذا فقد ولاية العهد من يقول له: «قف.. لا تتدخل فيما لا يعنيك» وهو لا يطيق ذلك.. وذلك ايضاً يتيح له الاستحواذ الحقيقي على العرش والحكومة في آن واحد..

والامير عبدالاله هو الابن الاكبر للملك علي والملك علي هو الابن الاكبر

للحسين بن علي شريف مكة وملك الحجاز ولو ان السياسة سارت في مجاريها الطبيعية في الشرق الاوسط بعد الحرب العالمية الاولى لكان الامير عبدالاله هو الوارث الاساس لشؤون العائلة الهاشمية في الحرمين الشريفين، ولكنه كان ضمن القلة من سلالة الحسين بن علي التي لم تصل الى رتبة الملوكية ولم يكن في الافق يومها ما يشير الى انه سيصل الى تلك الرتبة.. وذلك ما يمكن ان يولد في صدره عقدة العَرش وتعلقاً بالحكم وفيضاً من الاعتداد والاعتزاز بمركزه الشخصي في اصل العائلة الرفيعة.

يقول ناصر الدين النشاشيبي (ماذا جرى في الشرق الاوسط ص ٢٥٠)
«كان الامير عبدالاله هاشمياً بتفكيره وقلبه وطبيعته.
كان يعتقد انه المسؤول عن كل هاشمي.
كان يقول لاصدقائه: انا هاشمي اولاً.. وإنسان ثانياً» .

ونقل النشاشيبي في كتابه (الحبر اسود.. اسود ص ١٢٧) قول الامير في اجتماع جرى في سرسنك حضره الملك فيصل الثاني ونوري السعيد والصاغ صلاح سالم «اهل بيتنا يسمون انفسهم خدام الحرمين الشريفين وسمتنا الظروف ملوكاً مع الاسف».

ويبقى عدم تصدي الامير للدفاع عن العرش في ساعة العسرة بمثابة موقف غامض. ويخيل لي انه لو تغيرت الامكنة وتبدل الاشخاص فوجدت الثورة نوري السعيد بمكان الامير والامير بمكان نوري السعيد لوقع الامير اسيراً بيدها خلال الدقائق الاولى من وصولها اليه ولخلق نوري السعيد بوجهها الف مشكلة ومشكلة. ومع كل ما تقدم فان عودة الامير المفاجئة من استانبول الى بغداد على متن طائرة صغيرة اثر تحذير وصله بمآل ان لم يبق لكم عرش في بغداد يدل على ما كان يتمتع به من عزم وتصميم على انقاذ العرش وانه قد اتخذ لمثل ذلك اليوم الموعود اهبته وعدته وسوف يُري بختيار ان تحذيره هباء يذهب ادراج الرياح.. وانه ارسخ من ان تهزه الهزاهز..

وصفه بعض المتصلين به: بانه عاطفي يفكر بقلبه وقلبه ملىء بالحب والكرة متقلب الاهواء لا يكاد يستقر على حال او رأي الا احقاده فانه لا ينساها مهما طال عليه الزمن (ماذا جرى في الشرق الاوسط. فصل بعنوان الامير) ووصفه الشيخ علي الشرقي بانه «يخور تارة ويتماسك تارة» (الاحلام ص ١٧١) واخيراً فانه مكروه شعبياً في العراق لم يتزحزح الشعب عن كراهيته منذ الساعة الاولى لمجيئه الى منصب الوصاية على العرش ـ الذي اقترن بمصرع ابن عمه الملك المحبوب غازي الاول ـ الى مصرعه هو وكان الامير يعرف ذلك.

اما نوري السعيد فقد اقترب من السبعين من عمره، وهي سن لا تصلح للحكم في البلدان غير المستقرة، وهذا العمر المتقدم كاف وحده لان يدفعه الى الخلود الى الراحة والاستجمام يقضي بها السنوات القليلة الباقية له من حياته ولكنه كان من عشاق السلطة والحكم وكان هذا العشق يتسع ويزداد عمقاً كلما تقدمت به السن.

اصيب بالصمم في ايامه الاخيرة وكان يخشى من اجراء العمليات الجراحية التي تعيد له سمعه.. ويبدو انه قد استفاد من تلك الحال فكان يسمع مايروق له من الكلام ويتجاهل الكلام الذي لايود سماعه.

ومن مآخذ الاستاذ خليل كنه عليه.

* انه كان يتجاهل الرأي العام وينظر الى العراق بنظر الوالد الى طفله القاصر ولذلك اعتبر من مسؤوليته تربية الطفل ورعاية مصالحة وتاديبه اذا لزم الامر.
* اعتداد بالنفس وعناد بالرأي.
* اهماله للشباب بصورة عامة واخفاقه في تقدير دورهم الفعال في توجيه الرأي العام.

* قناعته بما يمكن عمله بدلا مما يجب عمله
(خليل كنه، العراق امسه وغده ص ٢١٨)

آمن بالانكليز ايماناً مطلقاً منذ مطلع شبابه ويمكن ان يقال بانهم اخذوا منه دون ان يعطوه شيئاً يستطيع ان يبقي به رجلهم الاول في العراق فاستهلك نفسه انكليزيا ولم يعد ذا فائدة لهم في ايامه الاخيرة.

اقترح صموئيل فول السكرتير الشرقي في السفارة البريطانية ابعاده هو والامير عبدالاله عن الحكم اما الملك فقد يستطيع انقاذ البلاد من التذمر الشعبي اذا عمل مع وزارة مقترحة يرأسها شخصية عسكرية شاع انه اللواء غازي الداغستاني. (سقوط النظام الملكي في العراق ص ١٠٤).

وهنا نعود الى اللواء الركن قائد الفرقة الثالثة. يذكر العميد خليل ابراهيم حسين (المصدر السابق جـ ١ ص ٢٥) ان القائد المذكور عقد مؤتمراً في جلولاء (حول حركة صقر «حضره آمر اللواء وآمروا الافواج وآمرو الوحدات المتجحفلة معه لمناقشة موضوع حركة جحفل اللواء بموجب وصايا واوامر الحركات الصادرة بخصوص ذلك ومعالجة النواقص».

وذكر لي العقيد ياسين محمد رؤف بحضور المقدم المتقاعد محمد المفتي والاستاذ عبدالرحيم الراوي المحامي. انه كان قد كتب رسالة الى قائد الفرقة الثالثة في منتصف حزيران ١٩٥٨ كشف له فيها عن نشاط العقيد عبدالسلام عارف التآمري ضد النظام القائم وفعالياته بذلك الصدد في اللواء العشرين، وعندما وصل القائد الى جلولاء لعقد مؤتمر حول تنفيذ امر حركة صقر رشق ياسين محمد رؤف بنظرة استدل منها هذا ان القائد قد اطلع على رسالته، ومع ذلك فقد ناقش العقيد ياسين امر الحركة على النحو الاتي:

حركة جحفل اللواء مجتمع يربك الطرق والسابلة والمواصلات الاخرى.

وحركته بعتاد الخط الاول يتعب المراتب وهم مع صناديق العتاد في الشاحنات في اثناء سفرهم الطويل، ودعا الى تحاشي ذلك بان تتم حركة جحفل اللواء على شكل قدمات افراج وبعتاد الحراسة كما جرت العادة في تحركات الالوية. ويذكر العميد خليل ابراهيم حسين ان الوصايا خولت قائد الفرقة التعديل والتبديل رأى رأياً آخر (المصدر السابق جـ١ ص ٢٥) الا انه رد في اثناء المناقشة، بانه لا يتدخل في وصايا واوامر تصدرها دائرة الاركان العامة (المصدر السابق ص ٢٦)، فهل وقع في خاطره ان هذه الحركة تدبر لحسابه فوقف من خطة صقر موقف المتفرج وهو يعلم علم اليقين ان عبدالسلام أحد امراء الافواج في اللواء سوف لا يخرج من بغداد وهو يمتلك كل تلك التسهيلات في السيطرة عليها.

تتمة الحكاية.. كان اللواء الركن غازي الداغستاني قد ارسل رسالة العقيد ياسين محمد رؤف المذكورة الى وزارة الدفاع ببغداد وقد اشر عليها وزير الدفاع ورئيس اركان الجيش ثم استقرت في الحافظة الحديدية الخاصة بمدير الاستخبارات العسكرية العميد الركن احمد مرعي دون اتخاذ اي اجراء بخصوصها، وعند وصول العقيد عبدالسلام عارف الى وزارة الدفاع في يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ وصل اليه خبر الرسالة عن طريق احد الضباط، فلما سمع ذلك توعد العقيد ياسين محمد رؤف بالاعدام اذا كان قد كتب حقيقة مثل تلك الرسالة، وكلف (المقدم) خليل ابراهيم حسين معاون مدير الاستخبارات العسكرية بالبحث عنها وكان العميد خليل ـ على ما اخبرني به ـ قد سمع وعيد عبدالسلام فارسل الرسالة التي عثر عليها في غرفة مدير الاستخبارات العسكرية الى عائلة العقيد ياسين بعد ان احتفظ بصورة منها لنفسه وكتم امرها عن عبدالسلام تماماً.

وما دمنا مع اللواء غازي الداغستاني نجد من المناسب الوقوف عند خطته الخاصة بالوصول الى الحكم واصلاحه من خلال النظام الملكي ذاته

وتستند عنده (حركات تنظيف) ـ اسم الخطة على اتحاد سورية بالعراق وانشغال الحكومة العراقية بتهدئة الحال في القطر السوري وحل الاحزاب حيث من المتوقع قيام انتفاضة شعبية نتيجة للاوضاع السائدة في البلد وتأثير الدعاية المصرية المركزة فيستفيد الجيش من فرصة الانتفاضة ويرفض فتح النار وقمع المظاهرات عند صدور امر الحكومة اليه في ذلك الوقت تقوم القطعات المكلفة بحراسة رجال الدولة بالقبض عليهم وحجزهم في مكان امين للحيلولة دون هروبهم الى خارج القطر.

ثم تؤلف حكومة جديدة يكون للجيش رأي في تأليفها وتفضل الخطة ادخال بعض العناصر العسكرية في الوازة الجديدة بحقائب وزارية مهمة وفي حال عدم قيام اتحاد بين العراق وسورية فان الخطة تبقى تتربص فرصة الانتفاضة الشعبية بتأثير الدعاية المصرية المركزة والخطة تتحاشى القيام بانقلاب عسكري جهد الامكان «بالنظر» ان الانقلاب العسكري قد يفسح المجال لحدوث انقلابات اخرى عليه».

واول عمل تقوم به الحكومة الجديدة هو:

أ ـ عزل (ع) واقصاؤه هو و(ن) عن العاصمة وحجرهما في محل منعزل بحيث يستحيل عليهما اشعال فتنة..

ب ـ تعديل القانون الاساسي وتحديد سلطات الملك..

جـ ـ التصلب تدريجياً تجاه بريطانيا وامريكا لحملهما على قبول مبدأ عدم التحكم في سياستنا الخارجية وحمل امريكا على زيادة مساعداتها العسكرية والمالية، والواقع ان خطة (حركات تنظيف) و(حركة جمع الشمل) بشقيها (أوب) و(فترة الاستقرار) هي خطط متكاملة لتنفيذ وحدة (الهلال الخصيب) بزعامة العراق في أسيا ووحدة الاقطار العربية في افريقيا بزعامة جمال عبدالناصر.

ومع ان الخطة حاولت ادخال الطمانينة الى قلوب شركات النفط العاملة في العراق والكويت يومئذ واعطت الارجحية في التنقيبات الجديدة عن البترول للشركات اليابانية غير ان جنوحها الى الولايات المتحدة الامريكية واضح جداً في عبارة «وحمل امريكا على زيادة مساعداتها العسكرية والمالية».

لقد ذكر الداغستاني انه كتب خطته قبل سنة ونصف (من تاريخ محاكمته) وانني لا املك تاريخاً محدداً لمقترحات فول في اصلاح الحكم في العراق ومن هنا اجد صعوبة في تحديد انحياز الداغستاني الاخير الى امريكا او انكلترا في ظروف الصراع الدائر بينهما في الشرق الاوسط ولكن الذي يلفت النظر ان الخطين الانكليزي والامريكي يتفقان على ازاحة الامير عبدالاله ونوري السعيد عن حكم العراق ازاحة تامة.

وعلى اية حال فمما يروى عن نوري السعيد في اختفائه ان ابن فاضل الداغستاني.. هو اول اسم تبادر الى ذهنه انه على رأس الحركة وقد تملكته الدهشة في باديء الامر عندما علم ان مقربه «كرومي» الذي طالما اقسم له يمين الولاء هو الذي (سواها).

نعود الى نوري السعيد.. فقد قامت خلافات حادة بينه وبين حلفائه الانكليز في الآونة الاخيرة من حياته بسبب مطالبته بضم الكويت الى الاتحاد العربي وبدون ضم الكويت الى الاتحاد يضطر الى ان يركن مشاريعه الاعمارية والتنموية التي بدأ بها بعد زيادة عائدات النفط، وهي مشاريع حاول ان يتقرب بها من الشعب للتخفيف من وقع امعانه في المسايرة البريطانية. ومع ان بريطانيا لم تقطع بعدم ضم الكويت الى الاتحاد بعد استقلاله الا ان قناعة المسؤولين العراقيين كانت قد اختمرت «بان بريطانيا كانت تضع العراقيل في سبيل تحقيق ذلك الهدف الامر الذي نجم

عنه بعض الجفاء في العلاقات بين بغداد ولندن وجعل المسؤولين العراقيين يضاعفون مساعيهم وضغطهم على بريطانيا وتحميلهم لها ما ينتج عن تلك العرقلة من انتشار التيارات والنشاطات المتطرفة في المنطقة وتفاقم اخطارها» (السويدي ص ٥٨٥).

كان دفع الجهات البريطانية في الموضوع يذهب الى ان امر وحدة او اتحاد الكويت مع العراق بيد اميرها ولكن هذا الدفع لم يقنع العراقيين، وقد سافر نوري السعيد الى لندن لمعالجة الموقف الا ان تلك السفرة فرزت نتائج سلبية خطيرة ضده حيث دخل في مشادة كلامية مع سلوين لويد وزير الخارجية البريطاني. يقول الشيخ علي الشرقي في الاحلام (١٤٢) فقد سمعت من احد الساسة العراقيين يقول: انه بعد سفر نوري من لندن اجتمعت بوزير الخارجية البريطاني وتحادثنا عن سفرات نوري السياسية، فيقول الوزير : مابال نوري، أهو مريض او متعب؟ انه اصبح عصبياً يحتدم في الكلام ويضرب على الطاولة..؟

ويقول الاستاذ خليل كنة في كتابه «العراق. امسه وغده ص ٢٩٨»!

«.. يقول الجمالي انه عندما زار سلوين لويد في طريق عودته الى بغداد، تساءل الوزير البريطاني: ما اذا كان نوري السعيد مريضاً، وعندما استسفر الجمالي عن السبب. قال: إن نوري تكلم معه بحدة غير مألوفة وانه ضرب على الطاولة مهدداً وممن نقل هذه الرواية عن الجمالي هو الاستاذ ناصر الدين النشاشيبي في كتابه الحبر اسود.. اسود «ان نوري السعيد قد اجتمع مع وزير خارجية بريطانيا قبيل الانقلاب العراقي باسابيع وطلب منه اثارة موضوع الكويت وضمها الى الاتحاد، وعندما رفض الوزير ثار نوري السعيد وراح يصرخ قائلاً: انتم تلعبون والشيوعيون يزحفون. فأجاب الوزير البريطاني: لعلي اشعر ان اعصاب الباشا لم تعد

تحت سيطرته!.. انك بحاجة ماسة الى الراحة» (ص ١٦٢).

اهتزت ثقة نوري السعيد باصحابه الانكليز عند ذلك اللقاء اهتزازاً شديد، فحاول تقديم استقالته الى الملك. وقد تم لقاء عاصف - من جهته - بينه وبين السفير البريطاني ببغداد قال في اثنائه للسفير: «.. ابلغكم وانني المعروف بصداقتي لكم.. ان سياستكم في المنطقة ككل قد فشلت والجميع يخاصمونكم.. وسوف يكون العراق في صفوف خصومكم.. انكم ساهمتم في خلق هذا (البلاء) - اسرائيل - في قلب الوطن العربي لتهديده وكلما حاول العرب الدفاع عن وجودهم تمنعونهم من ذلك لذلك اتوقع ان كل صديق لكم سوف يقتل ويسحل في الشوارع، وعندما طلبنا منكم انضمام الكويت الى الاتحاد الهاشمي باعتباركم الدولة المسؤولة عن علاقات الكويت الخارجية تمانعون وتختلقون الاعذار.. إن موقفكم يحول دون تسخير الموارد العربية في الدفاع ضد الخطر الاسرائيلي الذي اصبح يهدد الوطن العربي.. لقد تجاوزت السبعين من عمري.. قضيتها في تمتين الصداقة معكم.. غير اني وجدتكم تعاملون خصومكم افضل من اصدقائكم.. انني اؤكد لك ايها السفير بمقدوري ان اصبح بطلاً وطنياً يرفع على الاعناق بان اقوم بمحاولة قد تكون ناجحة او يائسة ارضاء للرأي العام العراقي والعربي.. لذلك فانني افضل الانزواء في قرية صغيرة في اوربا.. وانني على يقين بان اشخاصاً اخرين سيظهرون ويلقنونكم دروساً..» (مذكرات عبدالكريم الازري عن محمد الجعفري. نهاية قصر الرحاب).

بعد ذلك اللقاء اتصل السفير البريطاني بالاستاذ توفيق السويدي وزير خارجية الاتحاد وابلغه : «ان حكومته توافق مبدئياً على فكرة انضمام الكويت بعد اعلان استقلاله الى الاتحاد العربي على ان تدرس تفصيلات ذلك في اجتماع خاص يعقد في لندن في ٢٤ تموز ١٩٥٨ مابين رئيس الوزراء ووزير الخارجية في الاتحاد العربي من ناحية وبين رئيس الوزراء ووزير الخارجية البريطانيين من الناحية الاخرى..» (السويدي ص ٥٨٥).

وقد امر السويدي على اثر ذلك بتأليف لجنة من الخارجية والدفاع لاعداد مذكرة محكمة مسهبة حول الموضوع لاذاعتها في مؤتمر صحفي يعقده في بغداد الا ان السفير البريطاني في رجاه بالحاح في يوم «تموز ١٩٥٨ عدم اذاعة المذكرة قبل موعد الاجتماع الذي لم يقدر له ان يتم».

الذي يثير الدهشة.. هو ان يحرك نوري السعيد بالذات موضوع الكويت في ذلك الوقت.. وهو من اكثر الناس خبرة بما يمكن ان يجره على صاحبه من محن ورزايا..

في السابقات العراقية (ناجي شوكة. سيرة وذكريات ص ٣٤١)

ان الملك غازي الاول امر ذات ليلة رئيس اركان الجيش باحتلال الكويت واتصل هاتفياً (بمتصرف لواء) البصرة علي محمود الشيخ علي وامره ان يعتبر (لواء البصرة) منطقة عسكرية لغرض احتلال الكويت.

كان رئيس الوزراء نوري السعيد في لندن لحضور مؤتمر مهم يدور حول القضية الفلسطينية.. ويقوم مقامه في رئاسة الوزراء ناجي شوكة وزير الداخلية اما وزير الدفاع فقد كان الفريق اول الركن طه الهاشمي.

منع وزير الدفاع الفريق الركن حسين فوزي رئيس اركان الجيش من تنفيذ امر الملك في الليلة ذاتها وفي صباح اليوم التالي اجتمع هو ووكيل رئيس الوزراء في البوان الملكي.. وقد بين وكيل رئيس الوزراء للملك انه ملك دستوري مصون غير مسؤول وكان عليه الاتصال في مثل هذه الامور الخطيرة بمجلس الوزراء وليس برئيس اركان الجيش و(متصرف لواء) البصرة، ومجلس الوزراء لا يستطيع اتخاذ اي قرار بذلك الخصوص لغياب رئيسه الاصيل في لندن.. وقبل ان يستأذن من الملك بالخروج من ديوانه نصحه بعدم الاقتراب من موضوع الكويت لبعض الاسباب المهمة التي بينها

له.

بعد ايام قصيرة طلب السر بازل نيوتن السفير البريطاني ببغداد مقابلة وكيل رئيس الوزراء. واثار معه خمس نقاط كانت النقطة الاولى والثالثة تتصلان (باعتزام الملك غازي على احتلال الكويت) فرد عليه ناجي شوكة بانه مطمئن الى ان شيئاً من تلك المخاوف لن يقع.

قطع نوري السعيد اعماله في المؤتمر وعاد الى بغداد على الرغم من البرقية المطمئنة التي وصلته من وكيله باسم مجلس الوزراء.

كانت عودته في الثامن والعشرين من شهر شباط ١٩٣٩ فبادر الى تجريد الملك غازي من اعوانه من المدنيين والعسكريين في المحاكمة المعروفة بقضية حكمة سليمان وبعد شهر واربعة ايام (في الرابع من نيسان) تم مصرع الملك غازي في حادث السيارة المعروف.

وعلى اية حال فقد كان على نوري السعيد بعد اكتمال مباحثات حلف بغداد في استانبول الاتجاه صوب لندن لاستكمال مباحثاته حول الكويت في وزارة الخارجية البريطانية ولكن الرحلة الغيت جملة وتفصيلاً بما في ذلك رحلة حياته.

ومما يمكن ان يرد في الحسابات الانكليزية مع نوري السعيد انهم لم يعودوا يجدونه في ايامه الاخيرة كفأ لمناهضة عبدالناصر وحسر المد الناصري عن العراق.. وهذا المد كان هاجسهم الذي يقلقهم ويقض عليهم مضاجعهم في تلك الايام.

ان الانكليز يكرهون عبدالناصر اشد الكراهية ويحقدون عليه بتفكيرهم ومن وراء تفكيرهم.. يحقدون عليه تأميمه لشركة قناة السويس واجهاض العدوان الثلاثي والاكثر سقوط السر انطوني ايدن زعيم المحافظين من

جراء ذلك.

وكانوا يتوجسون من وصول بترول العراق الى يده بعد ان اصبح الشارع العراقي ناصرياً بقضه وقضيضه.

والعراقيون يحبون الذين يكرهوهم الانكليز حباً لا ارا دياً.. من اجل ذلك احبوا هتلر الزعيم الالماني الذي لا يعلمون عنه شيئاً واضحاً سوى محاربة الانكليز له.. وطالما دعوا الله له بالنصر بعد صلاتهم.

حاول نوري السعيد اول ما طار صيت عبدالناصر أن يتالفه ويوقفه الى جانبه وذلك في بداية المباحثات في الخطط الدفاعية الخاصة بالشرق الاوسط فاخفق في ذلك.

ثم اراد ان يوقفه على خصائص العراق الجغرافية في موقعه وعلاقاته بجيرانه وطبيعة تكوينه البشري فاخفق في ذلك ايضاً.

وبعدها قامت حرب اعلامية بين الرجلين كانت كفة عبدالناصر فيها هي الراجحة.. واخذت هذه الحرب تشتد ضراوة كلما طال عليها الزمن.

ومع التسليم بتفوق الجهة المصرية في صناعة الاعلام تفوقاً ظاهراً في تلك الحرب. وإن عبدالناصر كان خطيباً مفلقاً مفوها مؤثراً في الجماهير ولا يعد نوري السعيد الى جانبه في ذلك شيئاً مذكوراً فان اقتناع الجماهير بان نوري السعيد يحارب عبدالناصر ولاء لبريطانيا وانتصاراً لها ودفاعاً عن مصالحها في المنطقة وما اقترن في الاذهان من وقوفه الى جانب العدوان الثلاثي ترك اثراً مبيناً في اشتداد ولاء الجماهير العراقية لعبدالناصر وصار مجرد وقوف نوري السعيد بوجهه تزكية لنظافته السياسية ودعماً للمد الناصري في الشارع العراقي.

واخذ هذا المد بالارتفاع يوماً بعد يوم ثم ساعة بعد ساعة.

وبدأ يصنع البثق الذي يتدفق منه لازاحة الحواجز بينه وبين دولة الوحدة العربية المجاورة له.. دولة الفرح والقوة.. وذلك يعد نصراً شخصياً لعبد الناصر يغم الانكليز ويهدد مصالحهم في العراق باوخم العواقب.

وانطلق مد الوحدة مع اللواء العشرين.

وانطلق معه اسم (حسن السمعة) هو اسم عبدالكريم قاسم.

والحقيقة ان الضباط: فاضل محمد علي ومنذر سليم عبدالغفور وبهجة سعيد وعبدالجواد حميد وهشام اسماعيل حقي ومهدي علي الصالحي وثابت نعمان وفاضل الساقي وعبدالكريم جاسم وكامل تايه النعيمي وعشرات غيرهم من امراء السرايا. والفصائل وضباط الصف وضعوا دماءهم فوق راحات ايديهم واتجهوا الى اهدافهم في قصر الرحاب ودار الاذاعة ومعسكرات شرطة القوة السيارة ودار نوري السعيد وسواها من الاهداف من اجل تحقيق هدف الوحدة فقط، واغلب اولئك في الاحياء اطال الله بقاءهم. ولدي الكثير من اوراق بهجة سعيد رحمه الله وكلها تدل على انه كان وحدوياً مندفعاً. وقد قام الشيوعيون بقتل عبدالجواد حميد وسحل جثته في الموصل بعد ثورة الشواف وذلك تعريف كاف بهويته السياسية.

وقد استقبلت الجماهير العراقية الثورة منذ الساعات الاولى لقيامها وبصورة عفوية بصور عبدالناصر وشعارات الوحدة والهتاف للقومية العربية.

ولكن بعد تسعة اشهر من رحيل نوري السعيد عن الحكم.. بعد ثورة الشواف وكانت البداية قبل الثورة المذكورة استطاع صاحب الاسم (حسن السمعة) ان يقلب مفاهيم اغلب تلك الجماهير حول عبدالناصر والوحدة والقومية العربية الى الضد حيث صار عبدالناصر طاغية يصادر حرية الشعب وطامعاً يتربص وراء الحدود، وعميلاً امريكياً (راونترياً)

وديكتاتوراً فاسداً وضعوا صورة وجهه - بلا اخلاقية فاضحة - على صور اجساد الساقطات وبعض الحيوانات المذمومة وعلقوها في الشوارع الكبيرة والميادين العامة في بغداد والمحافظات وصبوا على رأسه اقبح ما في المعجم العربي من كلمات البذاءة والفحش، وصارت الوحدة العربية رجساً من عمل الشيطان ومفاهيم القومية العربية عمالة وخيانة وخروجاً على ارادة الشعب وجريمة يستحق مرتكبها الموت قانوناً امام محكمة المهداوي او (بروليتارياً) في الشوارع.

قال فاضل عباس المهدواي عند محاكمته عبدالسلام عارف: «المتهم في جل اعماله كان يسعى للانضمام فوراً..؟ وهو احد المواضيع التي يحاكم من اجلها الآن»)م. ص ٢٠٩٤).

تلك حقيقة - وما في ذاكرة الجيل الذي عاش تلك الاحداث اوسع منها - لابد من تسجيلها على الحزب الشيوعي العراقي التقى فيها لقاء حميماً مع المصالح البريطانية في العراق وخدمها خدمة جلي جعلت الناصرية اثراً بعد عين توطيداً لمركز قاسم في الانفراد بالحكم وكان تحقيق بعض تلك النتيجة متعذراً على نوري السعيد (الاسم سيء السمعة) تعذراً تاماً.

لا اعرف ما عسى ان يكون موقف نوري السعيد لو شهد المعركة الاعلامية التي استأنفها عبدالكريم قاسم من بعده ضد الناصرية بتفوق عظيم؟

ذكرنا عن نوري السعيد انه كان من عشاق السلطة ولا يحتمل الابتعاد عنهما بحال من الاحوال.

وحدث ان الامير هو الآخر كان من عشاق السلطة والنفوذ ولا يحتمل الابتعاد عنهما بحال من الاحوال.

وبسبب هذا العشق المشترك فقد استحكم بينهما عداء مرير، ولاسيما

من جانب الامير. وقد ادى هذا العداء المستحكم الى اضعاف الحكم في السنين الاخيرة من مدته اضعافاً ظاهراً.. وذلك بسبب السرعة التي اخذت تتهاوى فيها الوزارات والمجالس النيابية. فلا تستطيع الوزارات في مدد عمرها القصيرة تنفيذ شيء يؤبه من مناهجها الوزارية، في حين ان عدم رضى الشعب عن اية نتائج انتخابية تجري في البلاد كان مما يؤلب الرأي العام ضد الدولة. ومع ذلك فقد استقامت في مدة العداء تلك وزارتا نوري السعيد الثانية عشرة والثالثة عشرة في الحكم على التوالي مدة ثلاث سنوات تقريباً وهي مدة غير قصيرة بالنسبة لاعمار الوزارات الاخرى وانجزتا بعض المشاريع الاعمارية المهمة التي يمكن ان يعتد بها الحكم ولكن سمعة تلك المشاريع قد اختنقت تماماً تحت وطأة حلف بغداد والعدوان الثلاثي وتصاعد الصراع بين الامير ونوري السعيد.

فالطرق العامة والجسور والبحيرات الاصطناعية انشأها نوري السعيد لاغراض حلف بغداد الحربية.. وحتى بنايات المدارس الواسعة التي اريد لها ان تكون مستقبلية في حينه جعلتها الشائعات مشارع مستشفيات عسكرية عند الحاجة.

يقول ولدمار غولمن السفير الامريكي يومها في بغداد في كتابه (عراق نوري السعيد ص ١٥٦): كان اخلاص نوري السعيد للقصر شديداً جداً.. كما ان ولاءه للعائلة الهاشمية كان ثابتاً لا يتزعزع، ومقابل اخلاصه للهاشميين كعائلة كان شعورة حيال ولي العهد الامير عبدالاله ينطوي على تحفظ واضح...

لان نوري يريد ان تكون الكلمة الاولى في البلاد له ليقينه انه هو الذي صنع الامير عبدالاله بيديه بعد ان لم يكن شيئاً مذكوراً.. وصنعه ليكون طوع يديه بعد ان اعياه العمل مع الملك غازي الاول، ويرى انه الوحيد الباقي من القلة التي صنعت العراق مع الملك فيصل الاول وانه (أبو) وفق

المفاهيم العشائرية.

والامير ينازعه على هذه الكلمة بغض النظر عن وجود الملك فيصل الثاني - صاحب الشأن الاول - بينهما، لانه يرى انه عميد العائلة الهاشمية ويجب ان يبقى نوري تابعاً مثلما كان مع جده الحسين بن علي في الحجاز ومع عمه فيصل الاول في سورية والعراق.

وبخصوص ذلك الصراع يروي السيد جاسم مصطفى مجلص عن الملك فيصل الثاني في اثناء لقاء تم بينهما: وقد اخذت ذلك عن السيد هاتف الثلج

«والله ياجاسم.. صدقني.. بانني لا اعرف ماذا افعل. الانكليز والسائرون بركابهم يريدون شيئاً. ونوري (باشا) يريد شيئاً وخالي يريد شيئاً. وانا «كالاطرش بالزفة» لا ادري الى من التفت وماذا افعل.. اعلم ياجاسم بان امامي الان ستاراً اسود لا اعرف ما الذي يجري خلفه.. ولا ادري كيف اتصرف، فاني اخشى ان اغضب خالي.. او ازعج نوري (باشا) والانكليز، هذا من جهة ومن جهة ثانية.. انا ملك هذا الشعب الطيب. كيف سأتمكن من خدمة بلدي؟ لست ادري..» .

.. هذا وقد اعتاد الامير ان يبدأ هو بفتح المعارك ضد نوري السعيد ولكن نتائج تلك المعارك كانت ترتد عليه حتى اخذ يخشى جانب نوري السعيد على نفسه.

وقد حدثني الاستاذ سلمان الصفواني رحمه الله بحضور السيد حمزة مصطفى: ان الامير عبدالاله قال له ذات مرة «انني اكره نوري السعيد ولكنني اخاف منه».

ونجد المآل ذاته لدى الشيخ الشرقي في (الاحلام ص ١٧٢): «ورغم كرهه لنوري - يريد الامير - او خوفه منه..».

هنا يمكن تحديد موقف نوري السعيد عند تعرضه لواحد من هجومات الامير انه كان يقف عند الدفاع عن نفسه دون ان يتوسع في المعركة بما يمكن ان يلحق اذى بليغاً في خصمه.. وهذه حال غريبة على نوري السعيد الذي اعتاد ان يكون عنيفاً في خصوماته السياسية عندما يتلخص لديه الامر ان يكون في الحكم اولا يكون.

يقول الشرقي عن تلك الخصومة - وكان قد شهد جل فصولها -:

«وغريب من نوري الذي نشأ في حضن المؤامرات والمناورات.. انه يعرف نوايا عبدالاله.. ولكنه يبعده عنها.. ويعطي ولا يأخذ كأنه مشدود بخيط خفي» (المصدر السابق ص ١٧٢).

اما السبب الذي دعا الامير الى فتح تلك الخصومة فيقول الاستاذ خليل كنه في كتابه (العراق - امسه وغده ص ١٦٨): «.. واجتمعت بالامير واستفسرت منه عن الاسباب الداعية الى خلافه مع نوري قال: ان نوري (باشا) لا يحترمني، وكثيراً ما يرفع صوته بوجهي. قلت ان نوري معروف بادبه الجم وتواضعه وحبه لكم وحرصه على تعزيز مكانتكم، وكثيراً ما كان يحرص على تقبيل يد الملك ويدكم.. إلا ان هذه الخصومة طفت على السطح بينهما منذ عام ١٩٥٣.

وقبله.. فمن المعروف.. ان الامير عبدالاله كان من المتحمسين لضم سورية الى العراق وخاصة بعد ان بلغ الملك فيصل الثاني السن القانونية عام ١٩٥٣ والتي تخوله ممارسة صلاحياته الدستورية.. وقد اخذ الدكتور فاضل الجمالي على عاتقه في وزارته الاولى تحقيق طموح الامير.. يعاونه

في ذلك صالح جبر من رؤساء الحكومات السابقين.. وقد اقتضى الموضوع صرف مبلغ ثلثمائة الف دينار عراقي لصف بعض الساسة السوريين الى جانب العراق «وكان نوري السعيد ـ صاحب الاغلبية البرلمانية ـ يعارض فكرة الصرف على المشروع بدعوى انه خيالي يؤدي الى افلاس العراق ولا يمكن ان يحققه» (الحسني ـ تاريخ الوزارات العراقية حـ ٩ ص ٧٨).

ومن رأي نوري السعيد ان الامير يمكن ان يكون في موقف حرج اذا جرى التدقيق في كيفية صرف ذلك المبلغ الكبير خاصة وإن الساسة السوريين الممالئين للامير لا يمكن ان يعطوا وصولات بالمبالغ التي يقبضونها.. ومن رأيه ايضاً ان سورية التي تأتي بالمال يمكن ان تذهب الى مكان آخر بمال اكثر.. وكانت جل اماني نوري السعيد في سورية يومذاك ان يضمن وصول حكومات الى الحكم في دمشق موالية للحكم في بغداد.

واحسب ان ذلك سبباً معقولاً لوقوع الخلاف بين الامير الذي يريد ان يبقي كل شيء في الحكم وبين نوري السعيد صاحب الاغلبية البرلمانية الذي لا يمكن ان تستمر اية وزارة في الحكم الا بموافقته وعمدت اغلبيته البرلمانية الى حجب الثقة عن الدكتور فاضل الجمالي فاضطر على تقديم استقالة وزارته الثانية التي اعقبت الاولى.

وقد اعتبر الامير تلك الخطوة طعنة شخصية له فأخذ يتربص الدوائر بنوري السعيد.. او بدأ يصنع له الدوائر.. لقد خطط لتحجيمه وتقليم اظافره وذلك بتجريده من اغلبيته البرلمانية.

وكان احمد مختار بابان هو الذي يدير مناوراته السياسية تلك فاناط الملك بنوري السعيد تأليف الوزارة التي تعقب وزارة الجمالي ويبدو ان نوري اراد ان يجس نبض البلاط ليرى وجهته بعد تأليف الوزارة.. ومدى العراقيل التي يمكن ان يضعها امامه فأختار ثلاثة من كبار الشخصيات

المحسوبة على الامير للاشتراك معه في وزارته المزمع تاليفها وهم: الدكتور فاضل الجمالي واحمد مختار بابان وعلي ممتاز الدفتري فاعتذر الثلاثة عن الاشتراك معه.. اثنان منهما بحجة المرض وهما بابان والدفتري. اما الجمالي فكان اكثر صراحة بانه لا يريد التعاون في الوزارة الجديدية لان اغلبية نوري البرلمانية خذلت وزارته في البرلمان. وثارت ثائرة نوري.. وتأكد ان الامير يبيت له امراً.. فحزم حقيبته وسافر في اليوم التالي الى لندن (للمعالجة).

عندها اسند امر تأليف الوزارة الى ارشد العمري.. وكانت مهمته اجراء انتخابات جديدة فحققت الوزارة المذكورة الغرض من تشكيلها وهو تجريد نوري السعيد من اغلبيته البرلمانية.

وحققت طموح الامير في مجيء اغلبية برلمانية خاضعة له يستطيع معها المجيء بالوزارة التي يريدها دون أن يتهددها نوري السعيد بسطوته ونفوذه.

... وتمت مقابلة خطيرة على اثر ذلك بين الامير والسفير البريطاني في بغداد طلب فيها السفير من الامير ازالة الخلافات الواقعة بينه وبين نوري السعيد وان يسافر الى باريس لاسترضائه في اقرب وقت ودعوته لتأليف الوزارة وفق شروطه وكان ابرز تلك الشروط هو حل المجلس النيابي (الجديد) واجراء انتخابات جديدة يستعيد بها نوري السعيد اغلبيته البرلمانية.

ويشبه ناصر الدين النشاشيبي مقابلة السفير البريطاني للامير بالدبابات البريطانية التي احاطت بقصر عابدين في القاهرة في الرابع من شباط ١٩٤٢ وانذرت الملك فاروق بعزله اذا لم ينصب مصطفى النحاس رئيس حزب الوفد رئيساً للحكومة.. وقد رضخ الملك فاروق للانذار كما

رضخ الامير بدوره (لطلب) السفير البريطاني.

وسافر في اليوم التالي الى باريس حيث يقيم نوري السعيد.

اما الاستاذ خليل كنه فيذكر قصة سفر الامير لاسترضاء نوري السعيد على النحو الاتي: «خلال الازمة بين نوري والبلاط - بسبب انتخابات ارشد العمري - كنت اتابع الكتابة الى نوري السعيد لاطلعه على تفاصيل مايحدث. والظاهر ان سياسة البلاط الرامية الى تحديه واضعافه اثارته فكتب الي رسالة فيها العتب الشديد على البلاط وعلى الامير بالذات. وطلب الي تلاوة الرسالة على الملك والامير ففعلت وعندما انتهيت من التلاوة علق الاخير قائلاً:

- نحن نعترف باخطائنا ولكن نوري لا يعترف بخطئه

وهنا قلت:

- انني أشعر بحرج شديد عندما اجد نفسي وسيطاً بينكم وبين اخلص من والاكم كما اخشى ان افشل في نقل آرائكم اليه بأمانة وعندها يحصل الضرر وتتباعد الشقة دون قصد ولذلك ارجو معالجة الخلاف القائم بينكم وبينه مباشرة دون ما وسط.

فاعلن الامير استعداده للسفر للاجتماع بنوري (المصدر السابق ص ١٧٠) ومما قاله الاستاذ كنه في مكان آخر من كتابه تتمة لسفر الامير. انه تقابل مع رئيس الوزراء ارشد العمري في اليوم التالي للقائه بالامير واخبره ارشد انه قال للامير عبدالاله بحضور الملك فيصل انه - ارشد - عمل مع الملك شهرين ونصف (في وزارته الاخيرة) وانه على اتم استعداد لان يخوض وراء الملك البحر باطمئنان.. وسبق له ان عمل مع الامير ثلاث عشرة سنة ومايزال يجهل مايريد ومالايريد.. فرد عليه الامير ان المسؤول عن ذلك مزاجه وطبعه (كذا) واضاف على ذلك.. انه هو الذي اقترح على الامير السفر الى لندن لاسترضاء نوري وتكليفه بتشكيل الوزارة.. ثم كلف كنه

ان يقبل له نوري السعيد ويُخبره بضرورة حل المجلس (الذي شكله هو لمصلحة الامير) (ص ١٧١).

ويبدو ان المقابلة بين الامير والسفير قد تمت على النحو الذي سقناه آنفاً وكان من نصيب الاستاذ كنه اجراء بعض التسويات الاعتبارية بين الامير والوزير الغاضب.. وقد كان من احتجاج الامير على نوري السعيد امام السفير الذي بطن وعيده بالحرير: ان الحكم يكاد يكون حكراً على نوري السعيد ولابد من فسح الفرصة امام غيره من السياسيين العراقيين. «وقد اصبحت صحته سيئة للغاية ولم يعد يسمع جيداً واصبحت اعصابه ملتهبة.

وعندما اهمل السفير البريطاني كل تلك الحجج ثارت ثائرة الامير على نوري السعيد (خدام الانكليز) «وبدأ يكرهه بعقله بعد ان كان يكرهه بقلبه وعاطفته واصبح يتحين الفرص للقضاء عليه.
وراح يشتمه في مجالسه الخاصة ويطلق النكات على شيخوخته وتصابيه».
(النشاشيبي. ماذا جرى في الشرق الاوسط ص ٢٥٥)
والمشهود عن الامير عبدالاله انه حقود وانه يمتلك ذاكرة قوية لا تنسيه احقاده مهما طال عليها الزمن.
وإن قوته تكمن في حقده.

فوض امره الى الله تعالى واعلن سفره الى باريس في اليوم التالي للقائه بالسفير بحجة زيارة قريب له مريض هناك، وكان نوري السعيد قد انتقل اليها من لندن وهي انتقاله مناسبة حتى لا يقال ان المفاوضة بين الخصمين جرت باكراه بريطاني. ولم يكتف نوري السعيد بوصول الامير اليه لمصالحته وانما حمله على استدعاء عقله المفكر وساعده المدبر احمد مختار بابان ليستوعب مايدور بينهما ويقف عند حده فاستدعاه الامير

هو الآخر.

ويلخص ناصر الدين النشاشيبي الحوار الذي جرى بين الاثنين على الصورة الآتية:

«وفي باريس طلب عبدالاله من نوري ان يعود ويشكل الوزارة الجديدة بلا قيد ولا شرط وقال نوري لعبدالاله.

ـ سأحل البرلمان

وقال عبدالاله: هذا من حقك.

وقال نوري: وسأحل الاحزاب.

وقال عبدالاله: وهذا ايضاً من حقك.

وقال نوري: وسأنهي المعاهدة.

وقال عبدالاله: افعل ما تشاء.

وركب الاثنان الطائرة وعادا الى بغداد.

... وبدأت العقدة تأكل قلب عبدالاله..» (المصدر السابق ص ٢٥٥) والخطأ القاتل الذي وقع فيه الامير من جراء تلك العقدة.. العمل الدائب للقضاء على نوري السعيد سياسياً انه لم يدرك بان الشعب لا يفرق بينه وبين نوري السعيد، وهما عند الرأي العام العراقي «اسمان لمسمى واحد وشركاء في العمل السياسي يقع على عاتقهما سوية وزر مصرع الملك غازي واعدام العقداء الاربعة وتمشية المصالح الانكليزية وتخلف البلاد والعباد.. وما يقع على رأس نوري السعيد من جرائر وتبعات يقع على رأسه هو الآخر بالتساوي بينهما وعمله الدائب للقضاء على نوري السعيد يؤدي الى القضاء عليه.. وهو ما وقع فعلا.

ألف نوري السعيد الوزارة.. وحل المجلس النيابي الذي لم يلتئم مرة واحدة واجرى انتخابات جديدة استعاد بها اغلبيته البرلمانية على حساب

الامير وقد استمر نوري السعيد اثر تلك الانتخابات في وزارتيه الثانية عشرة (٣ أب ١٩٥٤ ـ ١٧ كانون الاول ١٩٥٥) والثالثة عشرة (١٧ كانون الاول ١٩٥٥ ـ ٢٠ حزيران ١٩٥٧) في الحكم مايقرب في ثلاث سنوات، وهي مدة طويلة في مثل الظروف المرتبكة التي كان يمر بها العراق انجز فيها بعض المشاريع الاعمارية وبالمقابل عقد خلالها حلف بغداد الذي لاقى معارضة واسعة في العراق وبعض الاقطار العربية. ومر العراق خلال حكم نوري السعيد ذاك بالظروف الملتهبة التي صاحبت العدوان الثلاثي على مصر، وماشاع من انه هو الذي شجع على العدوان وأعان عليه، وكان موقفه شديداً من الشعب الذي الهبته مشاعر النقمة على الانكليز في اثناء ذلك العدوان.

ومما وقر في ذاكرة الامير ان عمه الملك فيصل الاول كان اذا ضاقت به المذاهب امام تعنت الانكليز ازاء المطالب العراقية العادلة في اثناء الانتداب يجتمع بالمعارضة سراً ويحرضها على التشدد في مهاجمته وتضييق الخناق عليه ليحمل الانكليز على التراجع عن تعنتهم. وقد عمد الامير عبدالاله الى استخدام المعارضة للايقاع بنوري السعيد.. نضيف ومعه عبدالاله ولعله اراد اذا تمكن من الاجهاز على نوري السعيد بواسطة المعارضة الاعتذار امام السفير البريطاني: بان هذا مطلب الشعب وأن لابد له في الامر.. ذلك اذا عاوده السفير بشأن نوري كرة اخرى.

الذي غاب عن فطنة الامير ان ما يستقر في الشارع عن المعارضة يستقر حول نظام الحكم باجمعه وليس حول الحكومة وحدها.. والرأي العام العراقي حينذاك لا يفرق بين حكومة يرأسها نوري السعيد او اية حكومة تقليدية اخرى تخلفه سواء ترأسها علي جودة الأيوبي او عبدالوهاب مرجان او احمد مختار بابان، والاحرى ان تلك الحكومات الثلاث التي اعقبت حكومة نوري السعيد كانت ضعيفة بشكل ملموس..

في ظروف العدوان الثلاثي.. وقع اجتماع في قصر الرحاب ترأسه الملك

وولي العهد وحضره عدد من رؤساء الوزارات السابقين ورئيسا مجلس الاعيان ومجلس النواب، هاجم فيه رؤساء الوزارات السابقين نوري السعيد لانه «لم يمنع ايدن رئيس الوزراء البريطاني من العدوان ولانه اخفق في الاجراءات التي كان عليه اتخاذها لمعالجة الموقف..؟

استغرب الاستاذ خليل كنه وعنه ننقل الرواية - مما سمع وحمله على الجهل او على سوء القصد..

فرد عليهم: «كيف تنظرون من ايدن ان يقبل رأي نوري السعيد وهو الذي اهمل رأي حزب العمال البريطاني ولم يحفل بامريكا ولا اهتم برأي دول الكومنولث..».

وقد لاحظ الاستاذ كنه ان الامير امتعض من رده (خليل كنه. المصدر السابق ص ٢٢٤) وقدم عدد من رجال التعليم عريضة الى الملك نددوا فيها بسياسة الوزارة في حقل التعليم، واضطهادها الاساتذة والطلاب على السواء وانتهاكها حرمة دور العلم وتوقيف وسجن عدد كبير من الطلبة ووصفت العريضة الشعب انه لا يثق بالحكومة.. وحاولت اعطاء تفسير لتطرف بعض الطلاب في آرائهم السياسية.. وقد غورت هذه العريضة في البلاد وانجدت وتداولتها الايدي وتركت اثراً واضحاً ونقمة بالغة في الوسط الطلابي بعد ان قامت الحكومة باعتقال عدد من الاساتذة الموقعين عليها ونفتهم الى خارج بغداد وخطورة الوسط الطلابي في ذلك الوقت انه كان يمسك بزمام المبادرة في الشارع.

ويذهب الاستاذ خليل كنه ايضاً ان مذكرة الاساتذة كانت جزءاً من مخطط عبدالاله واحمد مختار بابان لحمل نوري السعيد على الاستقالة. (المصدر السابق ص ٢٢٠).

ونجد ظل الامير وراء عريضتين تقدم بها (بعض الساسة) والثانية تقدم

بها رؤساء الوزارات والاعيان والنواب) هكذا وصفهما الاستاذ الحسني تلتمسان من الملك تنحية نوري السعيد عن الحكم وفق صلاحيته بذلك الخصوص.

ومن الطريف ان نقول:

وكان نوري السعيد قد اجرى تعديلاً على القانون الاساسي العراقي في عام ١٩٤٣ تم بموجبه - فيما تم - منح الملك صلاحية اقالة الوزارة، وهي صلاحية لم يكن الملك يمتلكها من قبل وقد حصل ذلك التعديل لصالح الامير عبدالاله الوصي على العرش بشكل مباشر، ومن المؤكد انه لم يدر بخاطر نوري حينذاك ان يقف الامير عبدالاله بالذات وراء اشهار مفعول تلك الصلاحية بوجهه في وقت من الاوقات.

نعود الى العريضتين:

هناك اسماء مشتركة في العريضتين ومنها اسم سعد عمر وكذلك اسم الشيخ محمد محمود الصواف وهما من اعوان صالح جبر المتحالف مع الامير، وقد استقل سعر عمر نقيب المحامين بتقديم عريضة احتجاج الى رئيس الوزارة لقيام الجهات الامنية باعتقال بعض المحامين (الحسني. تاريخ الوزارات العراقية جـ ١٠ ص ١٢٦ - ١٢٧).

كانت ايدي الناس تتداول تلك العرائض المطولة في البحث عن مثالب سياسة نوري السعيد الداخلية والخارجية وقد اعتبرها الامير نصراً خاصاً له ضد خصمه الداهية العجوز في حين انها كانت تترك آثارها السلبية في قرارة الرأي العام ضد كل ما يمت الى الدولة بصلة واصبح مستعداً للترحيب بأي تغيير جذري يحصل في البلاد.

ومهما يكن فقد ظل الامير حتى بعد سقوط وزارة نوري السعيد الثالثة عشرة لا يستطيع مجابهته بالخلاف مباشرة كان يخاف منه ويخشى جانبه.

فقد الف علي جودة الايوبي وزارته الثالثة بعد وزارة نوري المذكورة

وكان من رأيه استمرار جودة في الحكم اطول مدة ممكنة وعندما ابتعد عن البلاد في احدى رحلاته السياسية بادر الامير بالتضييق على جودة وحمله على تقديم استقالة وزارته وكلف الامير عبدالوهاب مرجان بتشكيل الوزارة الجديدة ثم غادر البلاد هو الآخر قبل اجراء مراسيم الاستيزار للتظاهر بان لا يد له فيما حصل ولكنه التقى صدفة بنوري السعيد في مطار لندن ولما سأله نوري عما وقع في اثناء غيابه اخبره الامير:

- ان علي جودة الايوبي قدم استقالة وزارته وانه غادر البلاد ليترك للملك حرية التصرف بالاستقالة.

وكان من رأي نوري السعيد التريث في قبول الاستقالة الى حين عودة الامير من سفره فيتم قبول استقالة علي جودة واختيار من يعقبه في الحكم.

اقره الامير على ذلك وقال له:

- سوف تجتمع بالملك وتقررون ذلك.

بعد ذلك صعد نوري الى الطائرة التي تعيده الى بغداد.. ووجد رئيس الديوان الملكي بانتظاره في المطار فسأله نوري عما تم بشأن استقالة جودة فرد عليه رئيس الديوان: انه لا يعرف شيئاً عن ذلك.. وعندما تقابل مع الملك وسرد له مادار بينه وبين خاله رد عليه الملك «إن استقالة الايوبي قبلت ووقع بالامس تكليف مرجان كل ذلك بحضور خاله وعلمه وتصويبه وباطلاع رئيس الديوان» وقد انصرف نوري من البلاط «وهو المغيظ المحنق (الشرقي ص ١٧٠ ومن طريف ما سجله الايوبي في ذكريات ص ٢٤٣) الذي كان من الممكن ان تمتد ايام وزارته الى يوم الثورة «فقبلت الاستقالة وكان ماكان والحمد لله على السلامة».

وبمناسبة الحديث عن سقوط وزارة وقيام اخرى فان الصراع الدائر بين

الرجلين للاستحواذ على السلطة ادى الى قيام ثلاث وزارات خلال السنة الاخيرة من العهد بمعدل اربعة اشهر كحياة للوزارة الواحدة هي وزارات: علي جودة وعبدالوهاب مرجان واحمد مختار بابان. وارجو ان لا يقع في خاطر احد ان الثورة هي التي ازهقت روح وزارة بابان فان الرجل كان قد قدم استقالة وزارته قبلها بيوم او يومين.. واربعة اشهر هو عمر قصير لا يمكن اية وزارة مهما اوتيت من القوة والتبصر من الاضطلاع بعمل جليل له خطره في البلاد ونتساءل: هل ادى هذا الصراع المرير بين الامير والوزير بهما ام بواحد منهما الى ادخار الجيش لاية مجابهة يمكن ان تكون ساخنة بينهما مما جعلهما يغضان النظر عن نشاط الضباط الاحرار؟

الاقرب الى المنطق ان ندخل ذلك في حسابات الامير عبدالاله بعد عودته المفاجئة من استانبول..

والصراع بين البلاط والسياسي العراقي نوري السعيد او غيره تحصيل حاصل عن خلل قاتل وقع اثناء تجربة الديمقراطية الليبرالية في العراق وهذا الخلل هو فقدان القاعدة العادلة والمقنعة في اختيار رئيس الوزراء.

فالمفروض في الديمقراطية الليبرالية ان تختار الاغلبية البرلمانية المنتخبة انتخاباً صحيحاً رئيس الحكومة من بين صفوفها ويكون مسؤولاً هو وزملاؤه الوزراء امام البرلمان ولكن الذي حدث ان الحكم صار مزدوجاً طيلة فترة الوصاية البريطانية على العراق (الانتداب) فهناك رئيس الوزراء العراقي وفوقه المندوب السامي البرزيطاني وهناك الوزير العراقي يقف ازاءه المستشار البريطاني فمن الممكن والحال هذه ان يتخذ المندوب السامي او المستشار القرار في هذا الشأن او بذاك في حين يقوم رئيس الوزراء او الوزير المختص اللذان ليس لهما يد في اتخاذ القرار بتأدية الحساب عنه امام البرلمان.

ومما زاد في حرج الموقف السياسي في البلاد هو تحوير (صك) الانتداب الى معاهدة تحالف وصداقة بين الجانبين وقد اقتضى هذا التحوير اضفاء الشرعية الدستورية على جميع الامتيازات البريطانية التي تضمنها نظام الانتداب واستدعى ايضاً (جمع) مجالس نيابية مدجنة لرعاية تلك الامتيازات الواسعة واعتبارها حقوقاً على البلاد مما لا يمكن ان يوافق على ابرامها اي برلمان حر، فأصبح رئيس الوزراء الذي يختاره الملك هو الذي يختار مجلس النواب الذي يتعاون معه ويسنده ويقف الى جانبه وليس العكس كما تقتضيه الاصول البرلمانية الصحيحة.. الخيل وراء العربة وليست امامها مما افقد العراق والى نهاية العهد الملكي المعايير المقنعة في اختيار رئيس الوزراء حتى اننا لا نكاد نجد زعيم معارضة خارج الحكم الا اتهم الحكم القائم بتزوير الانتخابات للحصول على الاغلبية البرلمانية ثم نجده اذا وصل الى الحكم لهذا السبب او ذاك يرتكب خطيئة التزوير ذاتها ثم يجد هو الاخر من يتهمه بالتزوير.. وهكذا.

فيما نحن بصدده.. فقد استوفي الملك فيصل الاول رحمه الله اجله في الوقت الذي اصبح فيه المندوب السامي سفيراً لبلاده في بغداد واشتد ساعد الوزير العراقي بجانب المستشار البريطاني ومع ان معاهدة ١٩٣٠ حافظت على المصالح البريطانية الاساسية في البلاد الا انه لم يعد بمقدرة السفير او المستشار الانكليزيين التدخل في شؤون الحكم المحلي بشكل مباشر كما كان شانهما سابقاً. وكان من الممكن اتخاذ الوضع الجديد مؤشراً لتطوير تطبيق الديمقراطية الليبرالية وفق نهجها الصحيح تدريجياً قدر الامكان لتعاون على ايجاد نواظم مقبولة في توزيع المواقع السياسية وفق القيمة الحقيقية لهذا السياسي او ذاك الا ان الامر استمر على عهد الملك غازي على ما كان عليه سابقاً مع فارق خطير جداً هو اقتناع محترفي الحكم باختيارات الملك فيصل الاول وقراراته لسداد رأيه واتساع تجاربه وعمقها وحنكته السياسية وانه يضع الامور في نصابها قدر الامكان ويختار لرئاسة الحكومة الشخصية الملائمة للظروف التي تمر بها البلاد

وحسب تبدلها، في حين رأوا في الملك الجديد فتى قليل الخبرة ضعيف الشخصية غير مؤهل للملك يهتم بحياته الخاصة اكثر من اهتمامه بالحياة العامة ـ وقد اشتدت مثل هذه التقولات عليه بعد ان بعدت الشقة بينه وبين طبقة الباشوات ـ فأخرجوا قضية اختيار رئيس الوزراء من يده منذ آذار ١٩٣٥.. إلى يوم مصرعه في نيسان ١٩٣٩ ليضعوها بيد القوة المتاحة.. القوة العشائرية في بداية الامر.. ثم القوة العسكرية بعد ذلك..

وعلى الرغم من ان الملك الدستوري يملك ولا يحكم (مصون غير مسؤول) الا ان غياب القاعدة الشعبية التي يستند عليها الحكم اساساً جعلت النظرية المذكورة بدون قيمة واقعية فادى ذلك الى اضافة الملك الى الساسة العاطلين الذين لا يقتنعون في وصول هذا السياسي او ذاك الى الحكم مادام يسرق مركزه الرفيع بالقوة ثم يلملم البرلمان الذي يؤيده كواجهة دستورية فأخذ هو الآخر يتربص الدوائر بالوزارات التي تفرض عليه. والمعروف ان الملك غازي كان وراء انقلاب بكر صدقي الذي اطاح بالوزارة الهاشمية الثانية، وتلك حال نجدها الان مستغربة لتطابق الفكر والمسعى القوميين عند الملك ورئيس وزراته الراحل بينما حاول بكر صدقي ومنذ اليوم الاول لانتصار انقلابه العمل على اقلمة العراق واضعاف جميع المؤشرات العربية فيه ولكن استئثار الهاشمي بالنفوذ وهو على رأس وزارة جاء بها تمرد عشائري جعل الملك لا يسلم بشرعية ذلك الاستئثار.

كان رشيد عالي الكيلاني رئيساً لوزراء العراق عندما توفي الملك فيصل الاول فقدم استقالة وزارته وفق بعض التقاليد الدستورية ليرى الملك الجديد رأيه في الحكم وقد اعاد الملك الامر الى الكيلاني احتراماً لذكرى ابيه، ولكن هذه الوزارة مالبثت ان استقالت في ٢٨ تشرين الاول ١٩٣٣ وبعدها تداولت الحكم اربع وزارات شكل جميل المدفعي ثلاثة منها وواحدة شكلها حليفه علي جودة الايوبي. وعندما وجد الزعيمان الاخائيان حكمة سليمان ورشيد عالي الكيلاني ان الحكم اصبح دولة بين المدفعي والايوبي لم

يجدا بدا من الاستعانة بالقوة العشائرية للاستحواذ على الحكم فعقدا مؤتمر الصليخ المشهور في داريهما المتجاورتين في الصليخ (القديم) بالتناوب وقد اعطى المؤتمر ثماره عندما اعلن الرؤساء عبدالواحد الحاج سكر (الفتلة في المشخاب) وشعلان العطية (الاقرع في الدغارة) وحبيب الخيزران (العزة في ديالى) العصيان المسلح فاضطر جميل المدفعي على تقديم استقالة وزارته الثالثة عندما اعتذر رئيس اركان الجيش عن قمع فتنة عبدالواحد الحاج سكر في الفرات الاوسط.. عندها اضطر الملك على تكليف ياسين الهاشمي زعيم الاخائيين بتشكيل الوزارة. ومع ان ياسين الهاشمي لم يحضر مؤتمر الصليخ الا في ايام المؤتمر الاخيرة وكان يهدىء من اندفاع اعوانه في مقاومة وزارات المدفعي ـ الايوبي لاعتبارات شخصية الا انه وافق على المجيء الى الحكم بتلك الطريقة الشاذة.

وهنا صادفه إشكال خطير في تقسيم غنائم المؤتمر ـ اذا صح التعبير ـ فقد وقع اختلاف حاد بين الكيلاني وسليمان حول وزارة الداخلية حيث اصر كل واحد منهما ان تكون من نصيبه.. وكان من الممكن ان يسند ياسين الوزارة المذكورة الى حكمة الا ان معرفته بان وراء اصرار حكمة على طلبه جماعة الاهالي ومحمد جعفر ابو التمن جعلته يرتاب بالغرض من الطلب ويقطع باسنادها الى الكيلاني... فحمل ذلك حكمة على التعاون التام مع جماعة الاهالي ومناصبة الوزارة التي كان من ابرز الساعين في قيامها عداء مرا على اصعدة التحرك السياسي والصحفي والعشائري.. ثم العسكري.

وجاء الهاشمي بمجلس نواب جديد مناسب له.

وعمد اعداؤه الى ازاحته بالقوة ذاتها التي اوصلته الى الحكم.. القوة العشائرية بحيث لا نكاد نجد وزارة عراقية جابهت تمردات عشائرية واسعة ومتعددة وشديدة في الشمال والوسط والجنوب كالذي جابهته الوزارة الهاشمية الثانية.. ومع ذلك فقد تمكن طه الهاشمي رئيس اركان الجيش هذه

المرة من سحق تلك التمردات دون ان يعتذر بشيء. ولما اعلنت العشائر عن عجزها في ازاحة رئيس الوزراء من مركزه ركب حكمة سليمان المركب الوعر فاستعان بالقوات المسلحة لقلب الوزارة المتشبثة بالحكم وتم انقلاب بكر صدقي المعروف في تاريخ العراق الحديث.

وهو بداية تدخل الجيش في السياسة في الوطن العربي.

ودعوه (انقلاباً) على نهج (الانقلاب العثماني) الذي وقع على يد محمود شوكت باشا شقيق حكمة سليمان وازاح به السلطان عبدالحميد الثاني عن عرش الخلافة العثمانية. وقد اثلج الانقلاب العراقي صدر الملك غازي ولكنه لم يرجع اليه النفوذ الذي استلبه منه ياسين الهاشمي وحرم حكمة سليمان رئيس وزراء الانقلاب ايضاً من ذلك النفوذ حيث احتفظ به بكر صدقي لنفسه مع منصب رئيس اركان الجيش دون اضافة اي شيء آخر اليه.

وبادر حكمة الى حل مجلس النواب القديم وجاء بالمجلس الذي يلائمه.

والذي يستوقف النظر هذه المرة هو اشتراك جماعة الاهالي - وهي جماعة متبتلة سياسياً - مع حكمة في تلك الخدعة الدستورية.

وقد تألفت الجماعة في حينه من الشباب المثقف المتأثر بالثقافة الاجنبية الحديثة والافكار التقدمية الا انهم يفتقرون بصورة عامة الى التجانس الفكري حيث تراوح مداهم السياسي بين الاستاذين عبدالقادر اسماعيل البستاني وخليل كنه، وكان فهد (يوسف سلمان السكرتير العام للحزب الشيوعي العراقي فيما بعد مراسل جريدة الاهالي في مدينة الناصرية اما الاستاذ محمد حديد فقد تأثر بالفابية الانكليزية وانهمك الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم بتنظير (الشعبية).

وبذلك تكون (الجماعة) قد ارتكزت في مشاركتها بالحكم على ما اخذوه على الحكم التقليدي من نقص وهو غياب القاعدة الشعبية في اختيار الحكومة وتزوير الانتخابات النيابية وعدم التعرض الى المعاهدة العراقية

البريطانية لسنة ١٩٣٠ بالتعديل. وكان عدم التعرض هذا قد قام مبرراً لزعاماتهم في الانفضاض عن حزب الاخاء انتماء وتحالفاً اثناء ممارسة الحزب الحكم في وزارتي الكيلاني الاولى والثانية ووزارة الهاشمي الثانية.. وايضاً فان الانقلاب مارس ارهاباً سياسياً بالنفي الى خارج القطر والاغتيالات ولا نرى للجماعة يداً فيه.

ومثلما جاءت القوات المسلحة بحكمة سليمان ومجلسه النيابي فقد ذهبت بهما القوات المسلحة ذاتها على اثر الرصاصات التي اودت بحياة بكر صدقي في مطار الموصل فخلفهما جميل المدفعي ومجلس نيابي جديد صنعه لنفسه.

ولابد ان عودة جميل المدفعي الى الحكم كانت موضع ارتياح الملك لانه يثق به ويطمئن اليه.. ولكن هذا الارتياح لم يدم طويلا إذ اتصل به العقيد صلاح الدين الصباغ تلفونياً ذات ليلة وطلب منه باسم الجيش المعتصم في معسكر الرشيد ابعاد جميل المدفعي عن الحكم.

رد عليه الملك.
- لا مانع لدي.. ولكنني ارجو ان لا تطلبوا نوري السعيد ليكون بديلا له.
اجابه صلاح الدين.
- مع الاسف سيدي.. ان الجيش يطلب ان يكون نوري السعيد بالذات رئيساً لمجلس الوزراء.

اغلق الملك التلفون وهو يتجرع كأس المرارة حتى الثمالة واصدر الارادات الملكية اللازمة لتنفيذ طلب الجيش.. واعاد النظر ببعض الحسابات مع نفسه ولاسيما ما يتصل منها بنوري السعيد.. واولها ان نوري السعيد دعا الى ابعاد الملك غازي عن العراق مع احتفاظه بلقب الملك وايجاد مجلس وصاية ينوب عنه في الحكم.. وكان ذلك في ايام الوزارة الهاشمية الثانية..

وأخرها ان نوري السعيد كان يتهدد الملك غازي بالقتل في مجالسة الخاصة لانه القى على عاتقه وزر دم صديقة وصهره جعفر العسكري الذي قتل اثناء الانقلاب ذلك اضافة الى ما بينهما من اختلافات جذرية في التوجه السياسي فقد كان الملك من الد اعداء الانكليز في حين ان هؤلاء قد ذهبوا بلب نوري السعيد وجداً وتدلها.. مع مثل تلك الحسابات وقوة العقداء الاربعة التي يستند عليها نوري السعيد في الجيش اثر الملك ان يأخذ باسلوب (المقاومة السرية) نعم اثر الملك اسلوب المقاومة السرية في تعامله مع رئيس وزرائه نوري السعيد.. فاعاد اتصالاته بحكمة سليمان بعيداً عن الانظار وتفرق الضباط الشباب الذين يلتفون حوله لاعداد رجال الانقلاب الاول من مدنيين وعسكريين للقيام بانقلاب آخر.. وقد عرفنا من هؤلاء رشيد علي مرافق الملك الخاص والنقيب حلمي عبدالكريم والملازم الاول الطيار جواد حسين وكان هذا ممن شاركوا في قتل جعفر العسكري بأمر مباشر من بكر صدقي. وقد استفاد جواد في اتصالاته تلك من الطيران التجريبي الداخلي ـ في ذلك الوقت ـ لطائرات الخطوط الجوية العراقية.

ولدينا واقعة ثابتة.. هي سفر الضباط الثلاثة المذكورين على متن احدى الطائرات الى كركوك وكان جواد حسين هو الذي يقودها وقد نزل منها حلمي عبدالكريم للاتصال بالعقيد (الفريق اول الركن) صالح صائب الجبوري هناك واستمرار سفر الطائرة من كركوك الى الموصل، والارجح لاجراء اتصالات بين رشيد علي وجواد حسين من جهة وبين آل كشمولة من جهة اخرى.

والذي يلفت النظر في تلك (السفرة) ان حلمي عبدالكريم تناول وجبة غداء من كباب كركوك واوصى على صحن كباب آخر ليأخذه معه الى داره في بغداد بعد عودة الطائرة من الموصل.. وفي اليوم التالي لعودته ارسل صحن الكباب الفارغ بيد مراسله من بغداد الى المطعم في كركوك..

وسردت الحادث قبل خمس عشرة سنة على الفريق اول الركن صالح صائب الجبوري اطال الله بقاءه فتذكره بجلاء. وسألته اذا كان المراسل قد اوصل اليه رسالة شفهية او تحريرية بخصوص خطط انصار الملك وتحركاتهم بحجة اعادة الصحن الفارغ فليس من المعقول ان ينفق حلمي خمسمائة فلس على مراسله في الذهاب الى كركوك والعودة منها لمجرد اعادة صحن لا يساوي اكثر من عشرين فلساً في تلك الايام. فنفى وجود اية صلة له بانصار الملك ولم يكن من مؤيدي عهد بكر صدقي ووصول حلمي اليه في كركوك كان من اجل السلام عليه لا اكثر ولا اقل.. والذي اعرفه ان (العقيد) الجبوري صادف يوماً عصيباً في آذار ١٩٣٩ امام المجلس العرفي العسكري برئاسة العقيد عبدالعزيز ياملكي حول لقائه ذاك بحلمي عبدالكريم. استقر اخيراً رأي انصار الملك على ايقاع مذبحة بنوري السعيد وكبار اعوانه من عسكريين ومدنيين على ان تتم المذبحة في حفل تدشين قصر الرحاب ولم ينفذ هذا القرار بسبب القاء القبض على حكمة سليمان وعدد من انصار الملك ولكنه صار الفأل الذي بقي يحوم حول القصر من يوم تدشينه حتى سقوطه في خاتمة المطاف بعد حوالي تسع عشرة سنة من ذلك التاريخ.

استتب السلطان لنوري السعيد بعد مصرع الملك غازي دون منازع فقد كان الجيش معه والوصي على العرش في قبضته.. والاقرب فقد ظهر الامير وكانه ربط مصيره بنوري السعيد ربطاً محكماً، وفعلا فعندما تخلى الجيش عن نوري السعيد وارتبط برشيد عالي الكيلاني ووقعت احداث نيسان - مايس ١٩٤١ اضطرا الى مغادرة العراق سوية ورجعا اليه سوية بعد تلك الاحداث الدامية. فعمدا اول ماعمدا الى ابعاد الجيش عن السياسة ابعاداً تاماً بعد ان غطس فيها اربع سنوات ونصف السنة وكان هو الذي يسمي رئيس الحكومة طيلة المدة من تشرين ١٩٣٦ الى نهاية مايس ١٩٤١ وقد استعادا نفوذهما المشترك استناداً الى القوات البريطانية المتواجدة في العراق ثم الى قواعدها القديمة في الحبانية والشعبية بعد الحرب

العامة الثانية.

بقي نوري السعيد هو الحاكم الحقيقي في البلاد منذ حزيران ١٩٤١ الى نهاية العهد بما فيها المدة حاول الامير منازعته على السلطة فيها بعد ١٩٥٣ سواء كان في الحكم او خارجه، ولكن اختيار آخرين لرئاسة الحكومة كان يجري لاتمام بعض شكليات الديمقراطية وعدم اطالة بطالة بعض الساسة ووفق مقتضيات الحاجة فجميل المدفعي المعروف باستعداده لطي الصفحات السابقة يأتي لتهدئة الحالة العامة بعد الاضطرابات العسكرية وتوفيق السويدي لاعداد البلاد لظروف مابعد الحرب وصالح جبر لعقد معاهدة عراقية بريطانية والسيد محمد الصدر بزيه الديني المحترم لتضميد الجراح التي تركها صالح جبر في جنبات الشعب ومزاحم الامين الباجه چي لمجابهة الفشل العربي في الحرب الفلسطينية ونور الدين محمود من اجل السيطرة العسكرية على الشارع وفاضل الجمالي لالتحاق سورية بالعراق.

اما الوزارات التي الفها نوري السعيد وفق مقتضيات الحاجة فهي ثلاث وزارات متتالية شكلها بعد وزارة جميل المدفعي كان الغرض منها ملاحقة جماعة مايس بالانتقام والعقوبة والاستئصال ففتح معسكرات الاعتقال بالفاو والعمارة القى فيها بآلاف المواطنين من دون محاكمة بتهمة النازية وشكل المجالس العرفية العسكرية لمحاكمة وزراء رشيد عالي الكيلاني والقادة العسكريين فحكمت على البعض بالسجن وعلى البعض الاخر بالاعدام وقد تم تنفيذ حكم الاعدام بالعقداء الاربعة الذين كانوا قوة الامير عبدالاله ونوري السعيد المنيعة حيناً من الدهر وكذلك تم تنفيذ حكم الاعدام بالاستاذ يونس السبعاوي. وقد اضاف الشعب مسألة الاعدام هذه الى مصرع الملك غازي فحمل ضغينة شديدة لاحقت الامير ونوري السعيد الى نهاية حياتهما وفي تلك الفترة جرى تعديل الدستور وسط اخذ ورد شديدين لان التعديل جرى اثناء الوصاية على العرش والتعديل يتعلق بحقوق الملك والمفروض ان تبقى تلك الحقوق على ما كانت عليه في عهد

الملك السابق حتى يبلغ الملك الذي يليه السن القانونية ثم يجري التعديل بعد ذلك ولكن لان التعديل يتضمن اضافة حق الى الملك فقد تمت الموافقة عليه وهو حق الملك في اقالة رئيس الوزراء الذي لم يتضمنه الدستور العراقي قبل التعديل وقد وقع هذا التعديل رد فعل لموقف رشيد عالي الكيلاني من العرش. ومن التعديلات التي اجراها نوري السعيد في الدستور في تلك المرة هو حصر ولاية العهد في العراق بالامير عبدالاله دون بقية ابنا الملك حسين بن علي (الحسني. الوزارات العراقية جـ ٦ ص ١٢٨ وما بعدها).

والواقع انه لا الشعب ولا الحكم كانا مهيأين لتطبيق نظام الديمقراطية كما هو الامر في اوربا ولاسيما اثناء الانتداب (الحكم الانكليزي العراقي المزدوج)، ولا نعرف ما اذا كانت لدى الملك فيصل الاول خطط جديدة للحكم فقد فارق الحياة بتوقيت دقيق بعد الاستقلال مباشرة ولكن احداً من المعنيين من بعده لم يحاول الاخذ بيد النظام المذكور لتطويره وفق مقتضى الحال وتخليصه من الفوضى والاضطراب وتسخيره للاغراض الخاصة طيلة بقائه في التطبيق الفاسد، مما جعل الشرعية الدستورية رابعة الغول العنقاء والخل الوفي يسمع بها الناس دون ان يراها واحد منهم، سوى ان الشرعية الدستورية يراها رئيس الحكومة القائمة هو وزملاؤه وحدهم ماداموا في الحكم فاذا ابتعدوا عنه فانهم يؤكدون غيابها - عن الحكومة التي تخلفهم أي كانت تلك الحكومة.

دوّن الاستاذ ناصر الدين النشاشيبي في كتابه (ماذا جرى في الشرق الاوسط) نقاشاً جرى تحت قبة البرلمان بين صالح جبر (زعيم المعارضة) ونوري السعيد (رئيس الحكومة) ننقله هنا بقضه وقضيضه كما ورد في المصدر المذكور:

صالح جبر:

«أيستطيع السيد السعيد ان يفسر لي نوع هذا الحكم الذي تداس به حرمة القانون؟ انني اعتقدانه لا يستطيع ان يفسر ذلك بغير الحكم الديكتاتوري..

فرد عليه نوري السعيد:

- لقد اتهمني السيد جبر بالديكتاتورية ، وانا اود ان اشهد الوزراء الذين تعاونت معهم : هل كنت في يوم من الايام ديكتاتورا. وعلى كل حال انا عضو في هذا المجلس الذي يضم رجالاً اكثر مني خبرة وفي اليوم الذي افكر فيه انني انا الزعيم الوحيد يجب علي ان اتقاعد.

صالح جبر:

- لم اقصد هذا إنّ لي اعتراض على تسلم السيد السعيد الحكم فان من حقه ان يحكم، واني اعتقد ان تسلمه الحكم رغم ماهو ما عليه من حالة صحية مع الاسف تضحية مقدرة ومشكورة ولكنني لا اوافق على الطريقة فلو ان السيد السعيد اتى للحكم بالطرق الاعتيادية..

نوري السعيد مقاطعاً:

- هل جئت بالزور.. او من السطح. او بالارهاب..؟

صالح جبر: ارجو من المسؤولين ان يحافظوا على رحابة صدورهم.

نوري السعيد: تكلم كلاماً موزوناً حتى ترحب صدورنا.

صالح جبر مستمراً: الطريقة التي اتى بها السيد السعيد تخالف كل المخالفة احكام القانون الاساسي (الدستور) وهذا هو اعتراضي (ص ٢٠١).

بعده.. ارى ان نشرح النقاش او نشرّحه على النحو الآتي:

اراد صالح جبر (زعيم المعارضة البرلمانية) وهو من اتباع الامير المخلصين ان نوري السعيد قد انتهك حرمة القانون الاساسي - الدستور - عندما حمل ولي العهد بواسطة السفير البريطاني في بغداد على حل المجلس النيابي

الذي جرى انتخابه من وراء ظهره واجراء انتخابات نيابية جديدة استعاد فيها نوري السعيد اغلبيته البرلمانية التي استلبها منه الامير لحسابه في المجلس السابق.

والواقع ان الامير ونوري السعيد وصالح جبر كانوا جميعهم داخل اللعبة البرلمانية الهادفة الى ابتزاز حقوق الشعب في ان يحكم نفسه بنفسه كما هو الحال في روح الديمقراطية الليبرالية وحصر المقاعد البرلمانية بطبقات خاصة وعوائل معدودة طالما توزع افرادها على القوتين المتصارعتين الامير او نوري السعيد فهي تضمن حصتها في المقاعد البرلمانية اذا كانت الريح مع هذا او ذاك ولاسيما في العوائل العشائرية التي يأنس اكثر من فرد فيها انه احق بالمشيخة والوجاهة من اخيه او عمه او ابن عمه، وقد يخترق الطوق افراد من خارج اللعبة وهؤلاء يكونون في العادة قلة ليس لها وزن داخل البرلمان.

ونحن لا نهوّن هنا من شأن استعانة نوري السعيد بالسفير البريطاني في حل مجلس نيابي لم يلتئم مرة واحدة واجراء انتخابات جديدة اذا قلنا انه اجراء داخل اللعبة المألوفة وإن الامر يمس كرامته الشخصية وذلك ليس بالامر الهين ولكن الامير موضوعياً كان اكثر جرأة في انتهاك حرمة القانون الاساسي العراقي من نوري السعيد بهذا الخصوص.

لقد حجب القانون الاساسي العراقي في المادة الثلاثين منه - الفقرة العاشرة عضوية مجلس الاكة - الاعيان او النواب - عن (اقرباء الملك) الى الدرجة الثالثة، ومع ان ولي العهد لم يطالب بعضوية احد المجلسين الاعيان او النواب الا ان حرصه على تشكيل اغلبية برلمانية تتأثر به وتأتمر بأمره وتكون طوع يديه خروج على روح القانون الاساسي خاصة وانه قد بقي من الناحية الواقعية مستحوذاً على جميع صلاحيات الملك الدستورية وذلك ماأراد المشرع العراقي تجنبه او تجنب ماهو اهون منه.

ان وله الامير ونوري السعيد بالنفوذ والسلطان وبعدهما عن روح العصر هو الذي جر الكارثة على العرش الذي شيده الملك فيصل الاول في اشد الظروف قسوة وصعوبة اما الملك الشاب فيصل الثاني الذي يمكن ان يكون ابن عصره لو اعده خاله لمهنته باخلاص فقد كان ينقصه ذلك الوله.

* * *

كانت للامير عبدالاله شعبة استخبارات خاصة به ترتبط بلواء الحرس الملكي يرأسها المقدم محمد الشيخ لطيف، وعرفنا من ضباط الاستخبارات العاملين معه شخصياً بالاضافة الى واجباته العسكرية الاخرى في اللواء الملازم فالح زكي حنظل على ماذكره عن نفسه في كتابه «اسرار مقتل العائلة المالكة في العراق» ولابد انه لم يكن الضابط الوحيد التي يعمل معه بتلك الصفة. وكان من واجبات هذه الشعبة مراقبة ولاء منتسبي الحرس الملكي للعرش وللنظام وكذلك متابعة الضباط الاحرار في حركاتهم وسكناتهم وهي تمتلك معلومات جمة ووثيقة عنهم وكان الامير يطلع على تلك المعلومات اولاً باول يستمع الى نقلتها شخصياً ويناقشهم حولها اذا وجد ما يستحق المناقشة.

كما كان يعرف ضباط الحرس الملكي معرفة شخصية تامة وبأسمائهم. كان يرشق الواحد منهم اول ما ينسب الى اللواء بنظرة ثاقبة كانه يفتش بها سريرته ويحصل مافي صدره، ثم لا يلبث ان يقربه منه تدريجياً.. حتى يصل الامر الى ان يقدم لهم لفافات التبغ ويشعلها بيده ويشاركونه احياناً في شرب كأس ويتباسط معهم على ما به من عجرفة فيروي النكات حتى لصغارهم او يدبر لهم المقالب التي يضحك لها معهم من كل قلبه. والواقع ان الامير اعتاد اتخاذ اصدقائه الخاصين من رجال الجيش في الحرس الملكي او غيره من الوحدات دون سائر الناس من ساسة وسواهم.. وكان يعلم ان الكثير من اولئك الاصدقاء ضمن تنظيمات الضباط الاحرار فلم تمتد اليهم

يده بسوء سوى انه كان لا يتوانى عن ابعاد الضباط الذين يثبت له عدم ولائهم للعرش ونظام الحكم عن لواء الحرس الملكي، فاحال ثلاثة منهم على التقاعد، هم: النقيب عباس الدجيلي الذي حاول تنظيم بعض ضباط الحرس الملكي في مجموعة من الضباط الاحرار والنقيب فاضل البياتي وهو شيوعي معروف طار صيته في قضايا التعذيب ايام عبدالكريم قاسم والملازم كمال مجيد الذي تكلم عن اغتيال نوري السعيد مع احد ضباط الشرطة ونقل الملازم اسعد حموش الى خارج وحدات الحرس، واخذ يشك في الايام الاخيرة من حياته بالنقيب منعم عزيز آمر رعيل المدرعات في الحرس دون ان يتخذ ضده شيئاً ولكنه لم يشتبه بالملازم الاول عبدالله مجيد الذي سبق لعبدالسلام عارف ان نظمه في عداد الضباط الاحرار عندما كان في الفوج الثالث من اللواء العشرين. وهذان الضابطان الاخيران كانا دليلي النقيب منذر سليم الى قصر الرحاب. ولعل عدم اشتباه الامير بالملازم الاول عبدالله مجيد يعود الى مبالغة هذا في اظهار الولاء للعرش والعائلة المالكة.

عقد الملازم فالح زكي حنظل في كتابه «اسرار مصرع العائلة المالكة في العراق» فصلاً خاصاً عن فعالياته في متابعة تسقطه لاخبار الضباط الاحرار ونشاطهم وتحركاتهم تحت عنوان (ايام قلقة)(من ص ٥٧ - ٨٩) وتبدأ قصته مع الامير عندما دعاه النقيب عباس الدجيلي - من كتيبة الهاشمي - للعمل في صفوف الضباط الاحرار.. وذكر له ان منظمتهم قوية وفعالة غايتها تخليص الوطن من نظام الحكم القائم (ص ٦٤)، ويذكر الملازم حنظل انه قابل الامير في مساء اليوم نفسه ونقل اليه القصة كما سمعها من عباس الدجيلي من الفها الى يائها. وقال: «في خلال الحديث مع الامير كنت اردد امامه عبارة (الضباط الاحرار) حيث كانت تمر عليه وكأنه قد تعود على سماعها. لم يعلق الامير على الموضوع كثيراً وكل ما هنالك انه اوصاني بزيادة الاتصالات للحصول على اية معلومات جديدة بهذا الصدد (٦٥)»

اما ابرز المعلومات التي قدمها:

١ - نهاية الصيف في عام ١٩٥٧.

كانت العائلة المالكة تقضي الصيف في تركية ومعها الامير.. وقد قابلته بعد يومين من وصوله الى العراق، وكان في جعبتي اخبار مختلفة عن النشاطات السياسية في الجيش.. وعندما كنت اتحدث معه كان يصغي وامارات وجهه تطفح بهم ثقيل واذكر الآن انني لم ار وجه الامير بعد ذلك الا وامارات القلق كانت تزداد وضوحاً على وجهه. ولما انهينا الحديث لم يعلق عليه بشيء وانما طلب مني نقل هذه المعلومات الى استخبارات اللواء وتوحيدها مع المعلومات التي لم يطلع عليها بعد.. كان يتحدث وكأنه لم يعد مكترثاً بشيء.. (ص ٦٧).

٢ - تشرين الثاني ١٩٥٧.

تركزت لدينا معلومات على ان هناك تجمعات بين ضباط الفرقة الثالثة.. وعندما كنت مع الامير في احد اجتماعاتنا وذكرت له المعلومات كان تعليقه عليها: ان هذه المعلومات قد تكون مبالغا فيها الى حد ما (ص ٦٧).

٣ - اوائل كانون الثاني ١٩٥٨

بلغتني شخصياً معلومات اكيدة عن مركز التجمع في منطقة معسكرات جلولاء ومنصورية الجبل حيث يعسكر هناك لواء المشاة ١٩، ذلك ان احد ضباط اللواء المذكور.. وهو يشغل منصب مساعد آمر فوج - كان يجتمع ليلياً مع ضباط الوحدات المختلفة ويناقشون تخطيطاً وتقدير موقف لعملية عسكرية هدفها احتلال بغداد والقيام بانقلاب عسكري.. وقد ورد امامي لاول مرة اسم عبدالكريم قاسم، حيث افاد النبأ بان عبدالكريم قاسم هو الرأس وراء النشاطات هناك، وعندما كنت اناقش تلك الاخبار مع الامير بدا متلهفاً تلك الليلة لمعرفة المزيد منها.. وما ان وصلت الى

عبدالكريم قاسم.. حتى زوى مابين حاجبيه وفرك جبينه باصابعه وغرق في تفكير عميق.. وكان تعقيبه على الموضوع «انه - الامير - يعتقد انها حركة لضباط صغار».

قاطع مرافقه عبدالقادر محمود حديث الامير بقوله:
- ولكن ياسيدي يجب ان لا تهمل الامر الصغير.

ويذكر المؤلف انه عندما قابل ضابط الاستخبارات وحدثه عن عبدالكريم قاسم وجد وجهه ينبىء بان معلومات كثيرة الا انها غير مؤكدة وصلت عنه. (ص ٧٣ ـ ٧٤).

٤ ـ اعلنت حالة الانذار بين قوات الحرس الملكي، وقد مر المؤلف بظروف نفسية وجسدية صعبة للغاية، فقد تضاعفت الواجبات عليهم بتكثيف الدوريات ومضاعفة نقاط الحراسة وصار الجندي اثناء ذلك لا يصل الى بيته الا في فترات متباعدة «وراحت الشكاوى تنهال علي من ضباط الصف القدامى - الكلام لحنظل - وانه لم تمر في حياتهم فترة ظلوا فيها بالواجبات المتتالية كهذه الفترة.. وعندما كنت انقل للامير وصف تلك الحالة النفسية والجسمية المرهقة (بدا) من الواضح انه كان خائفا من الموقف العام. اذ رد علي «اننا نمر بموقف دقيق يتطلب منا ان نكون جميعاً بالانذار (فنحن) نمر بازمة وسوف تنتهي بشكل ما كما انتهت غيرها من الازمات.. ولكنه قال ذلك بصوت خال من الثقة بالنفس».

٥ ـ اواسط شهر نيسان ١٩٥٨

الحلة:

اوفدت بمهمة عسكرية خاصة ببعض وحدات الفرقة الاولى في جنوب العراق وقمت (بزيارة مجاملة) للسيد انور ثامر مدير أمن الحلة.. وعندما تطرق بنا الحديث الى الوضعية في الجيش، افاد المرما اليه: بانه يعتقد

جازماً بان الجيش يتمخض عن حركة قوية بين ضباط الفرقة الاولى باسم الضباط الاحرار، وبحوزته ادلة دامغة على انهم يسعون للقيام بانقلاب عسكري، وادلى لي باسماء بعض الضباط النشيطين واطلعني على عدة تقارير من وكلائه عن نشاط بعض العسكريين في المنطقة.. ثم اردف قائلا: إن تلك المعلومات برمتها لا علاقة لها بدائرتي.

البصرة:

وجدت انتظاري مفاجأة من نوع آخر.. حيث التقيت بالنقيب المتقاعد عباس الدجيلي الذي دعاني الى سهرة معه في تلك الليلة، وفي النادي شرع يعب الخمرة بشراهة وكان كلما توغل في الشراب انفتح فمه عن المقدرة البالغة التي آل اليها تنظيمهم العسكري.. ومما قاله لي: انه لا يهمه اذا قمت بايصال هذه المعلومات الى الحكومة.. لان الحكم كله سوف ينتهي قريباً.. (ص ٧٩).

(بعد عودتي) كنت علي موعد مع الامير في مساء اليوم ذاته للادلاء له بما في جعبتي من اخبار عن الفرقة الاولى.. لقد كان الامير في حالة نفسية يمكن وصفها بانها قاتلة.. وعندما كنت احدثه عما سمعته كان بصره يسرح في سماء الغرفة ثم يتطلع يمنة ويسرة وعلى غير عادته لم يطلب المزيد من المعلومات، بل هز رأسه وشكرني وفي وجهه الف اشارة ان ادعه لوحدته (ص ٨٠).

تعليق:

اكد لي المقدم محمد الشيخ لطيف ان اللواء عمر علي قائد الفرقة الاولى كان يعمل آنذاك للقيام بانقلاب عسكري ضد الوضع القائم او هذا ما وصل اليهم عنه.. اقول: وظهر لي ان

عمر علي كان يريد من وراء الانقلاب المذكور تخليص الملك من ولي العهد ومن نوري السعيد ولكن هل كان الضباط الاحرار في الفرقة الاولى على رءأيه او ان لهم رأياً مغايراً. وفي ختام هذا التعليق نذكر ان اللواء عمر

علي اعلن التمرد على ثورة ١٤ تموز وحاول الزحف على بغداد والقى خطبة في الجنود ورد فيها قوله: «ان جماعة من الشيوعيين قاموا بثورة في بغداد ويريدون تسليم البترول وخيرات البلاد الى الاجانب» وطلب تأييد الحكومة وهتف بحياة حفيد شهيد كربلاء وعلي بن ابي طالب وفاطمة الزهراء (م. ص ٣٥٥٥).

٦ - حزيران ١٩٥٨

دخل ضابط الاستخبارات المقدم محمد الشيخ لطيف وقدم ملفا يحتوي على اسماء وتنظيمات كل الضباط الاحرار والانقلابيين الذين يدبرون للثورة في العراق (وقد وجد الامير فيهم) الكثير من الضباط الذين رافقوه في فترات من حياته سواء في وحدات الحرس الملكي او مرافقيه ورانديه كما وجد اسمين او ثلاثة لضباط يعتبرهم الامير من اصدقائه الخلص، بل ان احدهم كان يقضي معه امسيتين او ثلاث امسيات كل اسبوع. وبعد ان اطلع على الاسماء والتشكيلات صفق الملف ورماه امامه على المكتب وقال: .. إن غالبية هؤلاء الضباط وطنيون مخلصون.. وقد يفيدون العراق احسن مني.. فان كانوا لا يريدونني اترك وفيصل معي العراق. (ص ٤٥ و ٤٦).

تعليق

يبدو ان هذا الخبر من مسموعات الملازم فالح زكي حنظل دوّنه رواية عن احد زملائه في العمل، لانه ذكر في كتابه انه انقطع عن زيارة الامير شهرين التحق خلالهما بسرية حراسة البلاط ولم يلتق به الا في اوائل شهر تموز فيكون شهر حزيران ضمن المدة التي لم يلتق فيها بالامير.. وقد نفى المقدم محمد الشيخ لطيف امامي وقوع هذا الاجتماع نفياً قاطعاً وعليه المعول في هذا النفي، ومع ذلك تبقى الاصول التى جرى عليها (تاليف) الخبر قائمة حيث وجد الكثير من ضباط الحرس الملكي السابقين ضمن حركة الضباط الاحرار. ومما اورده الملازم حنظل في فصول اخرى من كتابه عن اخلاق الامير انه كان غير مستقر في صداقاته، فهو يختار هذا الضابط او ذاك لصداقته ثم يرفعه في نمط حياته ومعيشته الى مصاف الملوك يستصحبه في سفراته ويحضره في دعواته ثم لا يلبث ان ينساه ويهمله فيعود ذلك الضابط وفي نفسه ما فيها من اهمال الامير له.

وما ورد من ان الامير مستعد لمغادرة العراق ومعه فيصل فذلك من كلماته المألوفة في تلك الفترة.. ويبدو ان الخبر مصنوع صناعة متقنة بما يتفق مع الواقع.

٧ ـ اوائل تموز ١٩٥٨

في الفترة الممتدة من نيسان الى اواسط حزيران تسلمت سرية حراسة البلاط، والمرة الاخيرة التي اجتمعت فيها بالامير كانت في اوائل تموز (حيث) طلبني الى قصر الرحاب وسألني اذا كنت مازال اتردد على ضابط الاستخبارات وكيف هي الوضعية في الفوج. وتحدث عن الملازم اسعد حموش الذي اضطر الى ابعاده عن الحرس الملكي. وسألني سؤالاً غير متوقع عن النقيب منعم عزيز.. وعندما اجبته بانني لم اسمع عنه شيئاً.. غرق في التفكير.. (وقال) وقد خرجت كلماته من فمه اشبه بالفحيح:

ـ والله.. لم اعد ادري اين انا؟.. لقد فاضت الكأس بما فيها. (ص ٨٢) ذلك مادونه ضابط واحد من ضباط الاستخبارات الخاصين بالامير عن تتبعاته لتشكيلات الضباط الاحرار نقلته باختصار يكاد يكون باللفظ الذي كتبه كاتبه به.. وقد كتب مارأى وما سمع وما شارك فيه شخصياً.

وهنا تختلط علينا اوراق الامير عبدالاله اختلاطاً مذهلاً.

وتتملكنا حيرة اشد من التي تملكته عندما تساءل مع نفسه: والله.. لم اعد ادري اين انا؟

الامير الحريص على الحكم والزاهد فيه.

الذي له عداواته واحقاده بسبب الحكم.

الحازم والمتردد.

الشجاع والخائف.

الذي غلب على امره ـ بابيه ـ في الحجاز، ولا يريد ان يغلب على نفسه تارة اخرى في العراق.

واول ما يتبادر الى الذهن في الاجابة على سؤال الامير الحائر، ان يقول له اي أحد:

انك تقف امام تنظيمات الضباط الاحرار، او انهم يقفون امامك. وهم يريدون ازالة دولتك ونعمتك وتجريدك من الملك والسلطان، فخذ ولا نقول او دع.

خذ باسباب مقاومتهم وتشتيت شملهم وخضد شوكتهم وانت تمتلك الوسائل المتفوقة عليهم في ذلك.. والمُلك عضوض.

او خذ بيد الملك البريء من جرائر كل مايدور حوله الى حيث الامان والاطمئنان في الفيلا القريبة من مطار لندن.. او الى اي مكان في خارج العراق.

القضية وفق هذا الحل لا يمكن ان تحير احداً مع التسليم بصعوبة الاختيار بين النهجين. ولكن ان يضاف ضابط واحد اسمه النقيب منعم عزيز الى قائمة الضباط الاحرار لا يمكن ان يؤدي بالامير الى تلك الحيرة المريرة.

يبقى ان نخرج عن دائرة الاجابة العفوية على السؤال الذي طرحه الامير على نفسه وسمعه الملازم حنظل للبحث عن موضع قدم الامير في تلك الايام المرتبكة وما اظنني واجده.. ولكنها مجرد محاولة. فمما يقع في الخاطر، هو تهوين الجهة البريطانية من شأن التحذيرات التي كانت ترد اليه بخصوص فعاليات الضباط الاحرار للانقضاض على الحكم وقد وثق من جانبه من صحة التحذيرات، ووثق ايضاً من علم الجهة البريطانية بصدقها وصحتها مع استمرارها في التشكيك بها وذلك ما حمله على الاستنتاج بان هناك لعبة واسعة ستدور على الساحة العراقية ولا يعرف موقعه منها بالضبط. والخاطرة الآنفة.. يمكن ان توضح لنا سر تسائل الامير.. «لم اعد ادري اين انا؟»، وتعلل ايضاً وقوفه مكتوف اليدين امام تنظيمات الضباط الاحرار منذ ان علم بوجودها الى اللحظة الاخيرة من حياته ويقع في الخاطر ايضاً.. ان الامير اناب عنه من يضارب لحسابه في بورصة الجيش

السياسية بعد ان سلم بحقيقة تفشي منظمات الضباط الاحرار في سائر قطعات الجيش العراقي، واقرب اسم يتبادر الى الذهن للذي يضارب بالنيابة عنه هو الفريق الركن رفيق عارف المحسوب عليه.. ورفيق عارف هذا قد ملأ يده من مركزه في الاحداث العسكرية المتوقعة بواسطة خطة صقر وان العقيد عبدالسلام عارف هو المنفذ، فهل يفي له رفيق دعارف عندما يتمكن من ناصية القوة حين يفجر «الثورة البيضاء» بضمان سلامة العرش الذي يتعكز عليه في نفوذه وسلطانه..

ويقع ايضاً ان يتساءل الامير وهو ازاء الاحداث الوشيكة: هل يستطيع رفيق عارف السيطرة على الموقف العسكري في الساعة الحاسمة بعد ان اتسعت منظمات الضباط الاحرار كل ذلك الاتساع.. الا يجوزان يحدث ما ليس في الحسبان فتنقلب الخطط رأساً على عقب؟

ذلك يمكن ان يدفعه لان يتساءل: «والله لم اعد ادري اين انا..؟».

ومهما يكن من شأن فان استهانة الامير بتحذير بختيار وهو على يخته في استانبول لم يكن عملاً انفعالياً او اعتبارياً او «من تأثير الخمرة» كما علله نذير فنصه ولم يكن بختيار ممن يستهان برأيه بهذا الخصوص ولكن عودة الامير السريعة الى بغداد خروجاً على منهاجه الصيفي لذلك العام يدل على ثقته من نفسه ثقة مطلقة وإن زمام الامور بيده وليس بيد شخص أخر وقد عاد ليضع الامور في نصابها ببغداد.

بعد كل ما تقدم لابد ان نورد هنا ما جاء في كتاب «اسرار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق» للاستاذ صبحي عبدالحميد، عضو الحلقة الوسطية للضباط الاحرار حيث يقول «لقد ثبت بعد ان اجهزة الامن والاستخبارات لم تكن لديها المعلومات الكافية عن تنظيم الضباط الاحرار وعن اسماء منتسبيه، ولقد عثر مدير الامن العام عبدالمجيد جليل الذي عينته الثورة في اضابير مديرية الامن العامة على كتابين احدهما من الاستخبارات

العسكرية بتاريخ ٥ / ٧ / ١٩٥٨ تسأل مديرية الامن العامة عن نشاط الضباط الاحرار، والثاني جواب مديرية الامن العامة الذي طبع في ١٣ تموز ١٩٥٨ اي قبل الثورة بيوم واحد ولم يوقع لقيام الثورة ويدل فحوى الكتابين بان هاتين الدائرتين لا تملكان معلومات مفصلة عن التنظيم، وإن مديرية الاستخبارات العسكرية تعلم بوجوده ولكن لا تعرف من هم اعضاؤه، وللتاريخ اسجل ادناه الكتابين (المصدر السابق ص ٨٨) ثم اورد نص الكتابين المذكورين (ص ٨٩ ـ ٩٠) وهما يدلان دلالة واضحة على ان المديريتين كانتا تجهلان موضوع الضباط الاحرار جهلاً مطبقاً.

فهل زوى الفريق الركن رفيق عارف المعلومات الواسعة التي ادلى بها في افادته امام المحكمة العسكرية العليا الخاصة حول الضباط الاحرار عن شعبة الاستخبارات العسكرية المرتبطة به حتى اضطرت هذه المديرية الى طلب معلومات عن الضباط من مديرية الامن العامة.. مع ان رئيس اركان الجيش كان يستشيط غيظاً عندما يعلم بمداخلات مديرية الامن العامة في شؤون الجيش وخاصة ما يتعلق منها بالضباط الاحرار.. لا ادري اذا كان بالامكان افتعال مثل هذين الكتابين فيما بعد وجواب مديرية الامن العامة لم يكن موقعاً لابراز الزعيم عبدالكريم قاسم وكأنه قد باغت العهد الملكي بثورته.. فقد كان رحمه الله يحب كلمة المباغتة هذه من كل قلبه.

ومهما يكن من امر فقد بدأ الامير عبدالاله خلال الاشهر الاخيرة من حياته كما لو انه علم ان حكماً بالاعدام قد صدر ضده وعلم بزمان ومكان التنفيذ فكانت حالته النفسية تزداد سوءاً كلما اقترب اجله مع رجاء ان يتداركه لطف الله فجاة..

لقد وقف أزاء الاحداث التي كانت تجري سراً ثم.. بصورة شبه علنية دون ان يحرك ساكنا مع انه كان يملك ان يصنع الكثير حتى في الساعة الاخيرة من حياته بل طوى امراً ما في صدره وهو يتجرع المرارة والالم وينوء تحت وطأة هم ثقيل.. حتى فاضت الكأس بما فيها.

وكانت الكاس بيده.

فلماذا تركها تفيض.. ثم تندلق بالتراب.

خرج الملازم فالح زكي حنظل من داره قرب جامع الامام ابي حنيفة في الاعظمية للذهاب الى معسكر الوشاش في قاطع الكرخ، حيث سبق له ان التحق بدورة عسكرية في مدرسة المشاة.. كانت الساعة في نحو الخامسة والنصف.. والشوارع تكاد تكون مقفرة من السابلة في ذلك الوقت المبكر من صباح يوم الاثنين الرابع عشر من تموز ١٩٥٨.. رأى في طريقه الى باب المعظم مبنى البلاط الملكي ولا شيء يلفت النظر فيه.. جندي يحرس الباب النظامي كعادته وبيده بندقيته والسكون يخيم في مبانيه.. والمشاهد اعتيادية ايضاً في المسافة القصيرة بين البلاط وباب المعظم ولكنه رأى عند مدخل شارع الرشيد من تلك الباب حيث يقع مبنى وزارة الدفاع صفاً طويلاً من الشاحنات العسكرية امام باب الوزارة المذكورة ووقف الى جانبها جنود مسلحون وهم بقيافة الميدان.. ولعل الضابط المذكور لم يتفاجأ برؤية جنود اللواء العشرين وهم يسيطرون على قاطع الرصافة.. فقد وصلت اليه هذه المعلومة قبل اربعة ايام من يومه ذاك.

طرق عليه باب منزله في مساء ١٠ تموز صديقه الملازم عبدالرحمن سيد جواد وحذره من الالتحاق بفوجه في الحرس الملكي «.. لقد انتهت القضية يافالح.. فلواء المشاة العشرين سيحتل بغداد اثناء مروره منها ليلة الرابع عشر من تموز على ان ينفتح اللواء التاسع عشر لاستثمار الفوز» وكرر رجاءه له وهو يقبله أن يبتعد عن موطن الخطر.. «لقد انتهت القضية.. ولا شفيع او صديق لنظام الحكم في العراق..» اكد لي ابو سبع العقيد عبدالرحمن سيد جواد انه حذر صديقه فالح حنظل من الالتحاق بوحدته في الحرس الملكي قبل ايام من وقوع الثورة.. وكان (الملازم) عبدالرحمن من منتسبي كتيبة الخيالة في الحرس الملكي اول تخرجه في الكلية العسكرية.. ثم نقل الي اللواء التاسع عشر بامرة العميد عبدالكريم قاسم.

وسألته: من اين حصل على المعلومات الدقيقة التي حذر بها صديقه

فأجاب: انه مجرد تقدير موقف.. العلاقة الحميمة بين عبدالكريم وعبدالسلام معروفة.. ومعلوم ان اللواء العشرين سوف يتحرك الى الاردن ليلة الرابع عشر من تموز، وقد قصر عبدالكريم قاسم تدريب اللواء التاسع عشر على الصعود والانزال لمدة اسبوع قبل موعد الحركة.. تردد الضابط المخلص للامير من تبليغه الخبر الذي وصله من صديقه (الملازم) عبدالرحمن سيد جواد خشية ان يكون مثل كثير من الاخبار المماثلة التي كان يوصلها اليه دون طائل.. ومع هذا فقد تمنى في قرارة نفسه لو ان احداً غيره يوصل الخبر الى الامير.. ولعله ندم على عدد شعر رأسه لتردده في ايصال الخبر بعد ان رأى صحته حقيقة ماثلة امام عينية.. قطع شارع الرشيد الى نهايته في الباب الشرقي فوجد الجسور الثلاثة الموجودة في بغداد يومذاك - المأمون «الشهداء»، فيصل الثاني «الاحرار»، الملكة عالية «الجمهورية» تمسكها مفارز عسكرية تمنع عبور العسكريين وسياراتهم «بأمر عسكري». وعندما وصلت الساعة الى السادسة تقريباً «كنت - والكلام لحنظل - ارفع سماعة الهاتف الموجود في فندق سمير اميس في قلب شارع الرشيد ببغداد وادير ارقام بدالة الهاتف في القصور الملكية، وجاءني صوت موظف البدالة هادئاً ساكنا كعادته فطلبت منه ان يصلني برئيس خفر الثكنة، وبعد لحظة جاءني صوت النقيب سالم رشيد - رئيس الخفر - طبيعياً جداً وهو يبادلني الكلمات الاولى وهنا تيقنت انهم لم يدروا بشيء بعد.. وأنبأته ان وحدات اللواء العشرين قد سيطرت على بغداد وان انقلاباً عسكرياً قد حدث فلم يصدق كلامي» (المصدر السابق ٩٢ - ٩٥).

ويذكر العقيد طه بامرني وكيل امر لواء الحرس الملكي وآمر الفوج الاول فيه: انه اعتاد المبيت في الثكنة العسكرية الخاصة بلوائه بعد سفر عائلته الى قرية بامرني في حزيران من تلك السنة. وقد نهض من نومه مبكراً ذلك اليوم ليهيء حرس الشرف المقرر احضاره لتوديع الملك بسبب سفره

الى تركية، وبينما كنت منشغلاً بحلاقة وجهي جاءني رئيس الخفر سالم رشيد مسرعاً واخبرني بان الملازم فالح زكي حنظل احد ضباط الفوج قد اتصل به تلفونياً وذكر له بانه خرج من بيته الى معسكر الوشاش وقد اعترضه بعض ضباط اللواء العشرين ومنعوه من عبور الجسر الحديدي مدعين ان اليوم عطلة ولا يسمح لاحد بعبور الجسر.

ملاحظة: يقع الجسر المذكور في منتصف المسافة بين مبنى البلاط وباب المعظم وبذلك يكون الملازم فالح قد علم بوقوع الانقلاب العسكري قبل وصوله الى مبنى وزارة الدفاع.

ويستمر العقيد طه فيما ذكره لي: كنت على علم بحركة اللواء العشرين ذلك اليوم من جلولاء الى (H_3) فخيل لي ان الملازم فالح ضابط حديث ولم يشترك بعد في التمارين والحركات العسكرية. ومن الاصول المتبعة ان يترك اللواء موقع سيطرة على الجسور وملتقى الطرق عند عبور رتل من آليات الجيش لمعالجة الحوادث المحتمل وقوعها كاصطدام السيارات او فتح الطريق امام آليات الجيش وايقاف عبور آليات الاهليين والسابلة، ولابد ان حادث اصطدام هو الذي ادى الى منعه من عبور الجسر. ومع ذلك فقد طلبت من رئيس الخفر الاستفسار تلفونياً من ضابط خفر الانضباط العسكري في مقر وزارة الدفاع عن جلية الامر.

وحدثني العميد (النقيب) عبدالرحمن محمد صالح الدباغ آمر سرية الدفاع عن قصر الرحاب .

قال: انه كان مسؤولاً في ذلك الصباح عن سرية الشرف التي يفتشها الملك قبل صعوده الى الطائرة وهو في طريقه الى تركية
وقد وصلت الى داره الواقعة في راغبة خاتون بين الساعة الخامسة والنصف والسادسة صباحاً سيارة من مقر اللواء لتوصله الى قصر الرحاب

وكان معه معلم جوق الموسيقى النقيب موسى والاملازم الاول محمد رضا من حرس الشرف، وفي الطريق اخبره سائق السيارة واسمه عبدالحسين مهاوش انه رأى اثناء قدومه تحركات عسكرية غير مألوفة في بغداد، وعندما وصلوا الى مدخل جسر الجمهورية استوقفتهم مفرزة عسكرية تتألف من عدد من الافراد بامرة عريف وقد طلبت منهم المفرزة العودة من حيث جاؤوا فقال لهم النقيب عبدالرحمن: دعوني اواصل سيري فانا منكم.

التفت احد الجنود الى رفاقه وقال لهم:

- انه على اية حال من ضباط الجيش العراقي، ولا بأس ان تترك له حرية المرور الى حيث يشاء، بعدها واصلت سيارة البارو سيرها الى قصر الرحاب.

في تلك الاثناء وصل الى سمع العقيد طه بامرني صوت الرصاص المنهمر على قصر نوري السعيد.. وقبل ان يصل رئيس الخفر في ثكنة الحرس الملكي الى التلفون ليستفسر من ضباط خفر الانضباط العسكري عن جلية ما يجري في بغداد. دق جرس التلفون مرة اخرى.. وكان المتكلم هذه المرة الرئيس عبدالرحمن محمد صالح الدباغ الذي كان قد وصل الى ثكنة قصر الرحاب وكان يتكلم منها. فقد اخبر رئيس الخفر انه عندما كان قادماً مع بقية ضباط الحرس من بغداد منعه بعض ضباط اللواء العشرين من العبور على جسر الجمهورية مدعين ان اليوم يوم عطلة وتهددوه باطلاق النار عليه اذا خالف اوامرهم ورغم ذلك فقد تم عبوره بالسيارة هو وبقية الضباط دون ان ينفذ احد التهديد (تلك رواية العقيد طه بامرني) الذي يسترسل في حديثه ويقول «ثم طلب من رئيس الخفر نقل هذا الخبر اليّ ويستفسر مني: هل يتهيئون لحرس الشرف او لشيء آخر؟ - يقصد القتال».

عندها تأكدت ان القضية غير اعتيادية فهي اما ان تكون ثورة يقوم بها الجيش او انقلاب عسكري ضمن الصراع الانكليزي الامريكي الدائر في

المنطقة. قلت لرئيس الخفر: بلغ النقيب عبدالرحمن ان يجهز السريتين (في قصر الرحاب) بكامل العتاد قياس «أ» ولكن اياه ان يفتح النار دون امر مباشر مني.

وقلت لرئيس الخفر ان يعلن الانذار من قبل البوقي في ثكنة الفوج، وان يفتح المشاجب ويوزع السلاح والعتاد على كافة منتسبي الحرس الملكي الموجودين في الثكنة، وبدوري اسرعت بارتداء ملابسي العسكرية ثم طلبت من رئيس الخفر ان يتصل هاتفياً بضباط الفوج القريبة بيوتهم من الحارثية ولاسيما الرئيس هاشم كمال مساعد الفوج وضابط الاعاشة الرئيس كامل. وقد تم حضور عشرة منهم خلال ساعة واحدة وحدثني الرئيس (الاستاذ المحامي) هاشم كمال مساعد الفوج: انهم اتصلوا به تلفونياً في منزله الواقع في الحارثية وطلبوا منه الحضور الى الثكنة مالا وعندما مر من امام قصر الرحاب بسيارته المدنية في طريقه الى المقر، كان جنود اللواء العشرين قد احاطوا بالقصر الا ان احداً منهم لم يمنعه من المرور ولكنه سمع ازيز طلقة غندما نزل في نهر الخر ولا يعلم إن كان هو المقصود بها او انها جاءت تائهة.

ويقول العقيد (النقيب) منذر سليم عبدالغفور آمر السرية الثالثة. الفوج الثالث. لقد تسلمت الامر من العقيد عبدالسلام عارف باحتلال قصر الرحاب فجر يوم الرابع عشر من تموز في قرية الحسينية على مشارف بغداد. وكان الى جانبه وهو يسلمني الامر كل من وصفي طاهر وابراهيم اللامي وعبدالله مجيد.

قال لي العقيد عبدالسلام: منذر هذه هي الساعة التي كنا نتحدث عنها عندما كنا نتمشى اثناء التدريب. اما دليلك الى هدفك فهو الملازم الاول عبدالله مجيد وانت تعرفه جيدا.. فقد كان احد منتسبي فوجنا وهو الان آمر مفرزة (هـ . أ. ك) في الحرس الملكي ورفيقنا في منظمة الضباط

الاحرار. وعندما هممت بالحركة لتنفيذ الامر قال لي: انتظر لحظة.. فقد ارسلت بطلب الرئيس عبدالجواد حميد من الفوج الثاني ليكون تحت امرتك مع سريته للهدف نفسه..

بعد ذلك اتجهت الى سيارتي اللاند روفر فركب معي الملازم الاول عبدالله مجيد والنقيب عبدالمنعم عزيز من ضباط الحرس الملكي المنضمين الى منظمة الضباط الاحرار، وهما يعرفان الحرس الملكي وضباطه ومراتبه ونقاط الحراسة ومسالك قصر الرحاب معرفة جيدة مما يسهل لنا السيطرة عليه.

لم نكد نسير سوى مسافة قصيرة عندما سألني عبدالله مجيد وعلامات الذعر مرتسمة على وجهه:
ـ هل انت تثق يامنذر بجنودك وضباط صفهم بانهم يطيعون امرك بتطويق قصر الملك؟

وقبل ان اجيبه بشيء رأيت عبدالمنعم الذي لاذ الصمت بحالة عصبية واضحة كان بيده منديل يدعكه باصابعه مرة او يضعه على وجهه.

فرددت على عبدالله:
ـ ماهذا الكلام.. لقد كنت من ضباط فوجنا، وعرفت مدى العلاقة الحميمة التي تربطني بضباط الصف وما غرسته في صدورهم من الروح الوطنية وروح القومية العربية.. انا واثق منهم ثقة لا حدود لها.. وعلى اية حال فاننا في طريقنا لاداء الواجب المقدس.. وسوف ترى ما يمكن ان نصنعه.

كانت سرية عبدالجواد رحمه الله تعقب سريتي، ولم نسر اكثر من كيلومتر واحد باتجاه بغداد الا وطلب مني عبدالله مجيد التوقف وقال لي:

ـ عيني منذر.. إن سيارتي المدنية التي جئت بها مع منعم واقفة هنا، ونحن معروفان لدى مراتب الحرس الملكي.. ولابد ان نسبقك الى الكرخ لاترك سيارتي هناك على ان انتظرك مع عبدالمنعم قرب محطة بانزين السكك (قرب المتحف العراقي).

اجبته: ان اوامر عبدالسلام واضحة وصريحة ان تبقيا معي ولا تتركاني لحظة لاي سبب من الاسباب.

ولكنني عندما رأيت اصرارهما على النزول اوقفت السيارة فهرولا الى السيارة المدنية وانطلقا بها مسرعين الى بغداد، على حين واصلت وعبدالجواد مسيرتنا نحو الهدف. ولما وصلنا الى محطة تعبئة البانزين الواقعة قرب المتحف العراقي مكان الموعد الذي ضربه عبدالله مجيد كان الدليلان قد اختفيا عن الانظار اختفاءً تاماً. ويقول محمد مجيد الذي كان في معسكر الرشيد بانتظار نبأ اقتراب اللواء العشرين من بغداد «وركبت انا والاخ عبدالستار عبداللطيف السيارة.. وقررنا ان نذهب الى بغداد لنتأكد من الموقف، وصلنا ساحة عقبة بن نافع فوجدنا عبدالله مجيد وسيارته مصدومة باخرى» (الذاكرة التاريخية ص ٦٨).

وهنا يعترف العقيد منذر بالحقائق التالية:

١ ـ انه والنقيب عبدالجواد كانا يجهلان طبيعة هدفها جهلاً تاماً، وكان جل تعويلهما في فك مغلقات ذلك الجهل على الدليلين او على احدهما.

٢ ـ كانت السرية الثالثة. الفوج الثالث تتألف من خمسة وسبعين جنديا وضابط صف واغلب جنودها من المستجدين الذين لم يرموا سوى القسم الاول من جدول الرمي السنوي ولم يكن حال السرية الثانية. الفوج الثاني احسن في هذه الناحية من تلك.

٢ ـ كانت السرية خالية من ضباط امراء فصائل من خريجي الكلية العسكرية، وانما كان امراء فصائلها نواب ضباط احتياط وكان واحد منهم لا يؤمن جانبه، فتركه آمر السرية يغط في نومه في احدى الشاحنات فقام بقيادة فصيله العريف نعمة القريشي.

ونذكر ايضاً ان تسليح السرية الثالثة كان تسليحاً جيداً الى حدما فمع كل جندي من جنودها خمس وثلاثون اطلاقة بندقية. ولكل رشاشة برن شاجوران عتاد.

اما السرية الثانية فمع كل جندي من جنودها خمس اطلاقات بندقية ولكل رشاشة شاجور خمس عشرة اطلاقة على ماروا لي احد امراء فصائلها (الملازم الاحتياط) الاستاذ كامل تايه النعيمي. والمفروض ان تسد هذه السرية نقصها من العتاد من احتياطي العتاد الخاص بالسرية الثالثة، وقد وضعه النقيب منذر في احدى السيارات التابعة لسريته، الا ان هذه السيارة ضلت طريقها او اصابها العطب فلم تصل الى قصر الرحاب الا متأخرة .

لقد انتظر النقيبان منذر وعبدالجواد الملازم الاول عبدالله مجيد امام محطة تعبئة البانزين المدة التي اقتضى تقدير الموقف انهما لا يستطيعان الزيادة عليها دقيقة واحدة فتحركا نحو قصر الرحاب الذي لايبعد كثيراً عن مكان الانتظار.

ويقول العقيد منذر: لقد امرت جنودي وكذلك جنود سرية عبدالجواد بالترحل قبل ان نبلغ قصر الرحاب بحوالي خمسين متراً وكانت الساعة حوالي الخامسة صباحاً.

لم اكن اعلم بوجود قصرين متجاورين احدهما قصر الرحاب والآخر لاحدى الاميرات ـ الاميرة راجحة بنت الملك فيصل الاول وزوج عبدالجبار

محمود - فوزعت الواجبات على السريتين للاحاطة بالقصرين في الوقت نفسه.

وحول هذا الموقف يذكر (الملازم الاحتياط) الاستاذ كامل تايه النعمي: انه حوالي الساعة الخامسة والنصف او اكثر بقليل من فجر ذلك اليوم المظيم توقفت السيارات التي تقل السرية الثانية بفصائلها الثلاثة. تتقدمها سيارة آمر السرية النقيب عبدالجواد مع افراد مقر السرية.. وكانت الشمس في بداية شروقها.. توقفنا عند اول مداخل قصر الرحاب على شارع ابو غريب.. وقد قام آمر السرية بتوزيع الواجبات على الفصائل وفق الاهداف المحددة لكل فصيل.

١ـ الفصيل الرابع بامرتي يكون واجبه الواجهة الامامية للقصر المحاذية للشارع العام.

٢ـ الفصيل الخامس بامرة طارق جلال يكون واجبه الجانب الايمن من القصر.

٣ـ الفصيل السادس بامرة جواد كاظم يكون واجبه الجانب الايسر من القصر.

وتم توزيع صندوق العتاد الوحيد المتوفر لدى السرية على الجنود فكانت حصة كل بندقية خمس اطلاقات وحصة رشاشة البرن خمس عشرة اطلاقة. اما القاذفة الانبوبية فليس لها اي عتاد.. كما لم تكن معي حتى اطلاقة واحدة لرشاشة السترلنك التي احملها (ذكر لي العقيد ياسين محمد رؤف آمر الفوج الثاني الذي تتبعه السرية الثانية انه لم يشأ حمل عتاد الخط الاول الخاص بفوجه من جلولاء لئلا يضايق مراتب الفوج اثناء سفرهم الطويل).

ونصل ما انقطع من كلام كامل تايه النعيمي فهو يقول تحمست كثيراً للواجب بعد ان انيطت بي وبفصيلي معالجة هدف الواجهة الامامية للقصر، فتم توزيع الفصيل على الساقية المحاذية لرصيف الشارع الرئيسي

واوعزت الى الجنود بالانبطاح والاحتماء بسيقان اشجار الكالبتوز المزروعة على امتداد الشارع. وقمت بملء بنادق بعض الجنود بالعتاد لانهم كانوا من المستجدين ويجهلون ذلك.

عندها....

رن جرس التلفون في مقر لواء الحرس الملكي.. وكان المتكلم النقيب عبدالرحمن محمد صالح الدباغ فاخبر رئيس الخفر بوقوف بعض سيارات الجيش علي الشارع العام امام قصر الرحاب ونزول بعض الجنود منها وامتدادهم على الشارع والرصيف متخذين وضع الرمي امام قصر الرحاب.

ويقول العقيد طه بامرني:

عندما وصلني خبر الشاحنات من رئيس الخفر امرته ان يعاود الاتصال بالنقيب عبدالرحمن ويؤكد اوامري الخاصة بعدم فتح النار الا بأمر مني وحينما ذهب رئيس الخفر ليؤدي رسالتي هاتفياً سمعت صوت رمي متقطع من بعض البنادق والرشاشات الخفيفة لمدة دقيقة او دقيقتين باتجاه قصر الرحاب وقد انقطع الرمي بعدها، فأتاني رئيس الخفر واخبرني بان ولي العهد يطلب حضوري الى قصر الرحاب، واخبرت ايضاً ان احد جنود قصر الرحاب (جندي عرش) قد اصيب في رجله من جراء الرمي، فأمرت باخلائه الي ثكنة الفوج وتم اخلاؤه فعلاً وقدمت له الاسعافات الاولية من قبل المضمدين ثم ارسل الى المستشفى.

كلفت مساعدي الرئيس هاشم كمال ان يتولى قيادة الفوج وملحقاته الى حين عودتي من قصر الرحاب وطلبت منه ان يتحاشى الاصطدام بقطعات الجيش العراقي اذا اقتربت من منطقة الفوج، وعليه الاتصال بي تلفونياً فوراً او إرسال رسالة بيد احد الجنود اذا انقطعت التلفونات على ان يتصل بضباط القوة المتقدمة ويطلب اليهم التوقف لحين عودتي.

وذكر لي العقيد الركن هاشم الحاج كمال ان بامرني امره بعدم فتح سرايا الفوج لاي سبب او طارىء.

الحقيقة ان الامر الذي اصدره العقيد طه بامرني وهو يغادر منطقة الفوج الى مساعده غير واقعي حيث من المحتمل ان تقطع التلفونات وبحكم الحصار على القصر، ومن المحتمل ان يؤسر وهو في طريقه الى القصر او ان يصاب اصابة بليغة من قبل القوات المهاجمة ، فماذا عسى ان يصنع المساعد اذا انقطع اثر الامر عنه لاسباب واردة في مثل الظروف التي كانت تحيط بهم.

وايضاً فان القوات المهاجمة لا يمكن ان توقف هجومها او تقدمها اذا اقتربت من منطقة الفوج بحجة غياب أمره والاحرى ان تعتبر طلب التوقف ريثما يعود الآمر خديعة لكسب الوقت فتستمر في هجومها الى ان يستسلم الفوج الذي لا توجد لديه اوامر بفتح سراياه او الرد على النار.

وهذا الفوج الذي اناط امرته بمساعده هاشم الحاج كمال هو القوة الاساس في لواء الحرس الملكي.

بخصوص الامر الاول الذي أصدره الى (النقيب) عبدالرحمن محمد صالح الدباغ وكان هذا قد أنهى اليه هاتفياً بواسطة رئيس الخفر نبأ الشاحنات التي وصلت الى القصر والجنود الذين اخذوا يحيطون به وهم يتخذون وضع الرمي.

«أن لا يطلق احد النار الا بامر مباشر منه».
بعده سمع صوت رمي باتجاه قصر الرحاب لمدة دقيقة او دقيقتين عندها اصبح معنى امره ان يقف جنود الحرس الملكي مكتوفي الايدي حتى في حال الدفاع عن انفسهم.. ولنفرض ان القوة التي ارسلها عبدالسلام عارف -

وكان البامرني خالي الذهن عنها - احسن حالاً في العدد والعدة والتدريب من القوة التي ارسلها فعلا الى قصر الرحاب وارادت اقتحام القصر منذ بداية وصولها اليه الا يتم الاقتحام على حساب دماء جنوده الذين ليس لديهم اوامر بالرد على النار الا اذا عمدوا الى الاستسلام للقوة المهاجمة منذ الدقائق الاولى لبداية المعركة.

اذا اخذنا هذين الامرين بنظر الاعتبار :
الاول الذي اصدره الى النقيب عبدالرحمن الدباغ.
والثاني الذي اصدره الى النقيب هاشم كمال.

وتتبعنا تصرفاته التالية لهذين الامرين نجده وكأنه قد اتخذ موقفاً مسبقاً من الاحداث التي تدور حوله قبل وصوله الى مقابلة ولي العهد.

وعلى اية حال.. فلابد لنا من العودة الى مرافقته وهو في طريقه الى قصر الرحاب لمواجهة ولي العهد..

يمتد الطريق بين ثكنة الحارثية وقصر الرحاب نحو كيلومتر واحد يقع في نهايته القريبة من القصر جسر الخر الذي يمكن اعتباره من الاهداف العسكرية الحساسة في ذلك الصباح.

يقول بامرني: «اخذت مدرعة دملر من رعيل المدرعات وطلبت من سائقها التوجه نحو قصر الرحاب».

ويقول العقيد الركن هاشم الحاج كمال: انه هو الذي اقترح عليه الوصول بمدرعة.
«ولما لاحظت - والكلام لبامرني - ان رامي المدرعة اخذ يحشو رشاشتها بالعتاد قلت له:

- ابني.. لا يجوز لك الرمي الا بأمر مني.. واذا خالفت هذا فساضطر الى رميك انت.

فأجابني الجندي: تؤمر سيدي

وقبل وصولي الى جسر الخر توقفت مدة عشرة دقائق لاستطلع موقف جنود القوة ارسلها اللواء العشرون فوجدتهم منتشرين على الشارع العام والرصيف امام قصري الرحاب والاميرة راجحة، ووجدت طريقي الى قصر الرحاب مفتوحاً حيث لايوجد اي جندي من القوة المهاجمة عليه..

والواقع ان جانب القصر المحاذي لنهر الخر وجسره بقي مفتوحاً الى نهاية الاحداث وبخصوص الاحاطة بالقصر يذكر العقيد منذر سليم: ان بعض جنود الحرس الملكي تصوروا اثناء ماكنا نحيط بالقصر اننا نقوم باجراء بعض التمارين العسكرية في ذلك المكان فاحتك بعضهم بجنودنا وقالوا لهم : «هذا بيت الملك ولا يسمح باجراء الاتدريب الاجمالي هنا».

فلم يلتفت جنودي اليهم بل استمروا بعملية التطويق فذهب احدهم واخبر رئيس خفر القصر (كذا) الرئيس عبدالرحمن - ولا اذكر بقية اسمه - وهو من اهالي الموصل. فجاء للاستفسار عما يحدث فعرفني وعرف عبدالجواد لانهما من بلدة واحدة سألنا: ماذا تريدون؟ وكيف تتجاسرون على قصر جلالة الملك؟

قلت له بعد ان رأيت راديو ترانسستور بيده وقدرت ان عبدالسلام قد بدأ باذاعة البيان الاول من الاذاعة: اسمع ياهذا.. لقد قام الجيش العراقي بثورة شاملة وتستيطع التأكد من ذلك بالانصات الى اذاعة بغداد، وانصحك اذا كنت تحب وطنك ان تأمر جنود الحرس الملكي بعدم المقاومة حقناً لدماء العراقيين، ويحضر الى هنا ولي العهد ومعه الملك لكي اوصلهما الى الاذاعة حيث مقر الثورة.

فاجابني: انتظر قليلاً ريثما اذهب واخبرهم بذلك. ومضت خمس عشرة دقيقة دون ان يعود هذا الضابط.

وذكر لي الضابط (الذي هو عبدالرحمن محمد صالح الدباغ: انه التقى في اثناء حصار قصر الرحاب بعبد الجواد حميد وهما من بلدة واحدة ـ الموصل ـ كما قال العقيد منذر فقال له النقيب عبدالجواد:

ـ عيني ابو عوف الله جابك. ثم طلب منه معاونتهم في مهمتهم تلك باعتباره من الحرس الملكي.. ولابد ان النقيب عبدالرحمن لم يكن بوسعه تلبية الطلب. «في هذه الاثناء قام رئيس عرفاء واسمه داخل سري بالسيطرة على نقطة الحرس وقال لي: سيدي لقد سيطرت على النقطة قلت له ابق في مكانك ولا تتحرك.. وحدث ان فتحت النار من شرفة القصر العليا التي فيها الملك وعبدالاله.. ورداً على هذه النار التي رجحت انها فتحت بامر من عبدالاله اعطيت الامر بفتح النار من الاسلحة المتيسرة لدينا على القصر من جميع الجهات. في غضون ذلك وصل امر فصيل مدفعية الهاون (٣) عقدة هارون يونس عبدالحميد نصرة وكانت سيارته قد تعطلت قرب الصالحية. فقلت له: انصب الهاونات هنا.. واصعد الى الشارع العام لان مجال الرمي هناك واسع وانصب المدفع قبالة القصر وقدر مدى معيناً وارم..

رمى قذيفتين وقعت احداهما خلف مطبخ القصر ونشب حريق بسبب صفائح الزيت الموجودة هناك.

وجاءتنا اربع مدرعات احداهن كان يقودها عبدالرحمن عارف الذي سألني: منذر.. ما الامر.
فاخبرته بقضية النقيب والاطلاقات التي رميت وإن العتاد الذي معنا يوشك على النفاد.

بعده ندون رؤية اخرى لتطويق قصر الرحاب من قبل قوات اللواء العشرين كتبها الملازم الاحتياط كامل تايه النعيمي آمر الفصيل الرابع ـ السرية الثانية ـ الفوج الثاني، وكنا قد تركناه وفصيله يتخذون مواضعهم ازاء واجهة القصر الامامية.. قال: «.. بعد ذلك تصرفنا كل حسب الموقف الذي يجابهه، لان هدفنا الذي تبلغنا به، هو تطويق القصر والقبض على الملك وولي العهد».

تقدم احد ضباط صف الحرس الملكي وسألني باقتضاب.

ـ ماذا تصنعون هنا؟

فأجبته بنبرة لا تخلو من تهكم.

ـ عندنا مناورة.

فرد علي بعصبية.

ـ إن المناورات هنا ممنوعة منعاً باتاً. انه قصر جلالة مولانا الملك.

قلت له: اعرف ذلك، ولكنها الآن ثورة الشعب والثورة منكم ولصالحكم.. وقلت له كلاماً آخر.

سمع ضابط الصف كلامي ثم انصرف الى اصحابه.. عندها تجمع الحرس خارج السياج الداخلي للقصر وبدأوا باطلاق النار. فاوعزت الى ضباط الصف والجنود في فصيلي بالرد بشكل متقطع خوفاً من نفاد العتاد، وان يوجهوا فوهات بنادقهم الى اعلى القصر. كان ذلك حوالي الساعة السادسة، وفي الساعة السابعة والنصف نفذ العتاد لدينا تماماً، وقد ابلغت آمر السرية بذلك. فقال لي تصرف على ضوء ذلك.

كيف اتصرف..؟.. انها محنة وموقف حرج بعد عدم وصول العتاد الموعود الينا مع السرية الثالثة.

قلت لامر سريتنا: سنهجم بالسلاح الابيض.

قلت له ذلك واوعزت للفصيل بتركيب الحراب على البنادق.

فرد علي آمر السرية: ان هذا التصرف غير مناسب.. لان الحرس اكثر منك عدة وعددا، والافضل ان تنسحب الى خلف رصيف الشارع وتحتمي بالرصيف نفسه. فنفذت امره في الحال، وفي هذا الموقع تمكنت من الاحتماء الى حد ما.. انا وفصيلي.

في تلك اللحظات الصعبة كانت اذاعة بغداد تهيب بالجماهير ان تتوجه الى قصر الرحاب لمساعدة سريتنا التي حوصرت ونفذ عتادها.. قلت لنفسي.. لابد ان نبذل كل جهدنا.. واخذت اتلفت الى الجماهير التي بدأت تتجمع بعيداً عنا وقرب معرض بغداد الدولي حالياً ولكن دون ان يتقدموا الينا بسبب كثافة الرمي الموجه من الحرس.. تملكني ضيق شديد صرت اتلفت الى جميع الجهات لعل عيني تقع على نجدة العتاد وبدلاً من ذلك فقد وقعت على ثلة من حرس الشرف اصطفت وراءنا على الرصيف المقابل للشارع الرئيس.. الحرس الملكي امامنا وحرس الشرف خلفنا.. هكذا تلخص الموقف عندي.. كانوا يرتدون ملابسهم الملونة ويعتمرون خوذا حمراء وبيضاء ويمتطون خيولهم المطهمة وقد تسلحوا بالسيوف والمسدسات ولعلهم بدورهم قد تفاجأوا بالمشهد الذي لم يدر بخاطرهم.

ولابد ان اذكر بان وجود حرس الشرف بالمكان الذي اصطفوا فيه اصبح حماية جيدة لنا لان رفاقهم في قصر الرحاب اخذوا يوجهون فوهات بنادقهم الى الاعلى خشية من اصابتهم.

بعد ساعتين او ساعة ونصف من تطويقنا القصر اخذت تصل النجدات الينا وكانت النجدة الاولى صناديق عتاد من منظمة حزب البعث العربي الاشتراكي، وفقاً لما اوضحه لي آمر سريتنا عبدالجواد حميد رحمه الله فيما بعد.. والثانية هي نجدة مدرسة الاسلحة الخفيفة.

فيما يتعلق بالجانب المقابل - لواء الحرس الملكي - فقد كانت قوته كما سردها لي العقيد بامرني:

١ - الفوج الاول من لواء الحرس الملكي. ويتالف من ثلاث سرايا مشاة وسرية مقر وسرية اسناد فيها:

أ-رعيل مدرعات-اربع مدرعات.
ب-فصيلان فيكرز في كل فصيل اربع رشاشات.
جـ-اربعة مدافع (١٠٦) ملم.
د-ستة هاونات (٣) عقدة.
هـ-فصيل. أر. بي. جي.

ومقره في الثكنة العسكرية المجاورة لقصر الزهور وهي تبعد اقل من كيلومتر واحد من قصر الرحاب.

٢ - سريتا مشاة.. هما نواة الفوج الثاني المزمع تشكيله بعد انتقال البلاط والقصور الملكية الى مقرها الجديد. ومقر هاتين السريتين في قصر الرحاب لحمايته.

٣ - كتيبة خيالة ثكنتها في معسكر الوشاش (حديقة الزوراء حاليا)، وكان ولي العهد يشغلها بلعب البولو وصيد ابن آوى، بينما اتخذت احدى سرايا هذه الكتيبة - وهي الخاصة بالتشريفات والمراسم - مقرها في الثكنة المقابلة للبلاط الملكي في الرصافة.
٤ - بطرية مدفعية ميدان (١٢٥) ملم اتخذ ثكنتها الى جوار كتيبة الخيالة في معسكر الوشاش.

وكانت تلك القوة - والكلام لبامرني - تامة العدد وافرة العدة تضم مشاجيها عتادا كافيا لجميع اسلحتها. وقد قامت خلال المدة التي كنت فيها وكيلا لامر اللواء بجميع التدريبات والتمارين العسكرية المطلوبة بما فيها التدريب الليلي والتدريب الاجمالي.

ويقدر الملازم فالح زكي حنظل عدد القوة بالفي رجل (المصدر السابق. ص) وكانت مواقعها تحدق بقصر الرحاب وغير بعيدة عنه.

وسألت العقيد طه بامرني: عما اذا كانت لديه خطة امن للدفاع عن القصرورة الملكية في حال تعرضها لاي هجوم؟

اجابني: بانه وجه هذا السوال الى الزعيم محسن محمد علي آمر لواء الحرس الملكي عندما تسلم منه وكالة الامرية. فأجاب بالنفي. ولكنه نصحني ان استطلع الموقع بنفسي ولاسباب عرضية دون ان يعرف احد الغرض الحقيقي وعدم تثبيتها على ورقة.

ولا ادري اذا كانت الخطة المذكورة قد تكاملت في ذهن العقيد بامرني او لم تتكامل الا انه عندما توقف مدة عشر دقائق قبل عبوره جسر الخر وهو في طريقه الى قصر الرحاب لمواجهة ولي العهد فكر انه اذا (قرر) المقاومة فتكون خطته:

«ابقاء السريتين في قصر الرحاب في الدفاع وللمشاغلة. وتقديم ثلاث سرايا بندقيات من ثكنة الفوج (يكون طريقها) من جنوب قصر الزهور ثم الى البيوت في الحارثية خلف السرية من اللواء العشرين. ويبقى فصيل هاونات (٣) عقدة في منطقة الفوج للاسناد عند الطلب. ووضع فصيل رشاشات فيكرز غرب جسر الخر للرمي على الشارع العام عند الطلب. ويكون رعيل المدرعات وفصيل المدافع (١٠٦) ملم في ثكنة الفوج للتقدم على

الطريق العام ومشاغلة الاهداف عند الطلب ايضاً. وبعد القضاء على القوة امام قصر الرحاب تتم الصفحة الاولى من الحركة.

اما الصفحة الثانية فتبدأ بتقديم رعيل مدرعات مع ثلاث سرايا بندقيات وفصيل مدافع (١٠٦) ملم ضد الدبابات على الشارع العام باتجاه المحطة العالمية والى بغداد للقضاء على بقية مراكز المقاومة حيث وجدت.

واكرر القول بانني كنت اطبق الخطة لو كانت الحركة لاغراض الصراع بين الاستعماريين الانكليزي الامريكي، لانني كنت اعتقد بوجود هذا الصراع ليس في العراق وحده بل في جميع مناطق النفوذ البريطاني.

بعدها تقدمت بالمدرعة وعبرت جسر الخر ومنه الى الشارع المحاذي لجدار حديقة القصر ودخلت من المدخل الرئيس.

وقفت المدرعة امام باب قصر الرحاب ببضع خطوات فخرجت من المدرعة دون ان اسمع صوت اية اطلاقة من الجانبين.

قابلني سائق ولي العهد وهو جندي برتبة رئيس عرفاء وقال لي: «سيدي تفضل الى هذه الغرفة».. وبعد لحظات دخل الامير عبدالاله وهو بملابس النوم وقد ارتسمت على وجهه امارات التعب والخوف فاديت له التحية العسكرية.. ثم حضر الملك وكان يرتدي سروالاً وقميصاً مدنيين فاديت له التحية العسكرية فرد عليها بايماءة من رأسه.

قال لي ولي العهد: ماهذا ياطه؟
اجبته: لقد قام اللواء العشرون بحركة انقلاب..
فقاطعني بقوله: نعم.. وقد شكلوا حكومة.. ألم تسمع الراديو؟
اجبته: كلا.. لم اسمع..

وكأنني تنبهت فجأة فقد اخذ يصل الى سمعي صوت راديو من الطابق الفوقاني ولكنه كان بعيداً فلم افهم منه شيئاً.. وفي نهاية اللقاء القصير ذاك قال لي ولي العهد:

ـ قدم الفوج الى منطقة القصر.. واستعد للمقاومة الى ان تحضر النجدات قريبا منا ولكن لا يجوز لك اعطاء امر الرمي الا بامر من عندي.. تفضل لواجبك.

اما الملك فلم يتفوه بكلمة واحدة مطلقاً. فأديت لهما التحية العسكرية وانصرفت.

مشيت الى غرفة الحراسة بالقرب من مدخل حديقة القصر وطلبت من المدرعة العودة الى رعيلها في الثكنة حيث لا احتاجها..».

ومع اننا ثبتنا مآل الآمرين الشفهيين اللذين اصدرهما العقيد بامرني الى (النقيب) عبدالرحمن محمد صالح الدباغ آمر حماية قصر الرحاب والمساعد (النقيب) هاشم الحاج كمال آمر الفوج الاول بالوكالة قبل وصوله الى قصر الرحاب الا انه بدا بعد المقابلة التي تمت بينه وبين ولي العهد وكأنه يريد نفض يده من الامر باسرع وقت ممكن حيث بقي دائب البحث عن ضابط مناسب في القوة المقابلة لتسليمه لواء الحرس الملكي دون اخذ ورد او دون قيد او شرط كما يقولون في لغة العسكر وحتى قبل ان يعرف هوية الحركة التي علق قرار موقفه العسكري عليها.

هل هي للشعب والوطن، او نزاع بين غرفتين في البيت الواحد او صراع انكلو ـ امريكي داخل مناطق النفوذ الانكليزي في الشرق الاوسط؟

كل العتاد الذي مع سريتي اللواء العشرين ادى ـ الى قرب نفاذه ـ الى جرح جندي عرش واحد وليس من واجبات هذا الجندي عندما يكون في

واجبه القتال وانما الحراسة في اماكن محددة من القصور الملكية والبلاط الملكي وهو بقيافة التشريفات وقد اضطر النقيب منذر سليم آمر القوة المحيطة بالقصور الملكية الابتعاد عن الميدان والعودة الى بغداد للاتصال بعبدالسلام عارف لتدبير امر العتاد او للبحث عن سيارة العتاد التي تخلفت عن الوصول الى الهدف.

لقد صار باستطاعته فتح الصفحة الاولى من الخطة التي تنظمت في ذهنه قرب جسر الخر دون ان يكون بحاجة الى الامر بفتح النار بعد أن اصبحت بنادق (سرية اللواء العشرين) مجرد عصي لا تغني عنهم في الدفاع عن انفسهم شيئاً.

كانت ساحة المعركة مألوفة لدى جنود الحرس الملكي، انهارها واشجارها وسواقيها ودورها وكل ما يمكن الاستفادة منه اثناء القتال في حين انها مجهولة جهلاً تاماً من قبل قوة اللواء العشرين.

لقد وصلت هذه القوة الى هدفها بدون دلالة فأحاطت بقصر الاميرة راجحة على انه بعض قصر الرحاب.

ولم تمسك جسر الخر الذي هو المنفذ الحيوي لقصر الرحاب الى داخل العراق وخارجه والواقع ان قوة اللواء العشرين كانت هي المحاصرة - بفتح الصاد وليست المحاصرة - بكسر الصاد - محاصَرة من امامها ومن بين جناحيها ومن خلفها ضمن المواقع التي تخذتها لمحاصرة القصر.. من امامها تقف سريتا حماية قصر الرحاب، وعن يسارها ومن خلفها يقف جحفل الفوج الاول في ثكنة الحارثة قرب قصر الزهور، وعن يمينها ومن خلفها ايضاً كتيبة الخيالة وبطرية المدفعية في معسكر الوشاش.. لقد حدث خلل في الكتيبة فيما بعد ولكن بعد ان لزم القصر الصمت ازاء مايجري حوله من احداث..

والحقيقة.. ان الانسان لتأخذه الدهشة كل مأخذ من مغامرة قيادة الثورة بارسال سريتي مشاة بتعداد سرية واحدة (١٥٠) جندياً ناقصة العدة الى حد بين ويجهل بعض جنودها حشو بنادقهم بالرصاص للسيطرة على لواء الحرس الملكي - ثم على الملك وولي العهد - الذي يعد مايقرب من الفي مقاتل بمختلف الاسلحة وعتادهم الوافر وتدريبهم العالي ومعرفتهم الوثيقة بساحة المعركة.. كأن الذي اناط بهما تلك المهمة قد ارسلهما الى الهلاك والعطب المضمونين اذا كان يجري في حساباته العسكرية على القواعد المعروفة للحرب. واذا ادخل في حسابه قدرة الحرس على استعادة مرسلات الاذاعة القريبة منهم في ابو غريب وتأسيس اذاعة مؤقتة فيها فان ذلك يربك موقف الثورة ارباكا تاماً بعد ان ينقطع صوت مذيع الثورة في دار الاذاعة في الصالحية.. ويحل محله صوت مذيع آخر من ابو غريب يدعي ان الحكومة قد تمكنت من القضاء على الثورة..

ولكن طه البامرني الذي كان باستطاعته شد الموقف العام في العراق ذلك الصباح باصابعه.. وبعد ان يقف على البر الامن ويصل الى القرار الصائب في تقييم الحركة تقييماً واقعياً عندها.. يستطيع موالاة الثورة اذا كانت من أجل الوطن والشعب.. او مقاومة التمرد.. اذا كانت الحركة من ضمن الصراع الانكلو - امريكي في المنطقة.

والذي رأيناه منذ الدقيقة الاولى لخروجه بعد مقابلة الامير انه أعاد المدرعة الي رعيلها بعد ان لم يعد (بحاجة اليها) حسب تعبيره.

كما انه لم يقدم الفوج الى منطقة القصر وفق امر ولي العهد بل بقي يتسكع ويبذر الوقت علي الشارع العام بين الصفين المتقابلين بغية الوصول الى ضابط من ضباط الثورة والامير بدوره لم يسأل فيما بعد اذا كان بامرني قدم الفوج الى منطقة القصر او لم يقدمه.. كما وكان يمنع الحرس

الملكي من فتح النار الى اللحظة الاخيرة من حياته.

وارسل بطلب النقيب عبدالرحمن محمد صالح الدباغ بصفته آمر سرية حماية قصر الرحاب وامره بعدم فتح النار الا بأمر من عنده.. على ما حدثني به الضابط المذكور وعندما علم بوصول المقدم محمد الشيخ لطيف الى القصر ارسل له النقيب ثابت يونس يقول له: ان الامير يحملك المسؤولية الكاملة اذا جرى فتح النار من جنود الحرس الملكي.. او هذا ما اخبرني به محمد الشيخ لطيف نفسه. ومما اخبرني به عن تلك الفترة قوله: «استيقظت في صباح الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ مبكراً فقد كان عليّ في ذلك اليوم على وجه التخصيص ان امضي الى المطار المدني (مطار المثنى) لاتخاذ بعض الاجراءات المرتبطة بسفر الملك الى تركية.. وشعرت ان الوقت قد ادركني دون ان تصل سيارتي العسكرية.. فخمنت ان عارضاً قد ألمّ بالسيارة او بالسائق.. اتصلت هاتفياً من داري الواقعة في محلة الست نفيسة في الكرخ بالبلاط الملكي حيث توجد السيارة هناك دون ان يرد عليّ احد.. بعده اتصلت ببدالة القصور الملكية.. فأخبرني موظف البدالة ان بعض القطعات العسكرية تحيط بقصر الرحاب وقد فتحت النار عليه. فارتديت ملابس مدنية واتجهت الى ثكنة الحرس الملكي قرب قصر الزهور فوصلت اليها عن طريق جانبي وقد التقيت هناك بالنقيب هاشم كمال فسألته عن جلية الامر فاجابني ان هناك محاولة لاحتلال القصر الملكي.. واخبرني ايضاً ان العقيد طه بامرني موجود في قصر الرحاب. وقعت عيني صدفة على دراجة نارية فطلبت من صاحبها ان يوصلني عليها الى قصر الرحاب.. وبعد دقائق معدودة كنت في مقر سرية حماية القصر القريب من جسر الخر، ومن هناك دخلت الى حديقة القصر.. يبدو ان ولي العهد علم بوجودي فكلمني كلاماً عابراً حول ما يجري من شرفة القصر.. وانطلقت لابحث عن العقيد بامرني.. وانا في طريقي اليه.. كان الرمي متوقفاً الا اطلاقات متفرقة تنز بين حين وآخر ادركني النقيب ثابت يونس الذي ارسله ولي العهد على اثري وبلغني باوامره» التي سقناها آنفاً.

وسقنا الحوار الذي دار بين الامير والعقيد بامرني اثناء لقائهما في الغرفة داخل قصر الرحاب وقد نقلت ذلك من تقرير كتبه العقيد بامرني بخطه قبل سنوات لهذا البحث.

اما في التقرير الذي رفعه الى قيادة الثورة بعد ايام من الحادث فقد حدد طلب الامير اثناء ذلك اللقاء بقوله: «حاول ان تكسب لنا اطول وقت ممكن حتى اتصل مع قواتنا الموالية واذا احرج الموقف فسأخبرك باجراءات اخرى».

وفي حديث للعقيد بامرني معي وقد دونت ذلك في حينه ان الامير «طلب مني ان اتقدم بالفوج الاول الى منطقة القصر.. ولكن دون ان تثور منكم اطلاقة واحدة الا بأمر مني - هكذا اكد عليّ - ثم اردف ذلك بقوله.. سوف تصلنا نجدات قريبة».

بعد ان صرف العقيد بامرني المدرعة الى رعيلها دخل الى غرفة الحرس قرب الباب النظامي ووضع مرفقه على رف التلفون واسترسل مع افكاره..

بصدد تقدير موقف القوة المهاجمة تحدد لديه:

* ان المهاجمين لم يفكروا باحتلال جسر الخر وقطع الطريق على اية نجدة يمكن ان تأتي من قصر الزهور الى قصر الرحاب.

* رأى عدداً قليلاً من الجنود وقد اتخذوا مواضعهم أمام قصر الرحاب في الوقت الذي ركزت فيه القوة المهاجمة جهودها على محاصرة قصر الاميرة راجحة وكان من الواجب ان لا يعيروا ذلك الا اهتماماً جزئياً.

* قدر عدد افراد القوة المهاجمة بسبعين او ثمانين جندياً (هذا ما رواه لي العقيد بامرني).

* وعرف بالضبط نفاد عتاد القوة المذكورة.

وفكر انه يستطيع السيطرة على منطقة قصر الرحاب دون عناء.
هكذا وجد نفسه في حركات فعلية..
وتذكر الحركات الفعلية التي شارك فيها سابقاً،
حركة مايس ١٩٤١ في معركة الفلوجة.. حركات برزان ١٩٤٥، حرب فلسطين ١٩٤٨.

فوصل الى انه يجب ان يتمالك نفسه في مثل هذه الظروف التي هو فيها، وان يقدر الموقف تقديراً دقيقاً ويضع جميع الحسابات امامه والخطأ في اي من تلك الحسابات سيكون مكلفاً للغاية.

بعد ان تم له تقدير الموقف في منطقة القصور الملكية وكان لصالح الحرس تماماً حاول تقدير الموقف العسكري في بغداد، فوصل الى انه لا اثر يدل على وجود مقاومة في بغداد.. لا من معسكر الوشاش القريب منه.. ولا من معسكر شرطة القوة السيارة في كرادة مريم.. ووجد الجو خالياً من الطائرات.. فهل سيطرت الثورة عليها..؟ أهي مترددة او مجمدة؟

اقرب القوات الموالية لنظام الحكم من بغداد هي اللواء الاول في المسيب وآمره العميد الركن رفيق عارف، واللواء الثامن الآلي في الحبانية وآمره العقيد الركن مظفر التك ووصولهما الى ميدان المعركة يستغرق ساعتين على الاقل.

«وقوتي كافية ـ والكلام لبامرني مباشرة ـ لمقاومة اللواء العشرين طول النهار، بل انني واثق من دحر اللواء المذكور لثقتي بكفاءة تدريب الفوج والسريتين كفاءة لامزيد عليها..».

والاهم من ذلك هو ان يتبين هوية الحركة فأراد ان يتبين جلية الامر

مباشرة وذلك بالاتصال بضباط القوة المقابلة.. اراد ان يحسم ذلك بسرعة ليأخذ قراره على هدى وبصيرة من امره فخرج من غرفة الحرس ووقعت عينه اول ما خرج على حضيرة من الحرس الملكي فطلب من أمرها العريف مرزوك دهري ان يقطع النار.

فرد عليه العريف مرزوك: سيدي قطعنا الرمي.
وبالمقابل نادى على أحد عرفاء اللواء العشرين!

-عريف.. اقطع الرمي.. لماذا تريدون قتلي وقتل جنودي.. اريد الاتصال بضباطكم للتفاهم معهم.. كان اسم العريف المذكور نعمة محسن القريشي.
فأجابه العريف نعمة:
-سيدي.. ان العريف الذي يقف الى جانبك - يريد مرزوك دهري - هو ابن عمي فقل له ان يقطع الرمي هو الآخر.
رد عليه بامرني:
-انه قطع الرمي.

بعدها نزل العريف نعمة وجنوده الى الشارع وكان يقود أحد فصائل السرية الثالثة لان آمرها لم يكن يثق بأحد امراء فصائل سريته فكلفه بقيادة الفصيل قال له بامرني: اريد الاتصال بضباطكم للتفاهم معهم.

فرد عليه العريف.. لخاطر الله انضم الينا.. إن عتادنا نفد.. وقد ذهبوا لجلب العتاد.
ونفد ايضاً صبر البعض الاخر عندما اعترفوا له:
-سيدي الله ايخليك.. تره احنه ميتين من العطش.

عندها أمر من يليه من جنود الحرس الملكي ان يملأوا مالديهم من آنية بالماء ويضعونها الى جانب سياج القصر لجنود اللواء العشرين الذين تركوا

مواضعهم وانقلبوا الى أنية الماء يعبون منها لري عطشهم..

لاحظ العقيد بامرني اثناء ذلك الاختلاط بين الفريقين وانقطاع الرمي انضمام بعض جنود اللواء العشرين الى صفوف قوات الحرس الملكي فأعادهم الى مواضعهم واحداً واحداً.

انه لم يتعرف بعد على هوية الثورة.. ولم يحدد موقفه منها.. هل ينضم اليها او يقاتلها.. في اثناء ذلك وقعت عينه على سيارة الجيب الخاصة به.. قادمة من ثكنة الفوج وفيها رئيس عرفاء الوحدة ومراسله الخاص.. لقد قلقا عليه فجاءا للاطمئنان.. وتقديم اية مساعدة قد يحتاجها الامر.

اعتبر الامر مجرد وصول السيارة مساعدة قيمة له وهو في موقفه ذاك فطلب من النقيب عبدالرحمن الدباغ ان يركب السيارة ويتقدم على الطريق العام الى المحطة العالمية فدار الاذاعة ليتصل بضباط اللواء العشرين ويخبرهم برغبته في الاتفاق معهم.

والعقيد بامرني عندما اتخذ قراره بالاتفاق مع ضباط اللواء العشرين ولم يكن قد تبيّن بعد هوية الثورة ولم يعرف اياً من اولئك الضباط - واذكر انه ابدى ندمه ونحن في معرض الحديث عن ذلك اليوم انه لم يكن يحمل معه راديو ترانسستور - وانابته (النقيب عبدالرحمن الدباغ للاتفاق بمثابة تنفيذ قرار مسبق بالاستسلام المطلق وما تعلل به من انه علق موقفه من الحركة باتضاح وجهتها مرفوض. وارجو ان لا يتبادر الى ذهن احد ان العقيد بامرني كان منضماً الى احدى منظمات الضباط الاحرار واتفاقه التلقائي مع ضباط اللواء العشرين تحصيل حاصل فقد نفى الرجل ذلك عن نفسه نفياً قاطعاً.

في ذلك الوقت كان في ذروة تمكنه من الاخذ بناصية الموقف العسكري في منطقة القصور الملكية انه لم يعد بحاجة الى فتح الصفحة الاولى من الخطة التي اختمرت في ذهنه قبل عبور جسر الخر وهو في طريقه الى

تصر الرحاب الا بصورة مظهرية، كان يكفيه ان يجمع جنود (سرية اللواء العشرين) الذي ارهقهم السهر وأمضهم القلق وانتظار المجهول بصافرته اثناء شرب الماء ويمضي بهم الى احدى الثكنات الخاصة بلوائه.. قد يتمرد عليه بعض ضباط الصف الذين يعون الثورة فيستطيع (القاء القبض) عليهم لانهم لابد ان يكونوا افراداً معدودين خاصة وقد انضم بعض جنود اللواء العشرين الى صفوف الحرس الملكي..

البامرني ضابط شجاع وإن اصابه الارتباك في خاتمة المطاف. وجنوده يطيعونه اطاعة عمياء.. اقول ذلك على الرغم من ان النقيب عبدالرحمن الدباغ اهمل الامر الذي اصدره اليه بشأن الذهاب الى دار الاذاعة والاتفاق مع قيادة الثورة.. قال لرئيس عرفاء الوحدة الذي يرافقه.. انه بحاجة الى قضاء بعض الاشغال في مقر السرية وبعدها يذهبان لتنفيذ المهمة في دار الاذاعة.. الا انه لم يغادر مقر السرية الا بعد نهاية المعركة.. وربما لان تلك المهمة قد تشكل جريمة فيما بعد اذا سارت الرياح فجأة مع القصر.

كان شغل بامرني الشاغل في تلك الفترة هو قطع دابر الرمي بين صفوف قواته واعني بالرمي هنا الرصاصات المتفرقة التي تصدر من هذا الموضع او ذاك.. ارسل الملازم كاظم جبر ضابط خفر قصر الرحاب لمنع حضائر الحرس المتمركزة خلف قصر الرحاب من اطلاق النار وكان دائب الجري بين جنوده اذا سمع ازيز اطلاقة واحدة وقد شغله ذلك الى الحد الذي لم يشعر معه بوصول نجدة مدرسة المشاة الى قوة اللواء العشرين وتنصيبها المدفع ١٠٦ ملم امام بوابة القصر.. توقف الرمي بين الجانبين ثم تكرر ثانية وبعد ايقافه تكرر ثالثة.. وذهب باستقامة جسر الخر.. وفي عودته الى قصر الرحاب سمع وهو قرب ثكنة الحرس دوي مدفع.. علم من انفجار القنبلة انها تخص مدفع ١٠٦ ملم ضد الدبابات ولكنه كان يجهل مصدر الرمي ثم دوي انفجار قنبلة ثانية عندها شاهد المدفع على الشارع العام مقابل باب قصر الرحاب ورأى عدداً من الضباط كان من بينهم النقيب

عبدالستار سبع العبوسي وتذكر انه كان طالباً عنده في دورة (حرب العصابات) التي اقيمت في معسكر تدريب الحروب الجبلية في زاويته عام ١٩٥٢ فناداه باسمه.. وطلب منه التفاهم على الموقف.. وقبل ان يتقدم البامرني من موضعه بصدد التفاهم طلب منه العبوسي تفريغ مسدسه من العتاد، ففرغ المسدس واعطاه العتاد وسأله بامرني:

- هل تريد المسدس ايضاً؟

رد عليه العبوسي:

- كلا سيدي.

بعد ذلك مباشرة يمكن القول انه وقع في قبضة ضباط مدرسة المشاة وهو مجرد من السلاح وبين لعلعة الرصاص - حيث وصلت نجدات منه الى القوة المهاجمة - ودوي القنابل وزخم العواطف الثائرة حقق العقيد الركن طه بامرني وكيل أمر لواء الحرس الملكي وآمر الفوج الاول في هوية الثورة فوجدها وطنية لانه سبق ان التقى بعبدالكريم قاسم قبل عشر سنوات من ذلك التاريخ (١٩٤٨) في فلسطين مرتين او ثلاث مرات وكانت سمعته طيبة وهو يحب الفقراء.

المهم.. لقد بدا العقيد بامرني منذ الصباح الباكر لذلك اليوم كما لو تملكه شعور بان لا جدوى من الدفاع عن القصور الملكية حتى ليمكن وزن جميع تصرفاته منذ ان وصله تحذير الملازم فالح حنظل حتى خاتمة المطاف بمعيار شعوره ذاك، ولا يمكن ان نبعد الامير عبدالاله صاحب الشأن الاول في الموقف عن مثل ذلك الشعور.

لم يكن عند عبدالستار سبع العبوسي ادنى علم بان الثورة سوف تقوم في ذلك اليوم كان آمراً لدورة تدريب المشاة الاساسية في مدرسة المشاة في معسكر الوشاش.. وكان ضابط الخفر فيها ليوم ١٩٥٨/٧/١٣، وفي

حوالي الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم ١٤ تموز وصل احد الضباط المعلمين في المدرسة واخبره بوجود انقلاب عسكري في بغداد.. امر بجمع موجود الدورة وكان عددهم ثمانية عشر ضابطاً ونحو ثمانية وستين من ضباط الصف وطلب منهم ان يتسلموا بنادقهم بالرغم من ان التدريب لذلك اليوم كان يجب ان يتم على العصا وقبل الساعة السادسة سمع صوت رمي مستمر من ناحية قصر الرحاب.. عند ذلك طلب رأي النقيب حميد السراج والنقيب محمد علي سعيد وبقية الضباط التلاميذ حول مساعدة القوة التي تهاجم قصر الرحاب فأبدى الضباط التلاميذ كافة بحضور النقيب العبوسي تأييدهم عدا ضابط واحد وهو الملازم فالح زكي (من تقرير النقيب عبدالستار مسبع العبوسي. العميد خليل ابراهيم حسين. ثورة الشواف ص ٤٢ وما بعدها). ويبدو ان النقيب قد وقع في الوهم حول معارضة الضابط فالح زكي لان هذا لم يكن حاضراً في مؤتمر مدرسة المشاة الذي اخذت منه آراء الضباط التلاميذ حول تأييد الثورة ومعاونة القوة المحيطة بقصر الرحاب بل كان في تلك الدقائق في داره في الاعظمية بعد ان جمع ما امكن جمعه من معلومات ومشاهدات حول الثورة، وغيرّ ملابسه العسكرية التي يمكن ان تعيقه عن الوصول الى قصر الرحاب بملابس مدنية وأمسك سماعة الهاتف ليعاود الاتصال ببدالة القصور الملكية.

كانت الخطوط متشابكة في باديء الامر سمع صوت بامرني والنقيب عبدالرحمن وتكلموا ثلاثتهم سوية وفجأة «انقطعت المحادثة الثلاثية بيننا.. ليأتي على الخط.. صوت الامير عبدالاله، وبهدوء بالغ وصوت غير منفعل ابدا وبكلمات فيها الكثير من الثقة بالنفس.. طلب مني ان ابلغه عما يحدث في بغداد.

وشرحت له التفاصيل بالقدر الذي شاهدته.. وابلغته اني ساصل الى القصر في ظرف ربع ساعة.. واغلقت سماعة الهاتف» (فالح زكي. المصدر السابق ص ٩٨).

عبر الملازم فالح جسر الأئمة من الاعظمية وقد مسك الجسر ضابط صف ومعه عشرة جنود.. كان ضابط الصف يحدق داخل السيارة فاذا لم يجد فيها عسكرياً كان يشير للسائق بطرف رشاشته الاسترلنك بالعبور.. كان الناس مايزالون يغطون في نومهم في (بلدتي) الاعظمية والكاظمية، فاتجه بعد عبوره الجسر نحو الشالجية ثم الى معسكر الوشاش ليأخذ طريقه نحو قصر الرحاب. كانت الشوارع خالية من المارة الا الذين خرجوا على رسلهم «اما معسكر الوشاش - والكلام لحنظل - الذي يقع مواجهاً لقصر الرحاب تقريباً.. فقد كان جنوده قد انتهوا من تناول الحساء قبل المباشرة بالذهاب الى ساحة العرض والقيام بالتدريبات العسكرية» ولم يبد اي اثر لحركة غير اعتيادية (فيه) حيث وقف الحارس الاول في البوابة النظامية وبندقيته بيده ووقف الى جانبه أمر نقطة الحرس يتطلعان معاً الى الشارع العام.. إلا انه اعتباراً من حافة المعسكر الشرقية.. والمواجهة لقصر الرحاب تقريباً.. وعلى طول الطريق الذاهب الى منطقة القصور الملكية.. وعلى مسافة كيلومتر واحد من مباني الرحاب والى جانب الطريق وقفت ستة لوريات عسكرية انتشر الى جانبها عدد من الجنود و(سائقو) اللوريات، وقد (اجتمع) كل اثنين او ثلاثة منهم بمجموعة يتحدثون فيما بينهم، ولم يكن اي من اولئك الجنود مسلحاً.

وبعد اللوريات العسكرية وقفت سيارتا جيب وقد ترجل سائقاها... ثم وقفت مقطورتان لعتاد المدفعية.. ثم مدفعا ميدان عيار ٢٥ رطل وقد كُمت افواههما بالسدود الواقية من التراب، ولم يتخذ المدفعان موضع رمي بل لبثا الى جانب الطريق.. مما يدل على انهما كانا خاليين من العتاد والقنابل وقد وقف الى جانبهما ضابطان شابان برتبة ملازم ثان.. وعلى مسافة بضعة امتار من المدفعين كانت ثلاثة لوريات عسكرية وسيارة بيك آب.

«كانت المجموعة كلها تحمل اشارات اللواء العشرين».

تلك هي خلفية القوة التي هاجمت قصر الرحاب على امتداد ما يقرب من كيلو متر واحد بين معسكر الوشاش وقصر الرحاب.

اما مشاهدته للقوة المهاجمة فكانت: «اعتباراً من امام حديقة قصر الرحاب، اي من نقطة ابتداء الشارع الفرعي الذي يفصل مابين قصر عبدالجبار (الاميرة راجحة) وقصر الرحاب، فقد امتدت قوة تقدر بحوالي اربعين جندياً على طول الرصيف للشارع العام.. (كذا) وصوبت بنادقها باتجاه سور الحديقة الخارجي للقصر. وعلى مسافة تبعد حوالي خمسين مترا عن السور حيث يفصلهم عن القصر الحديقة العامة.. فالطريق الملكي الخاص ثم الاسوار الخارجية للحديقة وقد وضعت رشاشة برن واحدة بمواجهة الباب النظامي لحديقة القصر وقف خلفها النقيب منذر سليم..

واعتباراً من النقطة التي وضعت بها رشاشة البرن الى حافة القصر اليسرى حيث تقوم مباني ثكنة الرحاب وامام مباني الثكنة والحرس نفسها فلم يكن امامها جندي واحد من المهاجمين.

اما الطريق الى قصر الزهور والى مقر وثكنة فوج الحرس الملكي فكانت مفتوحة.. حيث لم يقم آمر القوة المهاجمة بوضع قوة لمسك جسر الخر لسد طريق تقدم وحدات فوج الحرس الملكي لنجدة وحدات ثكنة الرحاب والقصر.

اما الى الغرب من القصر حيث تقع بعض المزارع والطرق والنياسم التي تؤدي الى المطار المدني فقد وضع آمر القوة المهاجمة حظيرة مشاة من عشرة جنود بامرة عريف لمسك ذلك الطريق المؤدية الى المطار..

والى الساعة السادسة والربع تقريباً كانت القوة المهاجمة لقصر الرحاب

من حيث موجودها غير كافية لان تصمد اكثر من خمس دقائق امام قوة قصر الرحاب فقط» (المصدر السابق ص ١٠٠).

بعد ان اطمأن النقيب عبدالستار العبوسي الى تأييد الضباط والضباط التلاميذ لفكرة مساعدة القوة المهاجمة لقصر الرحاب طلب منهم استلام غدارات استرلنك وقرر الذهاب قبل اي شيء الى قصر الرحاب لمعرفة احتياج القوة المهاجمة فصحب معه النقيب محمد علي سعيد لذلك الغرض.

بعد وصولهما الى هناك شاهدا جنوداً ممتدين على الرصيف وقسم منهم امام السياج المحاذي للرصيف، وكانوا منبطحين من الباب الوسطى للقصر حتى الجهة الغربية من بغداد الا انهما لم يعرفا مواضع القوة في المحلات الاخرى. سأل النقيب عبدالستار العبوسي الجنود المنبطحين عن احتياجهم لانه لم يشاهد ضابطاً معهم. اجابوه:

- اننا نحتاج الى عتاد لان عتادنا على وشك النفاد.

هكذا ردوا عليه. فاستصحب معه احد نواب الضباط بسيارتي حمل كبير ، وعند وصوله الى المدرسة كسر مستودع ضابط الاعاشة الخاص بالعتاد لعدم وجود المفتاح وطلب مدفع ١٠٦ ملم مع عتاده وتحميله في احدى سيارات الجيب. ثم امر ضباط صف آخرين اخراج عتاد الغدارات وتهيئة عشرة مخازن مملوءة واخراج عتاد البنادق.

تناول الغدارة رقم ٥٣٨٤ وتسلم معها ثلاثة مخازن مملوءة وسلم ثلاث غدارات لثلاثة من ضباط الصف كانوا قربه وتوجه الى رحبة المدافع. وبعد كلمة قصيرة القاها على من حوله لاثارة روح النخوة في رؤوسهم استقل سيارة اللاندروفر مع المدفع واثنين من ضباط الصف المختصين بالمدفع وتقدم بأقصى سرعة بعد ان اوصى النقيب سامي مجيد ان يرسل بقية العتاد وضباط الصف خلفه.

عند وصوله الى قصر الرحاب وضع المدفع على الرصيف مقابل الباب الرئيسة للقصر الى يسار الجنود الممتدين على الرصيف ووضع اربع الاطلاقات الى جانب المدفع هي كل ما معه.

في تلك الدقائق كانت نجدة العتاد قد وصلت بعد انتظار دام ما يقرب من ثلاثة ارباع الساعة ـ فاشتد الرمي. صرخ احد ضباط الصف بالنقيب عبدالستار:
ـ سيدي امتد.. «لَتْمُوتْ»

لم يأبه للتحذير.. بل اخرج قنبلة واحدة من غلافها وملأ بها المدفع ثم تحول الى الجهة اليسرى.. كان دوي الرصاص يصم اذنيه.. صار هوسه في اثناء ذلك ان يرمي قنبلة واحدة ثم يموت.. بعدها صوب المدفع على الطابق العلوي من القصر ورمى الاطلاقة فاختفى القصر عن عينيه وراء حاجز من الغبار والدخان.

وملأ الاطلاقة الثانية.. وانتظر لحظة، شاهد اثناءها النقيب ثابت يونس وبيده علامة بيضاء وهو يتجه نحو القوة المهاجمة.. مد العبوسي يده الى غدارته التي اختفت تحت الغبار وشهرها بوجه ثابت يونس وصاح به:

ـ قف. قف.. انني لا اريد منك ان تستسلم.. اريد استسلام القوة كلها.. ارجع حالاً..

تصرف العبوسي على ذلك النحو مع النقيب ثابت خشية منه ان يؤثر في جنود القوة المهاجمة اذا وصل اليهم او هذا ما فكر به.. وعاد الى مدفعه دوجه فوهته الى الطابق العلوي ايضاً.. ثم رمى الاطلاقة الثانية.. وملأ الثالثة بعدها مباشرة.. شاهد العقيد طه بامرني آمر اللواء يخرج من

الباب الوسطية ويصيح اننا مستعدون للتسليم.

فرد عليه العبوسي:

- نحن حاضرون لاستلامكم تفضلوا.

فغاب في الداخل لجلب جنوده... وطال غيابه بعض الشيء فظن العبوسي ان بامرني لم يكن جاداً في وعده فرمى الاطلاقة الثالثة على الطابق الاسفل من القصر وملأ الرابعة وعول على عدم رميها لانها الاخيرة الا عند الضرورة القصوى ولكنه مالبث عندما التفت الى ناحية اليسار ان شاهد العقيد بامرني وخلفه رتل من الجنود يحملون اسلحتهم بوضع افقي وكانوا يسيرون على الشارع المحاذي لسور الرحاب فطلب من آمر اللواء انتزاع مسدسه فأخذ منه العتاد.. (من تقرير العبوس).

ثمة رؤية اخرى تتصل بدورها بمدرسة المشاة رواها (النقيب) اللواء حميد السراج (مجلة آفاق عربية) ع - ٩ ١٩٨٦، وهذه الرؤية لا تخلو من اختلافات طفيفة عن رواية العبوسي وإن كان طريقهما واحداً من مدرسة المشاة الي قصر الرحاب. يرتفع السراج بالوقت الذي بينه عبدالستار سبع العبوسي الى الليل، ويتغير المكان عنده في تلك الليلة الى النادي العسكري الواقع خلف الاعدادية المركزية.. وقد قضى الليل او معظم الليل هناك ليتلقى تعليمات الثورة من العقيد عبدالوهاب الشواف و«في ساعة متأخرة من الليل اخبرنا الشواف بعصبية ان عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف اصابهما الجبن وصرفا النظر عن تنفيذ الثورة. فسألته: ومن اعلمك؟ قال: ارسلت احد الضباط الى عارف، وقد عاد تواً واخبرني بما جرى. قلت له: الا تظن انها لعبة من الاعيب عارف لينفرد بتنفيذ الثورة هو وقاسم كما كانا يصرحان.

اجابني: ذلك وارد».

وحول هذا الموضوع روى لي (المقدم) العميد فاضل محمد علي قال:

جئت ومعي النقيب بهجة سعيد من جلولاء الى بغداد يوم ١٠ تموز لنخبر العقيد عبدالوهاب الشواف (بساعة الصفر) ولم نكن نعرف مكان بيته فصحبنا اليه صبحي مدحة السعود في الكرادة.

استقبلنا الشواف في داره، وعندما اخبرته ان الثورة ستنفذ ليلة ١٣/ ١٤ تموز وإن القائمين بها هما عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف وقد جئنا اليك لندعوك الى التعاون معنا.

رد الشواف:

-انني لا اتعاون مع طفل ومجنون.

يريد بالطفل عبدالسلام عارف والمجنون عبدالكريم قاسم. وقد شك الشواف في اثناء حديثه ان يقوم عبدالسلام عارف بتنفيذ الثورة.

فاجابه فاضل محمد علي

-انا مساعد عبدالسلام عارف في الفوج، واعدك اذا رأيته متردداً ان اقبض عليه واسيطر على الفوج على ان تكون معي. وضرب له موعداً في قرية خان بني سعد والاشارة بينهما مصباح يدوي يكون مع الشواف يعرف فاضل محمد مكانه اثناء مرور اللواء من هناك في الليل الدامس.

في اليوم التالي كان المقدم فاضل محمد علي ومعه النقيب بهجة سعيد يتمشون مع الآمر عبدالسلام عارف في ساحة العرضات في اثناء التدريب.. واخذ فاضل محمد علي يسرد على الآمر مادار بينه وبين الشواف بحذافيره، بشهادة بهجة سعيد، وعندما انتهى من روايته رفع عبدالسلام هامته وقال للضابطين:

-ان عبدالسلام عارف وحده هو الذي سوف يقوم بالثورة.

وقال لي العميد فاضل محمد علي: ومع ذلك فانني عندما اخذ الرتل

يجتاز خان بني سعد بقيت اتلفت يمنة ويسرة لعلي اعثر على اشارة المصباح مع الشواف دون جدوى. ويبدو ان الشواف اخذ كلام فاضل محمد علي مأخذ الجد فيما بعد وتهيأ هو وضباطه للالتحاق بالثورة في تلك الليلة الا ان عبدالسلام عارف رفض التعاون معه بعد ان وصل اليه عنه ما وصله فرد رسوله دون نتيجة.

يقول السراج: انه بعد ان يئس من قيام الثورة في تلك الليلة ترك دار الضباط بعد ان اتفق والمرحوم عبدالستار سبع العبوسي على الذهاب الى مدرسة المشاة ويلاحظ اننا نقلنا عن العبوسي انه كان خفراً ليوم ١٢ تموز في مدرسة المشاة و«في صباح اليوم التالي - والكلام للسراج - وبعد وصولنا بوقت قصير حضر بعض المراتب الى المدرسة واخبرونا بوقوف رتل عسكري على الطريق العام بجوار قصر الرحاب ففتحنا مذياع حانوت المدرسة وسمعنا عارف يذيع البيان الاول للثورة.

«اتفقنا ان يذهب احدنا الى الشارع العام الذي لا يبعد عن المدرسة سوى بضعة مئات من الامتار ليستطلع الموقف وينظر حاجة الرتل وعاد رسولنا بعد دقائق وقال: اتصلت بآمر السرية المكلفة بمهاجمة قصر الرحاب الرائد منذر سليم لكن سريته لا تمتلك العتاد الكافي كما ادعى منذر نفسه».

- يلاحظ الاختلاف بين الروايتين.
«ولتعزيز قوة السرية المكلفة بهذا الواجب قمنا بكسر مشجب مدرسة المشاة لاخراج العتاد والاسلحة، ثم قمنا بجمع الضباط وضباط صف المدرسة (حيث تحدثت اليهم لشحذ هممهم وحثهم على المساهمة بالثورة) وطلبت الى الراغبين بالمشاركة بالثورة الصعود الى احدى الناقلات التي أقلت ٢٠ - ٢٥ ضابطاً معظمهم من ضباط صف كلية الاحتياط (كذا).

واعد النقيب العبوسي مدفعاً (١٠٦) ملم مضاد للدروع مع عتاده ونقل

بسيارة جيب خاصة، وتقدمت انا وعدد من ضباط الصف لاقتحام القصر.. وفي هذه الاثناء شاهدت المرحوم عبدالجواد حامد (حميد) فسألته عن السرية، فاخبرني بانه معاون آمر السرية.

.. قلت له: اين الآمر؟

فاجاب: لقد ذهب الى عبدالسلام عارف في دار الاذاعة بعد ان اوشك العتاد على النفاد.

قلت له: كيف يترك آمر السرية قوته المكلفة بتنفيذ الواجب؟! ثم طلبت منه التعاون معنا في اقتحام قصر الرحاب بعد جمع ما تبقى من جنود سريته الذين هرب معظمهم بتأثير رمي الحرس الملكي ولكن عبدالجواد تركني وانصرف..» (المصدر السابق).

والاكثر واقعية ان يعزو اللواء السراج هروب جنود قوة اللواء العشرين من الميدان - مع ما في كلمة الميدان من تجاوز - الى نفاد العتاد، فماذا عسى ان يصنع المقاتل في المعركة من دون وجود بارود لديه؟. الاجدر لو سارت المعركة امام قصر الرحاب في مجاريها الطبيعية لوجد اللواء حميد السراج جميع افراد قوة اللواء العشرين اسرى لدى قوات الحرس الملكي ولما تمكن منتسبو مدرسة المشاة ضباطاً وضباط صف من الاقتراب من قصر الرحاب. فعند اقتحام هؤلاء حديقة القصر كان الامير عبدالاله قد ضيع على نفسه آخر فرصة للنجاة.. في ذلك الوقت ايضاً وصل رعيل مدرعات من كتيبة فيصل ومعه آمر الكتيبة الفريق (العقيد) عبدالرحمن عارف.. ووصلت نجدات عتاد مهمة الى المهاجمين فاشتد الرمي العشوائي من جميع الجهات بالرغم من ان العقيد بامرني قد جرد جنود الحرس الملكي من سلاحهم والرمي العشوائي يستدعي الرمي العشوائي لان الرصاص يقع في كل مكان.. واهل المكان الذي يقع فيه الرصاص يشتدون في الرمي لاسكات الرصاص المقابل.. وكل الرصاص المنطلق ينطلق من اسلحة القوة المهاجمة

وهي حال تدير الرأس وتربك العقل وتجعل تصرفات الجميع انفعالية.. هذا الوضع المتردي في قصر الرحاب هو الذي حسم انتصار ثورة الرابع عشر من تموز. ذلك الانتصار الذي يعود في اساسه الى الموقف الغامض الذي وقفه الامير عبدالاله والعقيد طه بامرني مما كان يجري حولهما الامير عبدالاله عندما منع بحزم مجابهة القوة بالقوة منذ وصول (سرية اللواء العشرين) والى اللحظة الاخيرة من حياته مما جعل ابواب القصر مشرعة امام اي طارىء.

والعقيد طه بامرني عندما امر الوحدات التابعة له بعدم الرد على النار بالنار وذلك من قبل مقابلته الامير عبدالاله الذي اعطاه امراً في اثناء المقابلة بالمآل ذاته.

بعد المقابلة جد في البحث عن اي ضابط ثائر لتسليمه لواء الحرس الملكي حتى اذا كان ذلك الضابط برتبة نقيب ولا ينتسب الى اللواء العشرين وقد هيأ كل اسباب التسليم من تلقاء نفسه فجرد جنود حماية قصر الرحاب من اسلحتهم قبل مصرع العائلة الملكية بما يقرب من عشر دقائق.. لقد بدا منذ بداية الاحداث في ذلك اليوم وكانه كان ازاء واجب ثقيل فعمد الى ازاحته عن كاهله باسرع ما يمكن.. جاء في احد تقاريره - محفوظ لدي بخطه - انه بعد ان جرد سريتي قصر الرحاب من سلاحهما وتم توزيع عتادهما على القوة المهاجمة «وحينذاك تم تطويق قصر الرحاب من قبل المهاجمين كما جاء في تقارير بعض الضباط عن اعمالهم البطولية» والامير عبدالاله في تموز ١٩٥٨ لا يشبه الامير عبدالاله في نيسان ١٩٤١ في شيء لقد انقطع الشبه بينهما تماماً.

في ليلة ٢/١ نيسان ١٩٤١ كان الامير ضيق الصدر عصبي المزاج متبرماً بالحياة السياسية التي تدور حوله.. فآوى الى فراشه في نحو الحادية عشرة، عندها كانت اخواته في قصر الزهور عند اختهن الملكة للتداول حول الاحتفال العائلي بعيد ميلاد الملك فيصل الثاني.. وقد عاد بهن سائق

الامير الخاص الى قصر الرحاب في الساعة الحادية عشرة والنصف.. كان السائق متعباً بعد يوم مضن حافل بالعمل.. وعندما هم بالذهاب الى سريره.. كلفه الخدم ان يوصل اسطه طه الطباخ الى قصر الزهور فدافعهم مدة ولكنه انصاع في الاخير الى طلبهم فاركب الاسطة المذكور في سيارة الامير واتجه به الى قصر الزهور. المسافة قصيرة بين القصرين، وكان الشارع خالياً الا من شرطي اعتاد الوقوف امام باب مخفر شرطة الخر وبعد عودة السائق وجد سيارة عسكرية تقف في طريقه والى جانبها ضابط برتبة ملازم.. اشار له بالوقوف.. وعندما توقف تقدم الضابط من السيارة لتفتيشها على ضوء مصباح يدوي.

قال له السائق والدهشة مرتسمة على وجهه:

- ولكنها سيارة سيدنا.

رد عليه الضابط بحزم:

- اعرف ذلك، وبعد ان انهى تفتيش السيارة قال للسائق باستهانة.

- يالله.. ولّي.

تحرك السائق ببطء وحاول الوقوف قرب الشرطي الذي وقع المشهد تحت نظره فسأله :

- متى وصلت هذه السيارة..؟

وقبل ان يفتح الشرطي فمه، وصل اليه صوت الضابط.

- اضربه راشدي أو خل يولّي.

لم يجبه الشرطي على سؤاله، ولم يصفعه كما امره الضابط.

بعدها مضى السائق مسرعاً الى القصر.. وقد اثار الحادث استغرابه.. انها سيارة سيد البلاد فكيف يتصرف ضابط صغير على ذلك النحو الشاذ.. لابد ان وراء الاكمة.. ما يخيف.. وعليه ان يخبر الامير بتمام ما وقع له حالاً.. قص خبره عندما وصل الي القصر علي اصحابه فوقع الخدم في حيرة من امرهم ولاسيما بعد ان اقتنع الجميع بضرورة اخبار الامير بالحادث.. انهم يعلمون انه بعد ان انصرف الى النوم كان في حال نفسية

سيئة وهو صعب الاخلاق شرس الطبع في مثل هذه الحالات.. ومن حكم العرب القدماء في الحكم.. إن باب الامير لا تحجب عن طارق ليل. فلعل مهما.. ما اتى به. ومهما يكن فقد وطن واحد منهم نفسه على الموقف الصعب مع الامير.. فطرق الباب عليه وبدلا من ان ينهال عليه بالشتائم والضرب سعى الى السائق وبعد ان استطلع منه جلية ما وقع له عدّ ذلك بمثابة انذار من العقداء الاربعة.. وخلال مدة وجيزة كان مع السائق على الطريق الى دار عمته الاميرة صالحة في الرصافة وبعد وصوله اختفى عن انظار العقداء المذكورين. وقد تمت مفاوضات غير مباشرة بينه وبينهم من مكان اختفائه بواسطة احد الاشراف من اقاربه لم تؤد الى نتيجة.. اتجه بعد ذلك الى الحبانية وحاول تشكيل حكومة موالية له في البصرة.. وبعد فشله اتجه نحو فلسطين.. وعاد الى بغداد بعد انتهاء الحرب العراقية البريطانية وهو اقوى ما كان عليه قبل هروبه وارسخ قدماً.

بعد عودته.. اخذ يولي الحرس الملكي عناية خاصة.. فقد توسع به من فوج الى لواء وزوده باسلحة متطورة عما في يد بقية وحدات الجيش من سلاح وكان يختار له الضباط الاكفاء ويعاملهم ـ صغارهم وكبارهم معاملة صداقة وود ليضمن اخلاصهم له وليقفوا الى جانبه في المحن والملمات بعد ان اخذ درساً من المقدم صالح زكي الطائي آمر الحرس الملكي الذي لم يخلص للعائلة المالكة في اثناء محنتها عام ١٩٤١..

... وبدأت المحنة هذه المرة ليس بتسليط ضوء مصباح يدوي على سيارته وانتهاك حرمة سائقه الخاص بالكلام الخشن وانما بتسليط نار اكثر من مائة بندقية وبعض الرشاشات المتوسطة على منزله. وكان من الممكن ان يصرع ذلك الرصاص المنهمر من في القصر جميعاً او بعضهم.. ومعنى ذلك ان المحنة الجديدة تريد رؤوسهم..

فماذا ينتظر..؟

كان يملك المقاومة.. ان استعادة السيطرة على مرسلات الاذاعة في ابو غريب القريبة منه وتأسيس استديو مؤقت فيها كان كافياً لارباك الثورة وان يعيد الكثيرون - من عسكريين ومدنيين - النظر في الحساب معها. وكانت قواته كافية - كما ذكر العقيد طه بامرني - لمجابهة اللواء العشرين في بغداد.

وكان يملك ابعاد الخطر، بسهولة، عن القصر، ثم يتفاوض مع الثوار من منطلق القوة.. وبعدها يأخذ بيد الملك وبقية العائلة الى خارج العراق.

وكان يملك ان يركب سيارته ويتجه الى اي مكان غربي القطر بانتظار ما يتم. وذلك اضعف الايمان لان جسر الخر كان مفتوحاً امامه.

... وكان.. وكان.. وكان السؤال المحير، محيراً لاننا لا نملك اجابة محددة عليه وهو: «لماذا بقي ولي العهد مكتوف اليدين ازاء الاحداث الجسام التي تدور حوله مدة تتجاوز الساعة ونصف الساعة».

يمكن ان يقال: انه كان بانتظار بعض النجدات القريبة ليفتح المعركة.

ولكن المعركة بدأت منذ الساعة السادسة صباحاً.. وهي لاتنتظر في العادة وأن يقال: انه فكّر بان اسوأ ما يمكن ان يصادفه هو تجريد العائلة من العرش وابعادهم الى خارج العراق اسوة بما صنع جمال عبدالناصر مع الملك فاروق.

وقد رأينا انه وطن نفسه في بعض الحالات التي مرت به على التنازل عن العرش وانه يأخذ بيد فيصل ويخرج به من العراق الى دنيا الله الواسعة.

وان يقال: انه ورد على خاطره: «بسم الله الرحمن الرحيم. حم. عسق» وما ورد في تفسيرها عند ابن كثير..

وبالمناسبة، فقد حدثني الاستاذ علي آل بازركان في عام ١٩٥٣ بحضور ولده حسان وقد دوّن ذلك في كتابه (الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ط بغداد ١٩٥٤) الذي جاء فيه «وفي الليلة التالية لمكوثي في القصر جلسنا على عادتنا على سطح القصر مع جلالة الملك حسين واخذنا نتحدث عن العراق وخيراته ومحصولاته. وفجأة مدّ جلالة الملك حسين (ملك الحجاز وشريف مكة) يده تحت فراشه واخرج لي ورقة انها برقية من اهالي بغداد وردت الى جلالته في ذلك اليوم. ثم قال لي:

- خذها ياشيخ علي واقرأها.

قرأت البرقية.. وقد قال مرسلوها فيها:

«نرجو ارسال نجلكم الملك فيصل الى الى العراق ليكون ملكاً دستورياً منتظرين تشريفه». اصحاب التواقيع. السيد محمد مهدي الصدر. نوري السعيد. حمدي الباچه چي . محي الدين السهروردي. بهجة زينل.

قال لي جلالة الملك حسين:

- هل تعرف اصحاب تواقيع هذه البرقية؟

اجبته؟

- انني اعرفهم تماماً.. اما السيد محمد مهدي الصدر فهو من خيرة سادات العراق.. وهو نجل الحجة السيد اسماعيل الصدر المجتهد الكبير.. وجلالتكم يعرف نوري السعيد تمام المعرفة والبقية من وجوه وسادات العراق.

ثم قال لي جلالته:

- ان العراقيين طالبوا بالامير عبدالله في بادىء الامر ليكون ملكاً دستورياً عليهم. فما الذي دعاهم الى تغيير وجهة نظرهم وطلب الامير فيصل؟

اجبته:

- لقد طلب اهل العراق الامير عبدالله ليكون ملكاً دستورياً عليهم بعد ان توج الامير فيصل ملكاً على سورية. ولكن بعد ان خرج الامير فيصل من سورية وهو الآن من غير شغل، لذلك فانهم يطلبون تتويجه ملكاً عليهم.

فقال لي جلالته:

- ولكنني اخشى ياشيخ ان يعامل اهل العراق فيصلا كما عاملوا جده الحسين (ع) من قبل.

فقلت لجلالته:

- سيدي.. لقد تغير الزمن.. واهل العراق اليوم ليسوا كأسلافهم في زمن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام فهم الآن يكرمون الضيف ويقومون بخدمة ملكهم. (المصدر السابق ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠).

والمعروف ان الملك الحسين بن علي بقي مصراً على عدم ارسال (عائلة فيصل) الى العراق حتى بعد تتويجه ملكاً على العراقيين، ولم تصل العائلة الى بغداد الا بعد ان غلب الشيخ الجليل على امره حينما ارسله الانكليز منفياً الى جزيرة قبرص.

وكان الامير عبد الاله راسخاً على مقولته: ان الشهادة مكتوبة عليهم اهل البيت.

وهنا نتساءل: ماذا كانت تبيت الثورة في مصير العائلة المالكة؟

يقول العقيد نعمان ماهر الكنعناني: «إن هناك محاور في هذا القرار. وكان رأي رفعة الحاج سري لو تم تنفيذ الثورة في ١١ مايس ١٩٥٨، ان يقتل نوري السعيد في داره ويشاع انه قتل في اثناء الهجوم عليه. وتسقط الجنسية العراقية عن ولي العهد ويسفر الى خارج العراق ويحتفظ بالملك ويؤتى به الى وزارة الدفاع وتذاع البيانات باسمه ومن ثم بعد

استقرار الثورة يصار الى تنازله. وفي هذا القرار يمكن ان نلمس التناقض بين الدافع القومي للثورة عند رفعة الحاج سري واسقاط الجنسية العراقية عن (الحجازي) عبدالاله بن علي بن الحسين. اما محور قاسم - عارف - الدراجي. فينقل الكنعاني عن مجيد كريم الذي يصفه بانه كان قريباً منهم ليلة التنفيذ، انهم اقسموا على قتل العائلة المالكة حتى لا يكون هناك اي امل في انتكاسة واتخاذهم ذريعة للعودة الى السلطة (الذاكرة التاريخية ص ١٢٠). ويقول محمد مجيد (المصدر السابق ص ٦٦ و ٦٧): ان عبدالسلام عارف اجتمع به وبثلاثة آخرين من اعضاء الحلقة الوسطية وتحدث اليهم عن خطة احتلال بغداد و«بعد ان اكمل عبدالسلام الخطة.. جرى نقاش حول مصير العائلة المالكة. وكان رأينا كحلقة وسطية ابقاء الملك الا ان عبدالسلام اصر على التخلص منه كما هو الحال مع نوري السعيد وعبدالاله وبرر ذلك بالتخلص من اي اشكال قد يقع مستقبلا كاتخاذ الملك حجة للزحف على العراق لانقاذ الملكية».

ومن كلام عبدالسلام عارف بهذا الخصوص «اقطع رأس وموّت خبر».

وقال لعبدالستار سبع العبوسي عندما سرد عليه ما صنعه في قصر الرحاب حول قضائه على العائلة المالكة: «عفارم زين سوّيت».

ومما يعزز هذا المذهب: انه سبق لعبدالكريم قاسم، ان اقترح فتح النار من رشاشة دبابة على الملك وولي العهد في اثناء استعراضهما بعض القطعات العسكرية في عيد الجيش في معسكر الرشيد.. وقد رد هذا الرأي لانه يؤدي الى قتل الكثيرين من غير المطلوب قتلهم. على ارض الواقع.. ان الضابط الوحيد الذي من الممكن ان يودع لديه سر مصير العائلة المالكة هو (النقيب) العقيد منذر سليم بحكم كونه الضابط المسؤول عن القوة المكلفة بالسيطرة على قصر الرحاب وسألته عن نص الامر الذي تلقاه من عبدالسلام فتوجه على اثره الى قصر الرحاب.

اجاب: قال لي «منذر هدفك قصر الرحاب».

لم يزد على تلك الكلمات - بخصوص الامر - كلمة ولم انقص منها عندما اعيدها الآن كلمة ولم يدر القتل على لسانه ابداً. وذكرته عندما التقى ومعه النقيب عبدالجواد حميد بالنقيب عبدالرحمن الدباغ وبينهم سياج حديقة القصر فأتم العقيد منذر ما ذكرته به:

-سألني بعد حوار قصير دار بيننا.. «ماذا تريد الآن؟».

قلت له: تذهب وتخبر الملك وولي العهد ان يستسلما ويخرجا الي لاذهب بهما الى دار الاذاعة حيث قيادة الثورة فذهب ولم يعد، وما قلته للنقيب عبدالرحمن حول الملك وولي العهد كان من اجتهادي الخاص في تفسير الامر.

ونتساءل: ماذا عسى ان يكون مصير الملك بالذات ومعه الامير عبدالاله لو استسلما في تلك الفترة وذهب بهما منذر سليم الى الاذاعة؟

حول عبدالستار سبع العبوسي ومصطفى عبدالله وبقية اصحابهما من نجدة مدرسة الشاه فانهم لم يكونوا مبلغين بالثورة وليس لهم ارتباط بعبدالكريم او عبدالسلام لكي نحمل تصرفهم على اوامر خاصة تلقوها من هذا او ذاك وانما علموا بالثورة صدفة من احد الضباط او من جماعة من الجنود ثم سمعوا لعلعة الرصاص المنطلق على قصر الرحاب لان المدرسة في معسكر الوشاش قريبة من القصر فهبوا لنجدة القوة المهاجمة وكانت نهاية العائلة المالكة على يد العبوسي او مصطفى عبدالله او على يديهما وبذلك يمكن ان نحدد عملهما ذاك بانه فردي انفعالي ولا يجوز نسبته الى الثورة او قيادتها بحال من الاحوال.

يبقى ان نقف عند قرار الثورة الذي ساقه عبدالسلام عارف امام اربعة اعضاء من الحلقة الوسطية بان التصفية تلحق حتى الملك (الذي لم يكن له

من الامر شيء) كيلا يتخذ ذريعة فيما بعد لتدخل خارجي.. فهناك رؤية يتفق عليها اثنان من الضباط البارزين في ذلك اليوم وهما طه بامرني وكيل آمر لواء الحرس الملكي ومنذر سليم آمر القوة المهاجمة ولا اجد انهما التقيا بعد ذلك اليوم مرة اخرى اكدا فيها على ان مدرعة مغلقة هي التي فتحت النار على الاسرة المالكة، فهل وقع تنفيذ قرار تصفية الملك فيصل على كتيبة مدرعات الملك فيصل؟

كان طه بامرني قد ارسل النقيب عبدالرحمن الدباغ بسيارته الى دار الاذاعة ليتفاهم مع قيادة الثورة، ورأينا ان هذا دخل الى مقر سريته دون ان يخرج منها، وقد استبطأه أمره فعوّل الاعتماد على نفسه في ذلك فدخل «بين القوات الثائرة واول من وجدت (الكلام لبامرني) الرئيس عبدالستار سبع المنسوب الى مدرسة المشاة، ولما ناديته وطلبت منه التفاهم على الموقف. طلب مني تفريغ مسدسي الذي احمله (من العتاد) ففرغت المسدس واعطيته العتاد ثم (قلت له): هل تريد المسدس ايضاً؟

اجابه:
- كلا سيدي.

سألته: عن موقف الثورة، ومن هم قوادها. وفي تلك الاثناء وجدت ضباطاً آخرين حولنا احدهم من القوة الجوية والرئيس عبدالله الحديثي من مدرسة المشاة وضباط احتياط ووجدت العزم والايمان القوميين في وجوه الضباط والمراتب (وكانوا) من وحدات مختلفة فاشتركوا مع اللواء العشرين.. ناداني ضميري ان انضم اليهم فاخبرتهم:

- اخواني.. من الآن.. انا معكم.. وقد اوقفت اطلاق النار من سريتي القصر واريد ان يتقدم ضابطان مع اربعة ضباط صف مسلحين بالغدارات لندخل سوية الى القصر ونخرج الملك وولي العهد ونذهب بهم الى مقر قيادة

الثورة في الاذاعة. غير ان احداً منهم لم يتفق معي على ذلك.. بل طلبوا مني ان اذهب وحدي وادعوهم الى الخروج من القصر. ولكنني فكرت بانني قد اقتل اذا فعلت ذلك ثم يختار الملك وولي العهد ضابطاً آخر ينيطا به أمرية الفوج واللواء..

واخيراً استقر رأيهم، بانني اذا كنت حقاً معهم ومع الثورة، فعليّ اخراج السريتين من مواضعهما واقوم بتجريدهما من السلاح على الشارع ويكون جلوس منتسبي السريتين في الحديقة امام القصر.

وافقت على ذلك فوراً، وصحت باعلى صوتي على جنودي للتجمع امامي وكنت اخشى ان يعصوا اوامري.. الا ان الباري تعالى اراد انتصار الحق على الباطل. فتجمعت السريتان باسرع ما يمكن.. وتركتا اسلحتهما على الشارع.. بعد ان جلسوا في الحديقة امام حضائر اللواء العشرين.. حينذاك تقدم ضباط ومراتب قوة اللواء العشرين واخذوا حاجتهم من العتاد من عتاد اللواء العشرين (الموجود على الشارع) فاشتد الرمي من جميع الجهات على القصر من الرشاشات الخفيفة والغدارات والبنادق وحينذاك تم تطويق قصر الرحاب من قبل المهاجمين.. ولكن لماذا هذا الرمي الكثيف؟ وعلى مَن؟ ان اية مقاومة لم تكن موجودة في القصر.. واصبح موضوع الملك وولي العهد ما يمكن حله بالتلفون.. والاحرى ان خطر الرمي العشوائي ذاك اخذ ينصب على القوة المهاجمة ضد بعضها البعض دون قصد. كانت مصادر النار لا تبعد عنا اكثر من ثلاثين ياردا.. واخذت اخشى ان يعود جنودي الى سلاحهم.

ثم تذكرت (جحفل الفوج) في ثكنة الحارثية الذي كان بامرة المساعد (النقيب) العقيد هاشم الحاج كمال فخشيت ايضاً ان تتقدم نحوه قوة اخرى للثوار وعندها تحصل الكارثة.

اخبرت الرئيس ستار سبع وبعض الضباط الذين كانوا معه بانني سوف اتصل هاتفياً بالمساعد ليسحب كافة الاسلحة والعتاد من الفوج وادخالهما الى المشاجب خشية وقوع صدام ليس في الحسبان فأيدوني بذلك وقد غمرهم الفرح. عندها اتصلت هاتفياً بالمساعد من تلفون الباب النظامي وقلت له:

- رئيس هاشم. لقد انتهى كل شيء في قصر الرحاب.. ولا توجد عندنا اية مقاومة، وخوفاً من وقوع مالا يحمد عقباه، اسرع بادخال كافة الاسلحة والاعتدة الى المشاجب.

اجابني المساعد:

- تؤمر سيدي.

كنت واثقاً من نفسية وافكار المساعد الذي كان مواطناً صالحاً وهو الضابط الوحيد في الحرس الملكي الذي كنت اسرّ اليه ما اشعر به ازاء القضايا الوطنية واستهتار الاستعمار في بلادنا.

طلبت من ضباط القوة ايقاف فتح النار التي اخذت تشتد كل دقيقة عن التي قبلها وعندما صار الرمي خفيفاً دخلت الى غرفة التلفون في الباب النظامي ومعي ضباط القوة لسماع المكالمة. طلبت حضور ولي العهد على التلفون وبدلا منه جاءني صوت الشريف حسين فطلبت منه حضور (الامير) عبدالاله، فاعلمني ان الامير لا يتمكن من الحضور وطلب مني ان اخبره بما اريد ويقوم هو بتبليغه للامير.

اخبرته ان الفوج لا يستطيع المقاومة وقد سلم للثائرين وهم يطلبون - ضباط الثورة - خروج الملك والامير للنظر في مصيرهما واذا لم ينفذا ذلك فان القصر سوف يتعرض للنسف بعد خمس دقائق.

ويقول العبوسي انه بعد ان جرد البامرني من عتاد مسدسه، امر جنود الحرس ان يلقوا بسلاحهم وعتادهم على الارض ويتجمعوا بالقرب من السور المحاذي للجدار، ثم اخرج ثمانية جنود منهم وأمرهم بجمع العتاد في قطع القماش الكبيرة التي كانوا يحملونها وبعد ذلك طلب من بعض ضباط الصف التابعين له ان يوزعوا عتاد الحرس على سرية المشاة القريبة منهم (بريد التابعة للواء العشرين) ثم طلب من جنود الحرس الذين جردوا من سلاحهم التوجه الى الحديقة المحاذية للشارع العام ووضع بعض الجنود حرساً عليهم. في هذه الاثناء شاهد مدرعتين تتقدمان الشارع المحاذي للسور باتجاه باب القصر، فطلب من احدى المدرعتين ان تدخل من باب السور وتقوم بالرمي ثم تتقدم بغية الاستتار خلفها وعند وصول المدرعة الى الباب الداخلية تاكد ان الرمي قد انقطع من الداخل فتقدم الى الباب الداخلية.. عندها شاهد الرئيس ثابت يونس فسأله عن الملك وولي العهد فأقسم ان لا علم له بهما فخمن العبوسي ان ثابت لم يكن باراً بيمينه وانه يكذب.. وفي اثناء ذلك شاهد (النقيب) سامي مجيد ومحمد علي سعيد والرئيس حميد السراج والرئيس عبدالله الحديثي والرئيس مصطفى عبدالله والملازم الاول عبدالكريم رفعة والملازم الاول حبيب شبيب كان يشعر بوجود خدعة تدبر في القصر وعندما رأى اصحابه اولئك شعر بالاطمئنان وبينما كان يسير باتجاه باب القصر سمع احداً يصيح.

-جو.. جو..

عندها وقعت عينه على الامير عبدالاله.. وبقية العائلة مع حاشيتها.. وبعض الضباط وهم يخرجون من القصر.

بعد ان لم يعد النقيب عبدالجواد حميد الى حميد السراج عندها يقول (النقيب) اللواء السراج:

«قررنا الاعتماد على انفسنا انا والعبوسي وضباط الصف الذين حضروا

معنا بعد ان ازدادت مقاومة الحرس الملكي».

اطلق النقيب عبدالستار قنبلتي مهداد من المدفع (١٠٦) باتجاه القصر اصابت الطابق العلوي، وتقدمنا مع ضابط الصف فدخلنا القصر من خلال غرفة الحرس الموجود في الزاوية اليمنى القريبة من قصر الاميرة المجاور لقصر الرحاب ثم دخلنا الحديقة واصبحنا خلف القطعات المكلفة بالدفاع عن القصر وتقدر قوتها باكثر من سرية وكانت بامرة العقيد طه بامرني أمر احد افواج الحرس الملكي.

وعندما توسع الهجوم ارتبك البامرني واخذ يخاطبني بصيغة (سيدي) فطلبت منه عدم ذكر كلمة سيدي عند محادثتي فأنا نقيب وهو عقيد وسوف ينتهي هذا الظرف بعد ساعة لاعود واقدم له الاستعداد واؤدي التحية العسكرية. فاصدر البامرني اوامره الى قوات الحرس بوجوب التسليم وترك الاسلحة ومغادرة المكان حالاً.

وفي داخل القصر جاءنا الرائد (كذا) عبدالرحمن محمد صالح الدباغ وهو احد ضباط الحرس الملكي واخذ يتوسل لايقاف القصف ريثما يتسنى له الاتصال بالملك والوصي والطلب اليهما بالخروج من القصر. وكنا نعرف انه يهدف من وراء ذلك كسب الوقت للقوات الموالية للنظام الملكي، ومع ذلك اوعزنا للمرحوم العبوسي بالكف عن القصف وبعد فترة اعتذر النقيب عبدالرحمن مبيناً عجزه عن الاتصال بالملك او الوصي بحجة انقطاع الخط الهاتفي.

ثم التقينا بثابت يونس وهو من ضباط الحرس الملكي وكان يرتدي بشداشة جنود من الخام فوق ملابسه العسكرية وطلب منا مواجهة سيده الوصي في احد سراديب القصر وقد رفضنا طلبه.

ولمنع العائلة المالكة من الهرب ذهب احدنا ومعه ثلاثة ضباط صف الى الجهة الخلفية لقصر الرحاب وكانت الطائرة تنتظر في المطار لنقل الملك والوصي الى انقرة لحضور اجتماعات حلف بغداد.

وعندما وصل الضابط الى الجانب الخلفي صاح:
-حميد.. حميد الملك والوصي في غرفة الخدم والوصي يطلب التفاوض.

فقلت له: لا تدخل وليخرج الوصي حالاً وفي حالة التأخير سنهدم القصر على رأسه. وخرجت العائلة المالكة وخلفها يسير الملك وعبدالاله وكان ثابت يونس قد خلع الدشداشة ودخل في صفوف العائلة المالكة وممن دخلوا في صفوف العائلة المالكة عند خروجها من احدى الابواب الجانبية للقصر المقدم محمد الشيخ لطيف ولكن النقيب حميد السراج سحبه من يده وابعده عنهم في اللحظة الاخيرة ومايزال الرجل يذكر ذلك ويعترف بفضل السراج في انقاذ حياته.

بعد الانتهاء من امر العائلة المالكة طلب العبوسي من العقيد بامرني ان يتقدم معه للذهاب الى الفوج الاول. لواء الحرس الملكي في ثكنة الحارثية قرب قصر الزهور حيث توجد ثلاث سرايا بكامل اسلحتها واعتدتها وآلياتها، ولكن بامرني طلب السماح له بالاتصال هاتفياً بالمساعد لكي يتسلم الاسلحة والاعتدة من المراتب حتى لا تحدث مذبحة هناك.. وافق العبوسي على المكالمة بعد ان تهدده بالقتل اذا امر خلاف ذلك.. فاقسم بشرفه العسكري بانه يعمل لمساعدتهم فاتصل بالمساعد هاشم الحاج كمال من هاتف غرفة حرس الرحاب.. وبدأ المساعد فعلاً بجمع اسلحة وعتاد السرايا الثلاث.. وللتوجه الى ثكنة الحارثية طلب العبوسي من بامرني ان يصعد معه في سيارة اللاندروفر.. في ذلك الوقت صادفهم المقدم العمري وزودهم بمدرعتين ووعد بارسال مدرعات اخرى خلفهم وكان مع المدرعتين الملازم الثاني الاحتياط محمد جواد غصيبة.

تحركت سيارة اللاندروفر نحو ثكنة الحارثية وكان فيها ايضاً بعض حاملي الغدارات من ضباط الصف وقد وجه العبوسي غدارته نحو طه بامرني طيلة الطريق.. كانت واحدة من المدرعتين تسير خلفهم.. وفي منتصف الطريق شاهدوا دبابة تعقب المدرعة.. فطلب من السائق ان يقف ريثما تصل الدبابة.. وبعد ان اجتازت الدبابة المدرعة توقف على بعد خمسين ياردا من سيارة اللاندروفر.. استغرب العبوسي من توقف الدبابة فنزل من السيارة ليرى السبب وعندما وصل اليها رأى فيها ضابطاً برتبة رئيس اول (رائد) فسأله عن سبب توقفه.. رد عليه الرائد همساً انه لا يملك اي عتاد للدبابة وانه ينتظر وصول العتاد.

فقال له العبوسي: تقدم معي للهيبة على الاقل.

تقدم بسيارته ووراءه الدبابة والمدرعة وعند وصولهم الى مسافة مائة يارد من الثكنة صوب حراسه بنادقهم نحو السيارة.. اقترح العقيد بامرني ان يترجل من السيارة.. وكان العبوسي يسير على مسافة عشر ياردات منه.. اخذ العقيد يصفر لهم ويأمرهم بالقاء سلاحهم فامتثلوا امره «فقدمت - الكلام للعبوسي - مع بعض ضباط الصف وجردت الحرس من اسلحتهم وعتادهم وابدلتهم بحرس من ضباط صف مدرسة المشاة، ثم دخلت الفوج بعد ان دخلت الدبابة امامي وتسلمت المشاجب ومفاتيحها ووضعت جماعة من الحرس عليها.. وبعد قليل حضر العقيد نوري الراوي امر اللواء الجديد وسلمته المفاتيح والفوج ورجعت الى المدرسة ثم الاذاعة.

المسيرة ذاتها من وجهة نظر بامرني:

ذكر انه طلب من ضباط مدرسة المشاة ان يذهبوا معه الى ثكنة الحارثية للتأكد من ان المساعد نفذ الاوامر التي املاها عليه هاتفياً في ايداع اسلحة الفوج واعتدته الى المشاجب ومخازن العتاد وإن المراتب قد انصرفوا الى القاعات فوافق النقيبان عبدالستار سبع وعبدالله الحديثي وبعض ضباط

الصف على مرافقته فركبوا من اجل ذلك سيارة لاندروفر وقبيل حركة السيارة لاحظ بامرني وقوع مشاورة بين الضابطين المذكورين ثم نزولهما من السيارة.

قال لهما العقيد بامرني:

- لابد من الاسراع بالذهاب الى ثكنة الفوج خشية ان يسيطر عليه احد الضباط فيقوم بحركة مضادة.

لكنهما اصرا على عدم الحركة الا بعد ان تصحبهما بعض الدبابات.

فرد عليهما: لقد انقضى كل شيء الى الآن بسلامة وسوف اتقدم امامكم مسافة ۲۰۰ ياردة، وامر بكل نقطة حراسة من نقاط حراسة قصر الزهور فاجردها من السلاح واصرف مراتبها الى المساعد الذي انا على يقين انه قد نفذ ما طلبته منه تنفيذاً دقيقاً.

الا انهما اصرا على موقفهما.. وصدفة رأوا دبابة متجهة نحو قصر الرحاب يقودها (الرئيس الاول) الرائد عبدالجواد لاوند الذي وافق ان يصحبهم بالدبابة الى الثكنة. وقد بر بامرني بوعده لهما فنزل من السيارة على مسافة ۲۰۰ يارد من بدء نقاط الحراسة فجرد المراتب من السلاح وعندما وصلوا الى الثكنة وجدوا المساعد هاشم الحاج كمال قد نفذ طلب أمر الفوج بحذافيره..

وفي الثكنة اخبره بعض الضباط بنقله من أمرية الفوج الاول لواء الحرس الملكي الى منصب مدير المبيعات في ديوان وزارة الدفاع.. العادة في ذلك الوقت ان مثل تلك النقلة بمثابة تمهيد لاحالة الضابط على التقاعد.. وقد ندم العقيد بامرني عدد شعر رأسه انه لم يكن يحمل معه راديو ترانسستور فيسمع بيان نقله ضمن بيانات الثورة الاولى. وهو في موقفه ذاك وصل الى الثكنة العقيد نوري الراوي الآمر الجديد للواء فاستبقى معه العقيد بامرني ليتناولا وجبة الغداء سوية في مطعم الفوج.

ومما رواه لي العقيد بامرني عن نفسه:

انه تناول وجبة الغداء تلك بشهية لم يشعر بمثلها من قبل ولكن النوم جفاه بعد تلك الساعات المرهقة ثلاثة ايام بلياليها.

بخصوص مصرع العائلة المالكة:

فان بامرني بعد ان تهدد هاتفياً من ظن انه الشريف حسين بنسف القصر بمن فيه ـ لان الشريف حسين لم يكن موجوداً في القصر في تلك الساعة العصيبة وانما كان في داره ـ وقف بعد ان انهى تهديده بجانب مدرعة من مدرعات كتيبة فيصل «بغية السيطرة على السريتين لكي لا تعودا الى السلاح، وفي الوقت نفسه ليراقب خروج الملك وولي العهد من القصر وعند وصولهما مع بقية العائلة الى جانب حوض الماء فتحت المدرعة التي كان يقف الى جانبها عليهم النار من بعد ٣٠ ـ ٥٠ ياردا فسقطوا جميعهم على الارض. ويتفق معه العقيد منذر سليم عبدالغفور آمر القوة المهاجمة في هذه الرؤية، حيث يؤكد ان المدرعة هي التي فتحت النار. ومن استدلالاته على ذلك بالاضافة الى ما رآه شخصياً ان اصابة الامير عبدالاله كانت في رأسه ومثل هذه الاصابة لا يمكن ان تقع من غدارة في اليد.

وهناك شهود يؤكدون ان النقيب مصطفى عبدالله هو الذي فتح النار وهو من جماعة مدرسة المشاة. وبخصوص عبدالستار سبع العبوسي فيقول عن الواقعة «وكان خلفهم ـ يريد العائلة الملكية ـ عدد من حاشيتهم، وخلفهم بعض الضباط وبينما تقربوا مني سمعت اطلاقات نارية اتجاهي فأجبت عليها بالمثل بصورة غير ارادية وعلى اثر ذلك سقط عبدالاله»..

وقد ينكشف غد او بعد غد عن اسماء اخرى فتحت النار او شاركت في فتحه غير الاسماء المذكورة.

في ذلك الموقف الحاسم.. اخذت بنادق القوة المهاجمة التي لاذت بالصمت

نحو ثلاثة ارباع الساعة لنفاد عتادها تتكلم مرة اخرى بصوت عتاد الحرس الملكي بعد ان جرده أمره من السلاح وجمع عتاده على الارض.. وكان كلامها هذه المرة حاداً صاخباً يصم السمع ويزيغ البصر ويربك التفكير ـ كما ذكرنا ـ اصبح الرمي العشوائي خطراً على الجميع.. اذ اصابت رصاصة النقيب حميد السراج ورصاصة اخرى النقيب مصطفى عبدالله واذا مرت رصاصات بالقرب من النقيب عبدالستار سبع العبوسي فلابد ان ينسب ذلك الرصاص بموجب الحال السائدة الى بنادق الحرس الملكي، والحرس الملكي قد استقر على الارض في الساحة المجاورة لسياج القصر من غير سلاح.. حتى الامير عبدالاله نفسه فانه عندما خرج مع بقية العائلة من باب القصر الجانبية تاركاً الامر لحكم الثورة حسب ان الرمي الكثيف الذي يسمعه انما يجري للدفاع عنه فصرخ فيمن حوله:

ـ لااريد سفك الدماء.. لا اريد سفك الدماء. (سمع ذلك المقدم محمد الشيخ لطيف)..

كان ضباط مدرسة المشاة ـ كما ورد في تقرير العبوسي وما ذكره السراج في مجلة آفاق عربية ـ يتوجسون، ان يكون الامير يريد كسب الوقت او الهرب وانه وضع كمائن لهم في هذه الجهة او تلك من جهات القصر وحدائقه.. حتى بامرني الذي رأوه رأي العين وهو يجرد جنود القصر في سلاحهم وسمعوه بآذانهم وهو يطلب من مساعده هاشم الحاج كمال في ثكنة الحارثية تجريد من يليه من الجنود من سلاحهم.. حتى بامرني ذاك لم ينج من ظنونهم عندما صحبهم او صحبوه الى الثكنة قرب قصر الزهور لتسلمها فقد وجه اليه العبوسي رشاشته طيلة الطريق ورفض الحركة من امام قصر الرحاب الى هناك الا بصحبة بعض المدرعات مع ان الامر كان قد حسم لصالح الثورة بعد مقتل العائلة الملكية..

إن شهادات الشهود تتحدد في مثل تلك الحال المفعمة بالقلق والمغلفة باللهب والدخان والزعيق باستقامة بصر الشاهد.. قد تتناقض تلك

الشهادات مع بعضها ولكن اياً من اولئك الشهود لا يكذب.. فالشاهد الذي تقع عينه على مصطفى عبدالله وهو يفتح النار لا يمكن ان تقع عينه في الوقت ذات على المدرعة وهي تفتح النار او على عبدالستار سبع العبوسي وهو يفتح النار فيشهد ان مصطفى عبدالله هو الذي فتح النار.. وهكذا تكون شهادة الذي رأى المدرعة او الذي رأى عبدالستار سبع.

اننا لا يمكن ان نجد احداً خلال تلك الدقائق في حديقة قصر الرحاب يقف موقف المتفرج، يدير عينيه فيما حوله بهدوء وروية.. يرصد الحركات والانفعالات ويتتبع ما في الصدور من غليان ليعطي شهادة كاملة فيما بعد. ومع ذلك تبقى شهادة واحدة هي الموثقة... انها شهادة عبدالستار سبع العبوسي على نفسه.. مع نفسه فيما استقبله من حياته بعد الحادث.

ولكنها شهادة لم تدون بعد.

لقد لازمه شبح الامير عبدالاله منذ الليلة الاولى ملازمة الظل كان يشغله عما حوله وينفرد به عن اصحابه وهو جالس معهم فتشخص عينه في سماء الغرفة او الخيمة او اي مكان يكون فيه.. صحبة ثقيلة في دوامة لا تنتهي.. الامير عبدالاله امامه بلحمه ودمه وملابسه التي كان يرتديها عندما وصل الى القرب من حوض الماء في الحديقة.. علامات الرعب مرتسمة على وجهه.. وعيناه مفتوحتان على اتساعهما وصوته وهو يصك مسامعه.

ـ لا... لا....

روى لي ذلك صديقه هاشم الحاج كمال.. حيث وقع على الحقيقة في احدى تلك النوبات وكانا يسهران معاً.. وقد اعترف له العبوسي بالصورة التي ترمضه ولا تريد مفارقته.

ولكنه مالبث بعد ست او سبع سنوات من الحادث.. لا اعرف بالضبط ان ضاق ذرعاً بالصورة التي لا تمل صحبته فأزاحها بطلقة من مسدسه انهى بها حياته.

الكبار الثلاثة

الكبار الثلاثة مصطلح اطلقه الضباط الاحرار على الملك فيصل الثاني وولي عهده الامير عبداله ونوري السعيد باية صفة كان رئيساً للوزراء ام وزيراً ام عاطلاً عن الحكم.. وكان اولئك الضباط يرجحون تفجير الثورة عند وجود هؤلاء الثلاثة في العراق ليقطعوا بقتلهم دابر اية محاولة للعودة الى الحكم الملكي بعد ازالته وتغيير النظام تغييراً جذرياً.

وكان من الممكن ان تقع الثورة في الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ فلا يجد الثوار واحداً من اولئك الثلاثة في بغداد او في العراق، بل يجدون بدلهم ثلاثة آخرين هم هيأة الوصاية على العرش ـ بعد ان اعتذر الامير زيد بن الحسين عن النيابة عن الملك في اثناء غيابه عن العراق ـ وتتكون هذه الهيأة في العادة من رئيس مجلس الاعيان ورئيس مجلس النواب واحد الساسة البارزين او ان يجدوا الملك وحده دون ولي العهد ونوري السعيد اللذين كانا في سفرة طويلة خارج العراق، الاول في استانبول والثاني في لندن ولو وقع ذلك لكانت النتائج اخف كثيراً مما حدث عندما وقعت عيون بعض الضباط الشباب على الامير عبداله المكروه شعبياً الى جانب الملك وبقية العائلة فاستفزتهم رؤيته.

ان من اول الاسباب التي حملت الشعب العراقي على كره الامير عبداله.. ان الشعب القى على عاتقه وزر دم الملك الشعبي غازي الاول.. والد.. فيصل الثاني..

ولعل الفريق طاهر يحيى كان يمتلك معلومات اخرى عندما لام وهو في

غيبوبة الموت عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف على (قتل الملك المسكين الذي لا ذنب له).

الملك.. كان قد اجمع على السفر الى خارج العراق في ٧ تموز لحضور اجتماعات حلف بغداد وللقاء خطيبته الاميرة فاضلة.

ولعله كان اكثر اهتماماً بلقاء الخطيبة من صداع الخطب السياسية في اجتماعات الميثاق.. والذي يشير الى ذلك انه كان حريصاً على عدم تأخير السفر ساعة واحدة عن موعده المقرر.

ويذكر توفيق السويدي ان وزير مالية الاتحاد عبدالكريم الازري جاء اليه واخبره بان قانون الخدمة الخارجية للاتحاد، وقانون توحيد النقد الاتحادي والبنك المركزي في الاتحاد قد انجز ولم يبق لنشرهما سوى يومين وهو يتمنى ان يتوجهما الملك بتوقيعه.. وقد سبق له ان توجه الى الملك ورجاه ان يؤجل سفره بعض الوقت ليتم التوقيع فرفض الملك تأجيل سفره.

. وعد توفيق السويدي عبدالكريم الازري خيراً. وبعد ساعتين من لقائهما كان في طريقه الى البلاط فقص في اثناء مقابلته للملك نبأ عبدالكريم الازري ثم قال له ان تأخير سفره يومين لا يقدم ولا يؤخر فاقتنع بعد تململ طفيف وقال:

- طيب.. سأتأخر الى يوم ٩ تموز

وفي ٨ تموز وردت برقية الى الجهات المعنية في حلف بغداد من شاه ايران الذي كان في زيارة للولايات المتحدة الامريكية يذكر فيها انه قابل الرئيس ايزنهاور ولديه بعض المعلومات التي يرغب بابلاغها الى مجلس الحلف، ولما كان مروره بتركية وهو في طريقه الى طهران سوف يتم يوم ١٤ تموز فطلب في برقيته تأجيل الحلف من ٩ تموز الى ١٤ تموز. فتأجل

سفر الملك من ٩ تموز الى اليوم المذكور.

هذا ما كان من امر الاول.

اما الحديث عن الثاني..

فقد سبق للامير عبدالاله ان سافر الى تركية في حزيران واعلن انه سوف يمضي الصيف في تركية وبعض الدول الاوربية.. ولكنه عاد الى بغداد بشكل غير متوقع وفي اشد ايام الصيف حرارة..

استوضح منه توفيق السويدي بعد عودته المفاجئة: اذا كان قد اختار حر العراق على هواء استانبول العليل.

فاوضح له الامير:

- انه فهم من بعض اتصالاته ومن المعلومات التي اتته من الداخل ان بعض المفسدين قد يقومون ببعض الحركات والتشويشات في اثناء غياب الملك وغيابه هو ايضاً فاراد ان يبقى ببغداد عندما يغادر الملك الى لندن.

ومع ان نذير فنصه عزا قول الامير عبدالاله بعد استماعه الى نصيحة بختيار منه.

- خلي بختيار ياكل..

عزاه الى الخمار الذي كلن يدور في رأسه بعد ان شرب نصف زجاجة ويسكي (اولد پار) الا ان عودته المفاجئة على متن طائرة صغيرة من استانبول الى بغداد بعد ان لم يجد طائرة سواها لتلافي الموقف الذي رأى بعد مواجهته لفنصة انه بدأ يشرئب بعنقه يدل على انه كان واثقاً من قوته وموقفه بصورة ما. المهم هنا انه عاد الى بغداد قبل موعد عودته المقرر باسابيع عديدة.

الثالث:

سافر نوري السعيد مع زوجه الى لندن في اواخر حزيران وطلب من الملك قبل سفره ان يستدعيه بعد مدة الى بغداد بصورة رسمية وعندما قابل السويدي الملك بخصوص تأجيل سفره من ٧ تموز الى ٩ تموز. تذكر الملك طلب نوري السعيد فالتفت الى عبدالله بكر رئيس الديوان الملكي وقال له:

- لا تنس ياعبدالله نوري (باشا) فقد رجاني عندما سافر الى لندن ان ابعث له برقية اطلب حضوره الى بغداد فارسل له برقية بالمآل الذي اراده.

توقف الملك قليلاً عن الكلام ثم قال:
- لاعرف السبب الذي جعل نوري يطلب مني طلبه ذاك، لعل له شغلاً خاصاً يتطلب رجوعه الى بغداد فاراد تأمين اجور السفر باستدعائي له.

ثم اطلق ضحكة على النكتة التلقائية التي وردت على لسانه (السويدي ص ٥٨٧).

اعادت برقية الملك نوري السعيد من لندن الى بغداد لايام.. وفي بغداد سال رئيس المجلس العرفي العسكري اثناء محاكمة آل البصام وسائق سيارتهم مجموعة من الشهود الذين كانوا يملكون مفتاح الوصول الى مخبأ نوري السعيد في اقل من نصف ساعة.. لماذا سكتوا عن الارشاد الى مكان اختفاء نوري بعد بيان الحاكم العسكري العام الذي وضع مكافأة قدرها عشرة آلاف دينار لمن يدل الحكومة عليه.

ردوا عليه جميعهم.. انهم اخبروا عن ذلك قبل بيان الحاكم العسكري بيوم واحد..

في السابقات.. من العراق الملكي.. ان السفير البريطاني تهدد حكمة سلمان رئيس وزراء الانقلاب بالويل والثبور وعظائم الامور اذا سفك

الانقلاب دم سياسي آخر بعد جعفر العسكري.. ثلاثة دماء اخرى كانت مرشحة للسفك هي دماء: نوري السعيد وياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني. فاضطر حكمة وقد انساق مع طبيعته ايضاً الى التحفظ على بكر صدقي ومجموعة من ضباطه الذين يخشى شرهم في منزله طيلة الليلة التي اعقبت نهار الانقلاب ريثما يتيسر لاولئك الثلاثة مغادرة العراق في اليوم التالي.

ولعل الحال المأساوية التي انتهت فيها العائلة الملكية في العراق اوصلت الى عبدالكريم قاسم نداء هاتفياً لا يختلف في مآله عن النداء الذي وصل الى حكمة سليمان فترك نوري السعيد لقدره وهو على يقين.. انه بلا مخالب ولا انياب هذه المرة..

* * * *

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٣٩٥ السنة ١٩٩٠

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

...لكبار الثلاثة

...ورة ١٤ تموز في ١٤ ساعة

عبد الجبار العمر

هذا الكتاب

هذا كتاب فريد في مضمونه اذ انه يتناول ملابسات الساعات الاولى من ثورة ١٤ تموز، وخاصة ما يتعلق بموقف الثورة من نوري السعيد، والقاء القبض عليه ومقتله، انه يطرح معلومات جديدة حول هذه الملابسات وتعقيداتها والمصادفات الغريبة المحيطة بها.

كتاب يكمل كل المعلومات المطروحة عن ثورة ١٤تموز وكيفية حدوثها، ومتابعة مسيرتها خلال الساعات الاولى منها.



تصميم الغلاف ... ...

... خمسة دنانير